

بسم الله الرحمن الرحيم

رد هادئ على مسلسل الجماعة

لقد هال جميع المراقبين للشأن الإسلامي والشأن العام في مصر، حجم مشاهد تشويه جماعة الإخوان المسلمين ومؤسسها الإمام حسن البنا، وفزعت لجرأة هذا المؤلف على تزوير الحقائق التاريخية، باختلاق الأحداث أو الانتقاص منها أو الزيادة عليها، كما فزعت لانتهاكه كل القيم والأعراف؛ من أجل إظهار الإخوان كجماعة تتاجر بالدين، وتتكسب من الدعوة، وتمارس العنف، وتمدها لطلب التمويل من الداخل والخارج، واتهام مؤسسها بالتطرف، والتلون والكذب، وأنه لا يعمل لله، وإنما يعمل من أجل الزعامة وحباً في الظهور!!.

إن الإخوان المسلمين يؤمنون بحرية الفكر والتعبير، وأن للفن دوراً رفيعاً في تقدم المجتمع الإنساني؛ ولكن في إطار عدم الضرر بالآخرين.. لقد أنشأ الإمام الشهيد الفرق المسرحية لتقدم الفن الراقي النظيف في معظم شعب الجمهورية منذ ثلاثينيات القرن الماضي، في وقت كان يجهل جل الشعب معنى كلمة مسرح، فكان الإخوان بذلك هم أول من نقل المسرح ووسائل الترفيه إلى القرى.. ناهيك عن دورهم المبكر في الاهتمام بباقي الفنون، كالتصوير، والكاريكاتور، والإنشاد والغناء، وأنهم من أوائل من أنشأوا إذاعة خاصة، علاوة على علاقة المرشد الأول بعدد كبير من الفنانين.

نقول هذا الكلام لأن السيد وحيد حامد- الذي فقد أعضابه بعد فشل مسلسله- ينكر على الإخوان الحق في انتقاد عمله، مستهجنًا قيام الأستاذ سيف الإسلام البنا (نجل الإمام) برفع دعوى قضائية لمنع عرض المسلسل، متهمًا الجماعة بمحاربة الفن والإبداع. إن نجل الإمام الأستاذ سيف عندما يرفع قضية ضد المسلسل، إنما يرفعها باعتباره نجل حسن البنا، مفوضًا عن أسرته الكريمة في رد اعتبار والده الذي قُتل غيلة منذ ما يزيد عن 60 عامًا، وليس باعتباره أخًا من الإخوان.. أما الإخوان فمن حقهم رد الأكاذيب ودفع التهم عن أنفسهم، وتفنيد الأباطيل التي حشدها المؤلف في عمله، وهذه كلها لا تعني حربًا على الفن والإبداع؛ خصوصًا أن هذه الأباطيل جاءت لطمس حقائق أو تشويه أحداث تاريخية ثابتة وموثقة وليست قصة من وحي خيال المؤلف.

وإذا كان المؤلف قد انزعج من سيل الانتقادات الموجهة إلى مسلسله، واعتبر ذلك من ترتيب وإعداد تنظيم الإخوان الذي دفع شباب الجماعة لإرهاب وحيد على الـ(فيس بوك) ومواقع النت؛ فإننا نؤكد له أن الجميع قد انتقدوا المسلسل، بمن فيهم أصدقائه، وأن الإخوان لم يكلفوا شبابهم يومًا بالرد عليه، وإنما هي مبادرات عفوية؛ بسبب العداوة الطافحة التي أظهرها المسلسل لكل ما هو إخواني، بل ولكل ما هو إسلامي. وأؤكد له أيضًا أن كثيرًا من هذه الانتقادات كانت لأسباب فنية، فالمسلسل حسب شهادة المتخصصين وحسب استطلاعات الرأي الأجنبية- التي تتمتع بالشفافية- فاشل فنيًا، وساقط دراميًا، رغم كل ما بذل من أجل نجاحه، وأنه لم يكتب كاتب أو يتحدث متحدث مثنيًا على المسلسل إلا إذا كان واحدًا من الكارهين للإخوان، أو من المأمورين بإنقاذ سمعة المسلسل.

إن دعوة الإخوان المسلمين ومؤسسها، لا يستحقان هذا التشويه، الذي يصب في مصلحة أعداء الأمة.. وقد كان حريًا بالدولة التي دعمت هذا المسلسل بأكثر من نصف تكلفته، ومنعت الرقابة من مراجعته؛ ثقة في مؤلفه الحاقد على الإخوان، وقيام وزير الإعلام بنفسه بمراجعة حلقاته، ومتابعة تنفيذها، والاطمئنان على الدعم الإعلاني المقدم لها..

نقول كان حريًا بهذه الدولة- إن كانت تريد الخير لمصر- أن تمنع هذا العبث بتاريخ زعماء الأمة، وأن تقمع فتنة سوف يطال ضررها الجميع.. إلا أن مصر في فكر هذه الدولة يأتي في ذيل اهتماماتها.

إننا- من خلال حوار هادئ- أرد على ما جاء بالمسلسل من أكاذيب وتلفيقات، رغم يقيني بأن الفائز من عرضه هم الإخوان، وأن السحر قد انقلب على الساحر؛ إيمانًا مني بحق الشباب في معرفة الحقيقة التي حاول وحيد حامد طمسها.. وأنا على ثقة أن فطرة هذا الشعب سوف تجعله ينحاز دائمًا إلى ما ينفعه، وسوف تجعله يميز بين الحق والباطل.

لم تخل حلقة واحدة من المسلسل من أكثر من مشهد من مشاهد تشويه الإخوان، والإساءة إلى سمعتهم، وتلفيق الوقائع والأحداث التي تنتقص من قيمتهم وتزيف تاريخهم.. وفيما يلي موجز بهذه المشاهد:

الحلقة الأولى:

يظهر طلاب الإخوان في صورة منفردة، فيبدو كأنهم مجرمون، وقد حاول المؤلف حبك هذه الصورة فاختلق مشهد اعتدائهم على خصومهم من الطلاب الآخرين، وأنهم "طحنوا" هؤلاء الخصوم، وسائل الإعلام وقتها نقلت الواقع وأكدت عكس ما جاء في الحلقة.

كما يظهر أساتذة الجامعة من الإخوان في صورة سيئة، فأحدهم دميم الوجه، ساذج الفكر، يتحدث الفصحى بتشوق وتفيقه مصطنعين!!.. ويبدو الإخوان - عموماً - في الحلقة لديهم شراهة في الأكل والشرب، فهم يلتقون على المواعيد العامرة بشتى أنواع الأطعمة (لاحظ ما في هذا المشهد من غمز ولمز حول مصادر هذا التمويل الغذائي).

ويبدو الإخوان كذلك، يتاجرون بالدين.. فبهجت السواح (عبد العزيز مخيون) يطلب من موظفيه في (السوبر ماركت) الذي يملكه إعادة عرض السلع الدنماركية، بعدما هدأت هوجة الرد على الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم - على حد تعبير الممثل - وذلك خوفاً من انتهاء صلاحيتها!!.

حاول المؤلف إصاق تهمة العنف بالإخوان.. ففي الحلقة يجتمع مكتب الإرشاد - في جو فخيم - في إحدى المزارع الخاصة بالجماعة!! ويتخذ قراراً باستخدام طلبة الإخوان للعنف ضد خصومهم؛ لإظهار قوة الجماعة كما جاء على لسان الممثلين.

الحلقة الثانية:

يبدو مرشد الجماعة السابع (الأستاذ محمد مهدي عاكف) مستهيناً بباقي التيارات والقوى السياسية، (وهذا مقصود لإيقاع العداوة بين الإخوان وهذه القوى)، رغم علم المؤلف أن الإخوان لا يستعلون على أحد، ولا يجرحون شخصاً ولا هيئة، وله العديد من الأصدقاء من أبناء الجماعة. كما يبدو مستعليًا على الآخرين، مقللاً من ردود الأفعال على حادث (ميليشيات الأزهر) "المؤلف يريد بث البغض والكرهية في قلب المشاهد تجاه الجماعة ومرشدها".

محاولة إصاق تهمة العنف بالإخوان مرة أخرى، فعند القبض على طلاب جامعة الأزهر، في الوقعة الشهيرة (في شهر نوفمبر عام 2006م) يضبط ضباط مباحث أمن الدولة سنجاً ومطايير وسواطير، كانت معدة - حسب خيال المؤلف الجامح - للاعتداء على خصوم الإخوان من الطلاب. إظهار رجال أمن الدولة في صورة من يحافظون على كرامة الناس، ومن يطبقون (القانون) تطبيقاً سليماً، فهم يطرقون الأبواب، ويتعاملون مع المتهمين بلطف، ويعتذرون للبواب؛ لأنهم أيقظوه من نومه.. وعندما ينتقل إليهم المتهمون يقدمون إليهم الشاي والقهوة، ويوصي رؤساء الجهاز مرعوسيهم بهم خيراً.

ويحاول المؤلف - كما يصرح دائماً في واقعه - أن يثبت أن الناس تلجأ إلى التدين عموماً، وإلى الإخوان خصوصاً؛ بسبب الفقر والحاجة، حيث يجدون عندهم الملابس والأكل والمشرب.. وفي الحلقة يؤكد المؤلف - على غير الواقع - أن من شاركوا من طلاب الإخوان في حادث (الميليشيات)، إما من الأقاليم، أو من الأحياء العشوائية والفقيرة: "لاحظ: المؤلف تناسى أن الإخوان منتشرون في الأحياء الراقية مثلما هم منتشرون في الأحياء الفقيرة".

يبدو المرشد (الأستاذ عاكف) يتحدث الفصحى "وهذا مخالف لواقع الإخوان"، يجري مع من حوله حوارات ساخنة سانجة، تتخللها كلمات غريبة، لا يعرفها ولا يسمع بها الإخوان.

يحاول المؤلف إثبات خطأ الإخوان، في عدم فصلهم بين الدين والسياسة "وهذا ما يرجوه وحيد (العلماني)، ويحاول إقناع المشاهد به، لأغراض في نفسه وفي نفس النظام الذي كلفه بهذا العمل".

الحلقة الثالثة:

ادعى المؤلف - على لسان إحدى الممثلات - أن الإخوان يحتكرون الدين والحقيقة لأنفسهم، وأنهم يخفون ما لا يظهرون، وأنهم هم الذين نشروا الدروشة والتواكل بين الناس، وأنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين، وما عداهم غير مسلمين (سنرد لاحقاً على هذه الأكايبب الخطيرة).

يخطط المؤلف بين الأحداث التي جرت في جامعة عين شمس، والتي جرت في جامعة الأزهر، ربما عن جهل، وربما عن عمد؛ لكنه في كلا الحالتين يحاول إصاق تهمة العنف بالإخوان.

ادعى المؤلف أن الإخوان يبيحون الكذب (على لسان ضابط أمن الدولة)، وأنهم يحتفظون بأموال هائلة في بيوتهم (للإيحاء بالحصول عليها من طرق غير مشروعة)، وأنهم يشتررون كتب خصومهم ويخفونها، وأن الشعب المصري بحاجة إلى معجزة للتخلص من هؤلاء الناس (على لسان عامل في مكتبة في حوار مع وكيل النيابة - حسن الرداد).

يبدو طالب الإخوان في هذه الحلقة: عصبي، متشنج، مفتول العضلات كأنه فتوة أو بطجعي؛ فيما يبدو ضابط أمن الدولة: وقور، مثقف، متأنق، رابط الجأش!!.

الحلقة الرابعة:

يبالغ المؤلف في كذبه فيدعي - على لسان راوية المسلسل المستشار كساب (عزت العلابلي) - أن الإخوان كيان سياسي بالدرجة الأولى، وأن أعضاءها لا يعرفون عنها شيئاً!!.

يصور المؤلف حسن البنا في صغره منطرفاً، فهو - حتى في لعبه - يقسم الناس إلى مؤمنين وكفار، ويعتدي بالضرب على أحد الأطفال محدثاً به بعض الإصابات.

ويصور الإخوان، كجماعة متشددة، لا تعرف السماحة واللين، وقد بالغ في التلفيق عندما اختلق مشهداً للطفل حسن البنا وهو يتلو - بطريقة انتقائية - آية سورة التوبة: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ (التوبة: من الآية 29).

(معلوم الخبث في طرح هذه القضية بهذه الصورة، قضية علاقة الإخوان بالأقباط وغيرهم من غير المسلمين، فهو لم تأت الأوامر بطرحها بشكل صريح)، (ومعلوم أيضاً رأي الإخوان في هذه القضية.. وهو ما سنثبته في الفصول التالية إن شاء الله).

يشكك المؤلف في روايات حسن البنا عن نفسه، والتي رددت في مذكرات الدعوة والداعية؛ مدعيًا على لسان ممثليه أنها تحتاج إلى فحص وتدقيق. ينتقل المؤلف من نقد الإخوان إلى نقد الإسلام، فيظهر المنتقبات في صورة سيئة، فإجدهن - الشغالة - تشتبك مع البواب بالسباب والشتائم، ثم تشتبك في حوار ساذج وغير متكافئ مع من تعمل عنده (وكيل النيابة) الذي يصف النقاب بـ (البتاع)، وأن التي تلبسه (متخلفة)، وتواصل (سوسن بدر) الهجوم على النقاب، واصفة إياه بأنه (مش فريضة)، و (مش صح)!!.

ويواصل المؤلف هجومه على الإسلام، بالطعن في علمائه (على لسان راوية المسلسل)، معتبراً إياهم متاجرين بالدين، فالدين عندهم (سبوية)، حسب قوله!!.

ولم يسلم التيار السلفي بدوره من هجوم المؤلف؛ حيث أكد أنهم سرقوا البلد من أهلها، وأنهم يريدون مصر غيبة متخلفة.

- ويعود المؤلف - بعد هذا الفاصل - للافتراء على الإخوان، فيدعي أنهم يوزعون أموال الزكاة على أعضاء الجماعة فقط، ولا يعرفون شيئاً عن فقراء مصر، وأنهم يريدون إعادة مصر إلى عهد البداوة!!، وأنهم صنيعة الحكومة!!، وأنهم يتاجرون بأمال الناس، ولا يختلفون عن الحزب الوطني في فساده وانتهازيته!!.

الحلقة الخامسة:

يعود المؤلف مرة أخرى لتغيير المشاهد من شباب وطلبة الإخوان، فيصور أحد الطلبة - أثناء التحقيق معه في نيابة أمن الدولة - في صورة ساذجة، حيث يقرأ الطالب سورة (يس) - بصوت عال أجش - وتبدو عليه سيما التخلف والاكنتاب.

ومن أجل تشكيك أبناء الجماعة في مؤسس جماعتهم، ومن أجل هز الثقة في مبادئها؛ يشكك المؤلف في مذكرات الإمام الشهيد حسن البنا، على لسان (يسرا اللوزي) التي تقول بالنص: "يقولوا حذفوا بعض الأشياء من مذكرات حسن البنا الأصلية!!".

وينتقل المسلسل مرة أخرى إلى نقد الإسلام، وتوهين علاقة المسلمين بدينهم فتقول (يسرا اللوزي): "الدين بقى سوبر ماركت، بقى بضاعة، أسألوا شيوخ الفضائيات.. ويشككون المسلمين في جامعي أموال الزكوات والصدقات (بالطبع من أجل تعطيل هذه الفريضة)؛ فيحذر المؤلف على لسان الشيخ زهران أستاذ البنا (محمود الجندي) من جمع التبرعات، حتى ولو كانت لبناء المساجد أو عمارتها.

ولا يفوت المؤلف أن يؤكد المعاني العلمانية التي يعتقها كمبدأ وعقيدة، وما هو المسلسل فرصة كي يقنع المشاهد بها، وينحي - حسب أملة - بالتالي الإسلام جانباً.. فالأذان مكانه المسجد، ولا يجوز أن يكون في المدرسة، فالمدرسة مكان علم؛ هذا الكلام يقوله المؤلف على لسان من؟!، على لسان الشيخ زهران، الذي شهد له البنا بكمال الفقه وتمام الفهم والإخلاص في الدين.

يبدو حسن البنا في تلك الحلقة عنيداً متشدداً، لا يحترم من هو أكبر منه سناً، فهو يعصي أوامر مدرسيه، ويجادل الكبار - على صغره - بصورة لا تليق.

الحلقة السادسة:

يبدأ المؤلف من هذه الحلقة في التوسع في التشويه، والذهاب بخيالاته إلى مدى أوسع، مفترضًا الغباء في المشاهد.. فالإخوان معارضة مثل باقي المعارضة!!، وقادتها مثل قادة النظام الفاسد ورؤساء الأحزاب الورقية في مصر، فلا يوجد مرشد سابق!! "لاحظ الكذب.. معلوم أن الأستاذ محمد مهدي عاكف قدّم استقالته في 2010/1/13م، وتمّ اختيار الأستاذ الدكتور محمد بديع خليفة له، بعد انتخابات نزيهة، شهد عليها العالم كله، وخلقت وقتها حالة من الجدل المثمر".

وشباب الإخوان - جميعًا - يغيرون رأيهم في الجماعة ويتركونها، لمجرد مناقشتهم في أفكارها من جانب السيد وكيل النيابة (حسن الرداد) أو لمجرد القبض عليهم، أو لمجرد عتاب أهلهم لهم؛ بسبب انضمامهم لهذا التيار (طبعًا هذا كلام ساذج، جعل المشاهد العادي يتصرف عن المسلسل لفرط بلاهته).

الحلقة السابعة:

كما الحلقة السابقة: يتمادى المؤلف في الضحك على المشاهد، ويسحب الغرور إلى مناطق وعرة، فيقع في أخطاء كبيرة، فعلى لسان أبطال المسلسل يدعي المؤلف أن شباب الإخوان لا يعرفون شيئًا عن حسن البناء، وأنهم ينتمون إلى الجماعة لمجرد معارضة الحكومة. وللمرة الثالثة يعود المؤلف إلى نقد مظاهر الإسلام.. فالنقاب عادة بدوية قبلية، واللاتي يرتدينه لهن ماضٍ مخزٍ!! و(الدقن) ليس علامة التقوى والإيمان، فالكفار - كما جاء على لسان أحد ممثلي المسلسل - كانوا (بدقون)!! إضافة إلى الطعن في الدعاة (الجدد)، ومحاولة إثبات أن الأوطان ليست أهم من الأديان.

أما المضحك في هذه الحلقة، فهو ذلك الطالب الإخواني الملتحي، الذي يبدو غوغائيًا، منكوش الشعر.. يعترف لوكيل النيابة أنه يعيش في منطقة "إسطنبول عنتر" مع الإهمال والفساد والجشع، ويدعي أنه يريد أن يدخل السجن ولا يحبذ الحصول على البراءة؛ لأن في السجن - حسب قوله - سوف يجد أكلًا وشربًا ومكانًا يبيت فيه (ما زال المؤلف يحاول إقناع المشاهد بأن المنتمين للجماعات الإسلامية، يفعلون ذلك لظروفهم وحاجاتهم، وهو بذلك يخدع المشاهد الذي يعرف العديد من الإخوان ممن يقطنون الأماكن الراقية ويعطون ولا يأخذون).

وإذا كان تشويه الجماعة هو الهدف والمقصود؛ فإن تشويه الإمام المؤسس هو الأساس في هذا العمل.. ومن هنا يشكك المؤلف - للمرة الثانية - في مذكرات البناء، ويكذب ما جاء فيها بخصوص قضية المنامات الرؤى، كما يحاول إرباك المشاهد، بتشكيكه في شخصية البناء الذي كان - حسب كلام عزت العلابي - زعيمًا لطائفة تعد مثل باقي الطوائف التي كانت خطرًا على الإسلام.

ويحرض المؤلف المشاهد ضد شباب الدعاة، ويشكك في عملهم وإخلاصهم، فيبدو في أحد المشاهد داعية شاب على إحدى القنوات الفضائية - فيبدو (عزت العلابي) الذي هو في الحقيقة (وحيد حامد) متضررًا مغتاطًا، مؤكدًا أن هذا الداعية وأمثاله ممن ينتمون للإخوان لا يعرفون شيئًا عن الدين، إنما لديهم (مقرر): لازم يدخلوه في عقول الناس بالإلحاح!!

الحلقة الثامنة:

يضع المؤلف المشاهد على المحك؛ فيستنفر لديه مهارات الجدل، ويستعديه على الإسلاميين، عندما يطرح قضية المواطنة طرحًا يناسب رغبته في تجريح الإخوان وغيرهم من الإسلاميين، فيكذب - على لسان أبطال مسلسله - مدعيًا أن بعض مفكري الإسلام يقولون: لا وطنية في الإسلام (لاحظ: هذا الاتهام يردده الآن كار هو الإسلام من الغربيين ووكلائهم المحليين).

يعود المؤلف الكاره للإخوان، الحاقده على الجماعة، ليصب ما في صدره من غل على شخص الإمام البناء، مختلفًا قصصًا وحوارات هي بالتأكيد كاذبة، فيظهر البناء في حوار مع الشيخ الدجوي (ورد هذا الحوار في مذكرات الدعوة والداعية بطريقة تبكي من في قلبه نرة من إيمان) - انفعاليًا، مندفعًا، أحمق؛ وهذا ما دفع أصدقاء الشيخ إلى سبه وشتمه، واتهامه بالمرض النفسي، وبالتحاييل لحضور موائد الطعام!!.

كذبة أخرى في الحلقة نفسها، يقدمها المؤلف للمشاهد كأنها حقيقة، وغرضه من ذلك: اتهام الإخوان بالعمالة لدول أخرى، وتلقيهم أموال ومعونات خارجية منذ تأسيس جماعتهم.. فالشيخ محب الدين الخطيب يتحدث مع الإمام الشهيد عن تمويل سعودي لوالد البناء، مادحًا النظام السعودي الوليد (لاحظ أيضًا: محاولة المؤلف الربط المبكر بين أفكار الإخوان والأفكار الوهابية).

الحلقة التاسعة:

المؤلف ناظم على كل شيخ، وكل داعية، وكل منتمٍ للفكر الإسلامي.. ولهذا فلا حرج في تزوير الوقائع وتغيير الأحداث كي تخدم غرضه في تشويه الجماعة وصرف الناس عنها.. فالأزهريون انتهزيون، حاقدون، يمكن شراء أحدهم بعشوة، يغيّر على أثرها رأيه، وقتاواه.. والبنا أيضاً برجماتي، غايته تبرر وسيلته، يضيف شيخاً أزهرياً ويقدم له هدية كي يترك له مكانه بالمسجد!!.

أما رسالة المؤلف التحذيرية لكل من يريد من الشباب الانتماء إلى الجماعة فهي: إن مؤسسي الجماعة مجموعة من الأميين السذج (كلهم صناعية)، يجتمعون عند (مكوجي رجل)، يردّون الأدعية في الطريق بشكل همجي، ويتسابقون في تقبيل يد البنا (أطال المؤلف في هذه اللقطة بشكل بدا مفتعلاً ومملاً)، واصفين إياه كأنه رسول جاء إلى بلدهم مبشراً ونذيراً.

وفي لقطة ظن فيها المؤلف أنه ضرب عصفورين بحجر، يذكر البنا حديث البيعة أمام أصحابه السنة المؤسسين، طالباً منهم السمع والطاعة وضرب عنق من يخرج عن أصول هذه البيعة؛ وهو يبدو فرحاً بتلك الزعامة؛ حيث ينظر في المرأة منتشياً، سعيداً، منتفخ الأوداج (لاحظ هنا: يحاول المؤلف لصق تهمة العنف بالمؤسس، وأنه يقتل أصحابه، كما يشكك في إخلاصه ونواياه، بإظهار سعادته بالزعامة الجديدة).

يعود المؤلف - فجأة - إلى إخوان 2006م، فيسبهم ويحرج مسؤوليهم وقادتهم، ويصورهم كالمجرمين الذين يعقدون الصفقات الحرام.. فالمرشد السابع (محمد مهدي عاكف) يتفق بصورة غير شرعية مع أحد رؤساء تحرير الصحف المستقلة؛ لاستغلال صحيفته في نشر أخبار وأفكار الإخوان مقابل مبلغ مالي تدفعه الجماعة لهذا الصحفي (لم يقل وحيد حامد للمشاهد إن راقصات مصر ورجال أعمالها الفاسدين يمتلكون شركات صحافة، والجماعة محرومة - وهي أكبر فصيل دعوي وسياسي، وتملك أعداداً كبيرة من أعضاء نقابة الصحفيين - من إصدار ولو نشرة صغيرة!!).

ويستمر المؤلف "البارع" في كيل السباب للإخوان بطريقة مباشرة ساذجة على لسان (تيمور)، ذلك الشاب الإخواني الذي اكتشف - فجأة - أنه تورط في الانضمام للإخوان، فهم - في نظر (تيمور) - منافقون، مثلهم مثل باقي الأحزاب، لكنهم اختاروا الطريق الأسرع إلى قلوب الناس؛ طريق الدعوة والدين.

الحلقة العاشرة:

في الحلقة العاشرة يحاول المؤلف الفكاهي إضحاك المشاهد على قادة الإخوان؛ في محاولة يائسة منه للتقليل من مكانة قادة الجماعة الذين يحظون طوال تاريخها باحترام الجميع لهم... فيصور المرشد السابع - بطريقة كارتونية - وهو يحمل أثقالاً؛ لإضحاك المشاهد كما قلت، ولإلباس المرشد وجماعته ثوب العنف الذي لا يتم إلا بالمحافظة على الرياضات العنيفة وألعاب القوى.

حسن البنا نرجسي، مغرور.. هكذا يخترع المؤلف تلك الصفات الذميمة؛ ليقبل بها من قدر ذلك الرجل الذي يعد - بحق - أحد أئمة الإسلام العظام ومجدد القرن العشرين.. فهو يفرح كثيراً وتتفرج أساريره عندما يناديه أخ من المؤسسين بلفظ (فضيلة المرشد)، ويغضب - في المقابل - عندما يقول له أحمد السكري إنه مرشد المحمودية.. ولا يكتفي المؤلف الموتر بتفنيق تلك المشاهد بجرأته النادرة - بل يؤكد للمرة العاشرة - وبطريقة مملة - أن البنا كان عصبياً، عالي الصوت مضطرباً، يجيد اللف والدوران، يستخدم الإشارات والغمزات (السوقية)، ولا يتردد في استخدام الألفاظ الخارجة في حواراته، فتزد على لسانه كلمات مثل: المولد، والرقاصة، وغيرهما!!

يخشى المؤلف أن يكون المشاهد قد نسى أن هناك علاقة للإخوان مع السعودية (الوهابيين)، وأن هناك تمويلاً من هذه الدولة لمساعدة الجماعة - فيعود لتأكيد ذلك؛ لأغراضه الخبيثة كما سبق وذكرنا، في مشهد ساذج وحوار أبله بين الإمام الشهيد والأستاذ حافظ وهبة.

الحلقة الحادية عشرة:

في هذه الحلقة يلج المؤلف في توصيل رسالة للمشاهد مفادها: أن الإخوان لا يعملون لله؛ وإنما يعملون لمصالحهم.. فالبنا يدعو المسلمين لبناء المسجد مقراً للإخوان الذين هم في أمس الحاجة إلى مقر لكنهم لا يملكون المال، وبالتالي لا بد من خداع الناس للتبرع للمسجد. تبدو حوارات البنا في المسلسل عموماً، وفي هذه الحلقة خصوصاً: تافهة، سطحية، لا تمت بصله لما عرف عنه من رجاحة العقل وعظم الموهبة، وأصحابه أيضاً يبدون سذجاً، منبهرين به، مطيعين له طاعة عمياء!!

لو اطلعت على الحوار الذي لفته وحيد حامد ودار بين رئيس هيئة قناة السويس والإمام البنا، لأدركت أن هذا المسلسل يعد أجراً عملية تزوير تاريخي، وأن هذا المؤلف ليس لديه أي اعتبارات مهنية عند تنفيذه لهذا العمل، فالمهمة الكبرى عنده أن يسود صفحة الإخوان، وأن يهيل التراب على ماضيهم وحاضرهم.. في الحوار يصف المؤلف البنا بالجهل والغباء (أنا مش ناقص وجع دماغ)، وبالانتهازية والنصب (خليه يبجح إيده شوية)، وبالتعصب والعنصرية (اشمعي اتبرع للكنيسة بنصف مليون جنيه؟! وبالابتزاز والمساومة (ممكّن نعتبر دا دفعة أولى؟!)) مع العلم أنه لم تحدث كلمة واحدة من هذا الحوار الساقط، كما أكدت مذكرات البنا، وكما أكد نجله في حوار لموقع (إخوان أون لاين)، وكما هو معلوم عن طبيعة الإمام الشهيد الذي كان يعتز بدينه ووطنه.

يعود المؤلف ليؤكد - بالكذب - علاقة الإخوان بالسعودية، في لقاء - من وحي وحيد - يجمع الثلاثي البنا ورشيد رضا ومحب الدين الخطيب، يحاولان خلاله إقناعه بأن يكون إسلامه كإسلام السعودية!! وقد عرضا أن يدعماه مادياً ومعنوياً.

الحلقة الثانية عشرة:

يحاول المؤلف في هذه الحلقة - بطريقة غيبية وساذجة - تغيير المشاهد من البنا وجماعته، وتصويرها على أنها جماعة متشددة، تنتبى العنف، وتستعلي على باقي المسلمين، وتحفظ لنفسها بالعلم والدين من دون الناس، كما يبدو البنا في الحلقة محباً للظهور، طالباً للزعامة، كارهاً لكل من ينافسه في منصبه وسلطانه.. فيخلق المؤلف مشهداً تبدو فيه مجموعة من الخيام في منطقة صحراوية، يتدرب حولها أفراد الإخوان على الأعمال العنيفة، ويبدو البنا مقتخراً بهذا العمل محدثاً محاوره بأن: "القوة لازمة وضرورية لنا، فلننا من المستضعفين في الأرض، وإن لنا أهدافاً أخرى من هذه القوة غير الدفاع عن الجماعة!!".

ولكي يضمن المؤلف أن الرسالة - رسالة تغيير المشاهد من الجماعة ومؤسستها - قد وصلت إلى المشاهد، فإنه يؤكد بطريقته شرعية، فيبدو أحد الأزهريين من أصحاب البنا يقول له: "إن الجماعة بدعة"، لما قد تحدثه هذه الجملة من بلبلة في ذهن المشاهد، خصوصاً أن قائلها أزهرى وإخواني، وخصوصاً أن البنا يبدو نرجسياً للغاية، فهو يعلق صورة له بحجم كبير خلف مكتبه، وأصحابه يعدونه أميراً للمؤمنين حتى أن أحدهم يقول له بالنص: "اترك التدريس وكل من بيت المال، كأمرء المؤمنين!!".

ولقد بالغ المؤلف (الجرىء) في تشويه البنا في هذه الحلقة بصورة مزعجة، ولم يستح أن يتهم عمله بالمط واللاموضوعية، كما لم يخش أن يقال إنه كذاب.. فيأتي بمشهد ذكره الإمام الشهيد في مذكرات الدعوة والداعية، إلا أن المؤلف (البطل) يحرف فيه، فيبدو فيه البنا ضعيف الشخصية، قليل العلم والحجة، في حين أن من يقرؤه في المذكرات يعجب بتلك الشخصية وينبهر بعملها ومنطقها.. أقصد قصة لقاء الإمام مع القاضي الشرعي للإسماعيلية ومجموعة من أصدقائه ومن بينهم القاضي الأهلي، وخلافهم حول الشرب في أكواب الفضة.

الحلقة الثالثة عشرة:

لو سألت المشاهد العادي عن أبغض شخصية إلى قلبه في هذا المسلسل لقال على الفور: عزت العلالي، وهو راوية المسلسل، الذي يلخص - في الوقت ذاته - الأحداث ويربطها ببعضها، ويقوم بتوصيل الرسائل التي يريد المؤلف توصيلها إلى المشاهد.. وراوية هذا المسلسل كذاب، ما صدق في كلمة واحدة خلال المسلسل بأكمله، ومن أمثلة كذبه في هذه الحلقة: "الأحزاب الدينية خطر يهدد السلام الاجتماعي"، "اللي مش إخوان واللي مش مؤمن بمنهج الإخوان إسلامه ناقص"، وهذا هو منهج الجماعة، "الإخوان مشغولين بالمظهر الإسلامي فقط، حسن البنا استنقاد من التنظيمات الشيعية، وتأثر بالحشاشين"، "البنا عمل تنظيم قتالي كما فعل حسن الصباح"، "عمر التلمساني قال إن البنا قرأ في الشيعة حتى التشيع"، "سيد قطب كان يكره البنا"، وهكذا يتحدث هذا الراوية خلال المسلسل بهذه الطريقة الفجة، وبهذا الكذب البواح، وبجراحة يحسد عليها.

يخلق المؤلف واقعة للتشكيك في ذمة البنا وجماعته، وللتقليل من شأنه، وإظهاره بأنه لا يستحق كل هذا الاحترام والتقدير.. فتبدو مجموعة من المتمردين عليه - بعد انتقاله إلى القاهرة بقليل - يتهمونه في ذمته، ويعترضون على اختياره للشيخ الجداوي وكيلاً للجماعة - فنراه وهو الشخص المشهود له باللين والحلم، يدير عمليات ضرب وخطف لمعارضيه بصورة أشبه بحرب العصابات، بل بالغ المؤلف في الكذب عندما صور الطرفين كفتوات الحارة فاخترع معركة بالنباييت، فاز - بالطبع - أنصار البنا.

وهذه الواقعة تكذبها مذكرات الدعوة والداعية.. وكذبها كذلك الدكتور وحيد عبد المجيد في مقال له بـ(المصري اليوم) (2010/8/27م) جاء فيه: "إذا جاز القول إن أسلوب البنا في إدارة الخلاف الكبير الأول في تاريخ الجماعة كان مؤشراً إلى بداية اللجوء إلى العنف كما جاء في المسلسل، فقد يجوز القول أيضاً في المقابل إنه أرسى مبدأ الانتخاب في الجماعة، فالمثبت تاريخياً أن اختيار مسئول شعبة الإسماعيلية تم بالانتخاب، وأن الخلاف كان على مدى سلامة الإجراءات المتبعة في الاقتراعين اللذين أجريا لاختياره".

ويشكك المؤلف المسكين في قدرات البنا - على لسان الرداد - فيؤكد أن هذا الجهد الكبير ليس من إنتاجه وحده، ويصوره في مشهد آخر بصورة العاجز، فهو كلما ضاقت به الحال - وكثيراً ما تضيق - يضطرب فلا يستطيع الكلام، ويردد: لا حول ولا قوة إلا بالله.

أما إخوان (2006) فلا يسلمون من أذى وحيد في هذه الحلقة - وبقية الحلقات بالطبع - فالأستاذ عاكف يقرأ مقتطفات - في أحد المشاهد - من رسالة التعاليم تؤكد معاني السمع والطاعة والثقة في القائد، حيث يتم التركيز على هذه الجمل والضغط عليها كثيراً.. وفي مشهد آخر حوار عن محاولة

الإخوان لإنشاء قناة فضائية وعاكف يؤكد "لو 40 أو 50 مليون دولار مش مشكلة" (أي: أن أموالنا كثيرة والحمد لله، والدعم والتمويل الخارجي مستمران لم ينقطعاً!!).

أما المشهد (الخائب) فهو غضب (عاكف) على نساء الجماعة، وترديده لألفاظ لا يفولها إلا حامد وإخوانه، حيث يصدر - أي عاكف - أوامر للتنفيذيين بأن تنزل الأخوات المظاهرة.. "واللي مش حتروح المظاهرة تروح بين أهلها" (معلوم أن عمل الأخوات في الجماعة اختياري، والزوج فقط هو من يستطيع أن يقول: زوجتي تعمل أو لا تعمل).

الحلقة الرابعة عشرة:

اجتماعات في الظلام وإمام دميم الوجه ذو صوت أجش يصلي في إحدى شعب الإخوان يقرأ من سورة القيامة بما فيها من تخويف وتهديد ووعيد هؤلاء هم الإخوان أراد المؤلف المنصف أن يقولها للمشاهد الساذج الذي سمع في الحلقة نفسها عقيدة الإخوان والتي لن يصدق بعدها كل ما يقوله حامد وممثلوه الأفاضل.

وفي تحدٍّ صريح لكل موثيق العمل الإعلامي يكذب وحيد ويتحرى الكذب فيقول إياك نصار على لسان البنا: على الجامعة أن تعزز نفسها بالأثرياء والوجهاء وهذا مخالف لصفات الجماعة التاريخية التي تؤكد: البعد عن هيمنة الكبراء.

ويخوف المؤلف الأقباط من الإخوان وهي خطة الدولة نفسها فيتطرق إلى حديث البنا عن المبشرين بصورة تقلق الطرف الآخر ويشكك أيضاً في قصة ذكرها الإمام في مذكراته عن رؤية رآها لشباب كاد أن ينتصر، وهدف وحيد من ذكر القصة زيادة جرعة تخويف الأقباط من ناحية والتشكيك كما ذكرت في روايات البنا ومذكراته من ناحية أخرى.

الحلقة الخامسة عشرة:

يحذر المؤلف الحكومة من خطر الإخوان المسلمين فإنهم حسب رأيه يقدرّون أهمية الإعلام ولذا ينشئون مشروعات الطباعة وغيرها وهذا تحريض واضح وحرمان الإخوان كمواطنين من أبسط حقوقهم.

مشهد لمجموعة من الإخوان يتدربون على نماذج لبناذق خشبية يقوم بتدريبيهم شخص كريبه الوجه، وتبدو المجموعة المتدربة عنيفة شرسة متعطشة للدماء.

في لقاء يجمع قادة حزب الوفد مع زعيمهم النحاس باشا يتم التأكيد خلاله على أن البنا صنيعه الملك والإنجليز، وفي اللقاء نفسه يتم الطعن في الخلافة على لسان النحاس: (حسن البنا ده عاجبوا إيه في الخلافة؟) طبعاً هذا من كذب وحيد حيث لم يقل التاريخ إن النحاس كان ناقماً على الخلافة.

الحلقة السادسة عشرة:

من جديد ينفر المؤلف المشاهد من حسن البنا الذي يظن نفسه نبياً مرسلاً فعبد الرحمن البنا يخطب والإمام يبدو فرحاً بما يقول شقيقه وخصوصاً عبارة: إن فضيلة المرشد يربي الإخوان كما ربي الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

ومن جديد أيضاً، ينفر المؤلف المشاهد في الخلافة التي يدعو إليها الإخوان حيث يدور حوار بين طالب إخواني وزميل له يعرفه بدعوة الإخوان فيقول الأخير: كلمني عن أي شيء إلا الخلافة العثمانية، الخلافة العثمانية لم تحكم بالعدل والدولة الأموية عملت إيه؟!!

مشهد مضحك لمجموعة أطباء من الإخوان يستغلون مجموعة من البسطاء كي يرددوا شعارات الجماعة، في مقابل العلاج الاقتصادي أو العلاج بالمجان أراد وحيد أن يضحك المشاهد بهذه اللقطة إلا أن الجميع ضحك عليه إذ في هذه الفترة لم يكن الإخوان قد أنشأوا المستوصفات بعد.

يتذكر المؤلف فجأة كلاً من محب الدين الخطيب ورشيد رضا فيخنتق لهما مشهدين في هذه الحلقة مع البنا، يؤكد في اللقاء الأول أن لقاءاتهم كانت سرية ومشبوهة حيث تعقد في الظلام والكلام فيها بالهمس.. أما اللقاء الثاني فجعله خصيصاً لوصم البنا بالجبن وبعدم الوطنية وبأنه وجماعته يناون بأنفسهم عن مواجهة المتاعب.. حيث عرض الشيخان الخطيب ورضا على الإمام ضرورة مواجهة الإنجليز فكان يراوغ ويتصل مبتعداً بنفسه عن تلك المواجهة، زيف وحيد طبعاً تاريخ مصر في هذا المشهد فأين جهاد الإخوان في القناة إذا؟ سوف نشير إلى هذه القضية لاحقاً.

مشهد آخر مضحك حيث يستقبل الإخوان البنا بعد عودته من رحلة الحج ويتعاملون معه كأنه شيخ طريقة صوفية يقولون فيه الشعر وهو جالس (منشكح) وقد تحولت المناسبة إلى جلسة للسباق.

في مدح وتقديس البنا هذا الكلام لا يعرفه الإخوان ولا يسمحون به من الأساس وهذا ما رباهم عليه البنا نفسه.

من أكثر المشاهد سقوطاً في هذا المسلسل والتي فضحت المؤلف ومن يقفون وراءه في مشهد السخرية من الأخ الداعية الدكتور عمرو خالد، بطريقة تحمل كل معاني الإثم والزور فهو يختلس النظرات الشهوانية إلى المذيعة ويتاجر بالدين ويكذب على من حوله ومن أجل المادة يمكن أن يحتمل الإساءات والطرده من مكتب مدير القناة الفضائية فضلاً عن قلة علمه وضحاياه حتى أن طالباً في معهد التمثيل يمكن أن يقوم بما يقوم هو به على حد قول مدير القناة.

أما الإخوان؛ إخوان 2006 فلم يسلموا من السب والشتم المباشر في هذه الحلقة فجاء على لسان صلاح عبد الله أنهم طائفة منغلقة على نفسها لا يعرف أحد عنهم شيئاً لا يتزوجون من غيرهم ولا يزوجون غيرهم استثماراتهم الضخمة مقفولة عليهم، ويخوف المؤلف المشاهد من الانضمام إليهم أو التقرب منهم عن طريق وكيل النيابة الرداد الذي يؤكد باعتباره رجل قانون أن من له ملف يبقى طول عمره بدون تقطيع.

الحلقة السابعة عشرة:

الرواية الكذاب عزت العلايلي بمنطقه التأمري الذي يفسر كل خير يأتي من الإخوان على أنه شر يؤكد في هذه الحلقة: أن حسن البنا كون فرقة مسرحية شارك فيها أكبر وأشهر الممثلين لا لأنه يعترف بالمسرح أو يحبه وإنما لكي يخدم به الدعوة بدليل أنه لم يدخل السينما ولو مرة واحدة، ولم يزر الأهرامات سوى مرة واحدة انظروا إلى عبقرية المؤلف.. ويؤكد العلايلي بمنطقه التأمري أيضاً أن إخوان اليوم لا يعترفون بالمسرح. يبدو حسن البنا في هذه الحلقة تابعاً للقصر انتهازياً متأمرًا وخصوصاً في مشهدين أحدهما إثر وفاة الملك والآخر أثناء لقائه بعلي ماهر. أمنية حياة وحيد حامد العلماني أن يدع الإخوان السياسة وأن يعترفوا بفصل الدين عن الدولة ولا يجد الكاتب وحيد عصره سوى الشيخ طنطاوي جوهرى (عبد الرحمن أبو زهرة) ليجري هذا الرأي الغريب عن الإسلام على لسانه والذي بالتأكيد لم يقله وإنما هي كذبة من كذبات وحيد إذ يقول الشيخ جوهرى للينا: السياسة تفسد الدين والدين يفسد السياسة سوف نرد على هذا الرأي الفاسد لاحقاً.

تدليس آخر من جراب المؤلف الكفاء يخرج هذه المرة متهمًا به الإمام الشهيد حسن البنا؛ ليبدو الأخير كالذي يلعب بالبيضة والحجر، فعندما يطلب علي ماهر نصيحة البنا لتجميل صورة الملك أمام الشعب ينصحه البنا بالصلاة أمام الجماهير، والتردد على المساجد قائلاً: أنا دليته على السكة. كان الإمام البنا أبعد الناس عن المظاهر، وقد ذكر نجله الأستاذ سيف الإسلام في حوار لموقع (إخوان أون لاين) أن مجلة المصور أجرت حواراً مع والده في 3 يوليو 1947م والتقطت في هذا الحوار عدة صور له وهو يصلي، فأرسل خطاباً يطالب فيه بألا تُنشر هذه الصور قائلاً: "لا أشجع أن يُعلنَ عن صلاة أو تعبد فتلك لله وحده".

وإذا كان لفظ الخلافة مما يشتمز منه المؤلف ولا يود سماعه أبداً، فقد حاول للمرة الرابعة نفي المشاهد منه على لسان النحاس باشا الذي طعن في الخلافة التي ينادي بها البنا، مؤكداً أن الخلافة كانت على عهد الخلفاء الراشدين فقط، "لكن إيه اللي شفتوه من الخلافة العثمانية". وما زال النحاس باشا يشتم ويسب في الإخوان، ووحيد يهدف من وراء ذلك أيضاً أن يوقع العداوة والبغضاء بين الطرفين الحاليين، خصوصاً بعد قيادة الوفد الجديدة واحتمالات وجود تحالف انتخابي كما حدث عام 1984م فهو يقطع الطريق على هذا التحالف باستدعاء العداوات القديمة، وبإظهار النحاس كأحد الكارهين للإسلام.

وإذا كانت جماعة الإخوان لم ولن تكون جماعة دراويش، إلا أن وحيد يحاول إلى تلك الحقيقة؛ لينفّر الناس من الجماعة ومؤسسها، فالبنا في أحاديثه وخطبه يبدو كمن يُحضر الجان، وشباب الإخوان قليلو الذوق، ومستمسكون بقشور الدين، بعيدون عن واقع المجتمع، فأحد الداخلين إلى المركز العام (موفد من علي ماهر باشا) يلقي على المجتمعين بالمركز تحية المساء (مساء الخير)، فيلقته أحد شباب الإخوان درساً في أصول التحية، وأنها لا بد أن تكون: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحلقة الثامنة عشرة

تعد هذه الحلقة من أكثر الحلقات التي يبدو فيها المؤلف مضطرباً ربما لكثرة ما طرحه خلالها من أكاذيب، فتاهت منه خيوط اللعبة، فظهر حقه على الجماعة ومؤسسها بصورة جعلته يتعرض بعد إذاعة الحلقة لانتقادات فنية شديدة، فالحوارات ساذجة، وضحلة الأفكار، ولا تليق بحسن البنا، ولا بالسياسيين الذين وردوا بالحلقة، وقد أنزل المؤلف البنا منزلاً لا يصدق عاقل، فحسن البنا ينزل نفسه منفرداً كي يشتري السلاح من تجاره، والتفاصيل مضحكة، وأمام المؤسس في حوار مع أحد إخوانه يسأله عن أحوال الأحزاب وحجم الإخوان كمن لا يعرف شيئاً عن جماعته (من عاصروه، يؤكدون أنه كان يملك ذاكرة حديدية، وقدرة عجيبة على تحليل الأحداث والوقائع، وعلى استقراء واستنباط النتائج التي ما خرجت عن توقعاته يوماً ما).

وفي الحلقة مشاهد حاول المؤلف أن يؤكد فيها تجنّب العنف داخل الجماعة منذ تأسيسها على يد البنا الذي كان يشتري السلاح بنفسه كرجل عصابات، وكان يستمع لشرح استعمال المسدس من أحد معاونيه من ضباط الجيش الصاغ محمود لبيب، والذي في نيته أي البنا أن يقتل به كل من

يقف في طريق الدعوة مسلماً كان أو غير مسلم، حاكماً أو محكوماً، وهذا سرُّ المشهد الذي يستمع فيه البنا عندما كان في زيارة لإخوان طنطا لصوت الشيخ رفعت وهو يقرأ آية سورة المائدة ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ (30)﴾ فأخذته الرجفة، وأمر على الفور بإطفاء الراديو.

الإلحاح.. الإلحاح.. هذه طريقة وحيد حامد الفاشلة في توصيل أفكاره وأفكار النظام الفاسد الذي كلفه بهذا العمل المسف، فإنه يحشد الفكرة والفكرتين على مدار الحلقة الواحدة أو الحلقتين على الأكثر يُنوع خلالها المشاهد؛ ليوصلها إلى المشاهد، معتمداً على الكذب تارة وعلى التحريف تارة أخرى، فيعيد في هذه الحلقة قصة التخويف من الخلافة على لسان النحاس باشا الذي يقول: إن الخلافة تعني الاستبداد، ولمزيد من الطعن في الإخوان يضيف: "جماعة الإخوان ضد الدولة المدنية" هذا كلام غير صحيح بالمرّة.

كما يعيد قصة اتهام الإخوان بالعمالة؛ حيث استخدمهم الملك لمجابهة الوفديين تارة، ولتأييده والتهافت باسمه تارة أخرى. ومن مشاهد الإلحاح أيضاً: اتهام الإخوان بالسذاجة والدروشة؛ لإبعاد الشباب عن طريقهم، وفي هذه الحلقة ترى أحد شباب الإخوان لا يشغله في احتفال طنطا سوى تصحيح مفاهيم عامل الميكرفون الذي يردد أثناء تجربة الصوت 1، 2، 3 فيقول له الأخ لا تقل 1، 2، 3، ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم.. وفي هذا الاحتفال ترى أيضاً اليفط الساذجة، والتهافتات الساذجة، والشخصيات الساذجة التي تُقبّل يد المرشد، وتسمح به كأنه نبي. وأخيراً يختمها وحيد ختاماً أراه غيبياً وعنصرياً، فالبنا يعطي بعد إلحاح نقيب معلمي التعليم الإلزامي الحق في عقد اجتماعاتهم في شعب الإخوان، بعدما ضاقت بالنقابة الحال ولم تجد مقرأً يأوي هؤلاء الزملاء، فماذا فعل وحيد بهذا الموقف؟ اعتبر ذلك فكراً أصيلاً في الإخوان، هذا الفكر يقوم على سرقة النقابات واستغلالها لخدمة الجماعة، وقد اختلق حواراً يبشر فيه البنا أنصاره بالاستعداد لاستقبال النشء الذي صارت نقابة معلميه في عب الإخوان.

الحلقة التاسعة عشرة

النحاس يسخر من الخلافة للمرة (...)، واضح أن التعليمات: كفر حزب الوفد. هذه الحلقة مخصصة لـ(الإخوان والعنف) فهناك أكثر من مشهد لأعضاء الجماعة، وهم يتدربون على الأعمال العنيفة، وحسن البنا في زي عسكري لأول مرة يتحدث مع مساعده عن الجيش السري. وطلاب الإخوان بالجامعة بلطجية، اعتدوا بالضرب على طلبة مصر الفتاة.

الحلقة العشرون

عاد الراوية الكذاب عزت العلايلي ليقول، وهي بالطبع أفكار المؤلف: الملتزمون يكذبون دائماً، التحايل حاجة مش غريبة عن هؤلاء الناس - يقصد إحدى المنتقبات وأباها المتدين. من الإلحاح في هذه الحلقة: حركة تقبيل يد المرشد، والملك مبسوط من الإخوان؛ لأنه يستخدمهم لكسر شوكة الوفد، وإظهار البنا بمظهر لا يليق بمكانته في نفوس الإخوان؛ حيث لا يعبأ به الملك وهو في المقابل يبدو مهموماً حزينا حريصاً على مقابله. سؤال من الذي أعطى وحيد حامد تلك الجرأة العجيبة على الكذب والتزوير إلى درجة إتيانه بوقائع سجلتها أدبيات الإخوان وأدبيات غيرهم بل سجلتها محاضر وقاضيا رسمية ثم يستعرضها بطريقة أخرى معاكسة تماماً لما جاءت في المصادر التي أشرنا إليها؟ على سبيل المثال يخلق وحيد مشهد ساعة إنشاء التنظيم الخاص، يؤكد فيه البنا لمن بايعوه من مؤسسي التنظيم على قتل من يفشي سر التنظيم، فالخائن يُقتل، ولا أدري من أين جاء بهذا الكلام؟ ثم ألا يخشى نتائج هذا الكذب حتى على سمعته ومهنته. في هذه الحلقة يخطط البنا بنفسه لجمع السلاح في مشهد له مع أحد المزارعين، المشهد طبعاً من اختراع المؤلف؛ ليؤكد للمُشاهد أن العنف عند الإخوان أصل وأساس، وإلا لما قام مؤسس الجماعة بنفسه بالترتيب لشراء السلاح، وتدريب أفراد الجماعة عليه.

الحلقة الحادية والعشرون

محاولات مستميتة من جانب المؤلف؛ لإقناع المشاهد بعملية فصل الدين عن الدولة، وإبعاد الدين عن أمور السياسة، "ما لنا ومال السياسة" جملة وردت في مشهد لأحد الإخوان أثناء عتابه للإمام الشهيد، بسبب خطئه الدين بالسياسة، المشهد طبعاً من اختراع وحيد، سنتحدث في الصفحات المقبلة عن علاقة الإسلام والإخوان بالسياسة، وهو لم ولن يحدث.

محاولات أخرى لإهالة التراب على البنا من جانب المؤلف؛ حيث يختلق مشهداً يجمع البنا بمجموعة من زملائه المُدرّسين يتعرض فيه لسخريتهم، فينسحب منكمس الرأس خاسراً؛ حيث لم يستطع الرد على أسئلتهم حول هتلر وجيوش المحور، لاحظ الكذب والتدليس.. البنا بعلمه الفياض ونيوع صيته في ذلك الوقت وزعامته لجماعة كانت نهابها الدنيا بأسرها لا يستطيع الرد على مجموعة من زملائه البسطاء، وهو الذي أوقف مدير التعليم الإعدادي متحيراً أمام حججه ومنطقه، وهو ما زال طفلاً.

الحلقة الثانية والعشرون

موسيقى تصويرية مصاحبة للصلاة لا تتناسب مع جلال الفريضة استمرت لفترة طويلة، كان غرض المؤلف والمخرج طبعاً: تشريح المصلين، والتفتيش في نياتهم، وفضحهم أمام المشاهد، فهؤلاء الإخوان الذين يبذون خاشعين في الصلاة وراءهم ما وراءهم من المصائب والأحداث. عودة إلى وصم الإخوان بالعنف، حسن البنا يقول للسندي في مشهد مكذوب ساعة تسليمه قيادة الجهاز السري بعد سفر محمود عبد الحليم: "من لا يدين لك تخلص منه في نفس الوقت، واحرص على ألا يكون شوكة في ظهرك".

مشاهد مكذوبة مكررة ومملة، مشهد البيعة على المصحف والمسدس؛ لتأكيد العنف، ومشهد تقبيل يد المرشد؛ لإظهار قداسته عند الإخوان، ومشهد حصول الإخوان على إعانات من الملك؛ لتأكيد عمالتهم الدائمة لآخرين، ومشهد يطالب بفصل الدين عن السياسة لتتحية الإسلام وقيام العلمانيين بالدور، أما المشهد الأخير فهو أهم المشاهد بالنسبة للمؤلف، فهو مكلف بتهيئة الأجواء للانتخابات المُقبلة بإبعاد الإخوان عنها بأي طريقة فيقول على لسان النحاس باشا: خليكوا في الدعوة خليكوا في الدعوة.

يكره وحيد - كما قلنا - كل ما هو إسلامي، وإن كانت جرعة الإخوان تفوق غيرهم، فهو يكره الخلافة، والنقاب، واللحية، والوهابيين إلخ، وفي هذه الحلقة يصب حامد جام غضبه على الحزب الوطني القديم ذي التوجه الإسلامي، فيؤكد على لسان النحاس باشا - أحمد راتب - أنه حزب رجعي منذ أول تأسيسه.

ولا يسلم البنا في الحلقة مثل باقي الحلقات من التقليل من شأنه، إذ يبدو في أحد لقاءاته بالنحاس باشا منزوياً صغيراً، ويبدو الباشا في المقابل متعاليًا عليه يعامله معاملة الأسياد للعبيد.

الحلقة الثالثة والعشرون

أكاذيب فجة امتلأت بها هذه الحلقة، وأفكار غريبة يتحدث بها البنا وأعضاء الإخوان، لا يقولها إلا وحيد وإخوانه العلمانيون، ففي أحد المشاهد يؤكد البنا لوزير الداخلية فؤاد سراج الدين أن الإخوان يفصلون بين الدين والسياسة بقوله: "عُمَرْنَا ما فكرنا نشغل بالسياسة". وفي الحلقة أيضاً يؤكد المؤلف أن الإخوان حاولوا قتل أحمد ماهر، وهذا كلام كاذب. وفي الحلقة كذلك عقب تزوير الانتخابات البرلمانية، وعدم نجاح البنا يقول عبد الرحمن السندي: ربنا فوق والبنا في الأرض، فكيف لا ينجح في الانتخابات.

أما الإلحاح على المشاهد لتقبل فكرة عنف الإخوان فلا يزال مستمرًا، فأحد المحاضرين من المنتمين للتنظيم الخاص يؤكد في حضور السندي أن الخارج عن الجماعة خارج عن جماعة المسلمين، وليس له بالتالي إلا السيف، الإخوان يقولون منذ نشأتهم إنهم جماعة من المسلمين وليسوا جماعة المسلمين، وهو ما سنتحدث عنه لاحقاً.

الحلقة الرابعة والعشرون

هذه الجماعة عبارة عن عصابة لها زعيم ومساعدون، أما الزعيم فهو البنا، وأما المساعد الرئيسي فهو عبد الرحمن السندي - مسئول التنظيم -، وببساطة شديدة وجرأة أشد على الكذب يبني المؤلف مشاهد الحلقة على هذه الفكرة التي لا تجدها سوى في خياله المريض، فالبنا يبدو في أشد حالات الفرح بعد سماعه اعتداء أحد شباب الحزب الوطني (محمود العيسوي) على أحمد ماهر، ويصف الشيوعيين بأنهم كفرة، وسوف نورد لاحقاً مقالاً حول قضية الإخوان والتكفير، وأضاف إلى أنه شخص انتهازي يجيد المساومة؛ للحصول على مكاسب شخصية فيقول لإخوانه بعد تولي النقراشي الوزارة: "الإيد اللي متقدرش تقطعها تبوسها"، ويتحدث عن حرب الإنجليز باعتبارها موقفاً سياسياً وليست منطقاً جهادياً كما يظن البعض.

أما عبد الرحمن السندي فهو شخص لا يعرف إلا الدماء، منزوع الرحمة، لا يعرف شيئاً عن الأخلاق والقيم الإسلامية، فهو يبصق في وجه أحد أفراد التنظيم، ويغلق عليه الحجرة موعزاً لأحد مساعديه بالتصرف معه.

ولا تخلو الحلقة من تلك المشاهد المكررة المملة، ففاروق-أحمد الفيشاوي- يدعي أنه كان يعطي الإخوان دعماً مادياً، وفاروق أيضاً يطعن في الخلافة، وحسن البنا يبدو كقط صغير أمام النقراشي وأمام يوسف رشاد.

الإخوان مصدر خطر للأقباط، هكذا يقول وحيد حامد على لسان النقراشي باشا؛ لمحاولتهم تطبيق الشريعة الإسلامية، (كأن الإخوان وحدهم هم الذين يطالبون بتطبيق الشريعة، هذا كلام لا يقوله إلا العلمانيون، أما الأقباط فكثير منهم لا يعارضون تطبيق الشريعة بما فيهم بابا الأقباط نفسه).

الحلقة الخامسة والعشرون

اقترب المؤلف من النهاية، فلا بد بالطبع من تسويد صفحة الإخوان، وإصاق التهم بمؤسسه، وإقناع المشاهد بأنهم قتلة سفاحون يستحلون دماء المسلمين، من أجل ذلك يختلق وحيد وقائع لم تحدث، وحوارات من صنع خياله أجراها على لسان أبطال مسلسله؛ لتتم الحبكة التي هي في الحقيقة فضيحة تاريخية بكل المقاييس.

يدعي وحيد أن البنا هو الذي أمر بقتل الخازندار بشكل غير مباشر؛ حيث قال أمام السندي: "لو حد يخلصنا منه، ربنا ينتقم منه" ففهم السندي أن هذا أمر له من المرشد بالقتل، وهذا كذب بالطبع، وقد تأثر البنا تأثراً بالغاً لهذا الحادث، وحزن حزناً شديداً، وقال للسندي: "أي شيطان علمكم هذا الأمر؟ الذي لا هو في الشرع أو الدين أو المذهب ولا سمعنا به في أي نظام" واستطرد: "هذه الجريمة في عنق السندي، وسؤال عنها بين يدي الله". يلحظ المشاهد أن المخرج قد أطل جذاً في مشهد مقتل القاضي الخازندار لاستدراج عطفه على القتل وأبنائه، وفي المقابل شحذ غضبه على القاتلين اللذين ينتميان للإخوان، وعلى الجماعة كلها.. وقد مَطَّ المخرج في استعراض منظر الدماء ليبقي هو المنظر العالق في ذهن المشاهد، ويغطي على ما يسمعه أو يراه من إيجابيات ومحاسن للإخوان.

أما حظ البنا في التشويه في هذه الحلقة، فيبدو في مشهد مدسوس دسه المؤلف على الإمام الشهيد وهو منه براء، إذ يدفع البنا - عندما علم بمقتل الخازندار - الموظف الذي أبلغه الخير دفعة قوية لا يصدق كل من رآها - ممن عاصروا الإمام أو سمعوا به - أن تكون قد وقعت إلا من حسن البنا العلماني الذي اخترعه وحيد مؤخرًا.

نكتة المسلسل محمود عساف يقترح على البنا لماً رآه مهموماً بسبب قضية الخازندار أن يشغل الرأي العام بالجهاد ضد الصهاينة، وهذا يمثل قمة الإسفاف، وستحدث في الصفحات المقبلة عن دور الإخوان في دعم القضية الفلسطينية وقضية الجهاد.

الحلقة السادسة والعشرون

في هذه الحلقة والحلقتين التاليتين، وهي الحلقات الثلاث الأخيرة يتم التركيز على تشويه الإمام المؤسس والطنن فيه بشتى الطرق.. فتبدو قضية فلسطين غير حاضرة في ذهنه، وإنما كل ما يهيمه هو إرضاء الحكومات المحلية وإرضاء الملك، من أجل الإبقاء على جماعته وزعامته لها، ويبالغ المؤلف في كذبه، فيصور لنا مشهداً يجمع البنا مع مرتضى المراعي مدير الأمن العام، أدعى فيه أن البنا قال له: إحنا ملناش دعوة بجلالة الملك بس يمنع حل الجماعة، يروح يلعب قمار يشرب خمر يسهر في علب الليل.

يُظهر المؤلف الشخصية الإخوانية مماثلة مكروهة مكشوفة الوجه.. فإبراهيم (ترزي العباسية) يتمتع عن إخلاء منزل مواطنة بسيطة رغم حاجتها الشديدة إليه كي تزوج فيه ابنتها إلا أنه لا يراعي الجوانب الإنسانية، ولا يعرف شيئاً عن أعمال البر والإحسان وتقديم العون للآخرين.

الحلقة السابعة والعشرون

تلخص هذه الحلقة هدف المسلسل كله في جملة مقتضبة قيلت في نهاية الحلقة على لسان إبراهيم عبد الهادي (رياض الخولي) قال: أنا عايز مصر من غير إخوان.. وهذا هو مطلب الصهاينة والأمريكان والحكومات الفاسدة العميلة والعلمانيين وأشباههم.. أما ما قيل قبلها في الحلقة فهو تهديد ووعيد مبطن للإخوان، بأنهم إذا استمروا في منافسة الحزب الحاكم فسوف يلقون مثل ما لاقاه حسن البنا من إهانة وذل على يد عبد الرحمن عمار، وقد رأى المشاهد كيف بكى البنا بطريقة عبيطة كمجرم صغير مستعظفاً المسؤولين للإبقاء على جماعته بدون حل.

والحلقة تحاول أيضاً نفس ما تبقى في ذهن المشاهد من تصورات إيجابية حول تلك الأسطورة المسماة (حسن البنا) فهو: تناقض أفعاله أقواله، ويقدم التنازلات، ويتذلل للمسئولين، وينهار انهياراً تاماً؛ لأنه فقد أمراً كان يحبه، هذا الأمر هو زعامة الإخوان المسلمين.

الحلقة الأخيرة

يبدو البنا في آخر مشهد- وهذا هو المطلوب زرعه في ذهن المشاهد قبل مغادرته المسلسل- مسكيناً ضائعاً نادماً على ما قام به من الاشتغال بالسياسة والعمل العام.

الكذبة قبل الأخيرة الجماعة شغالة في التجارة، وفيها ناس عايزين زعامة، وناس بتُصرف لهم رواتب، وناس.. هذه الكذبة ساقها المؤلف على لسان مصطفى مرعي باشا، ليشكك شباب الإخوان في قادتهم، وليوهم المشاهد العادي أن هذه الجماعة ليست جماعة دعوة ترعى الحق وأمور الدين، ولكنها طائفة أُسست من أجل المصالح والمكاسب الشخصية.

آخر وأغبي كذبة أدعى وحيد أن القنبلة التي فجرها شفيق إبراهيم أنس في محكمة الاستئناف نتج منها أكثر من 25 قتلاً، والواقع يكذبه إذ لم يُصب فيها مواطن واحد.

المسلسل

رؤية كلية

الدكتور إبراهيم بيومي غانم

يكتب عن مسلسل " الجماعة " *

يعبر مسلسل " الجماعة " الذي عرضته الفضائيات في رمضان الماضي أصدق تعبير عن "بؤس الدراما المصرية"، التاريخية منها والاجتماعية، وقد ذكرنا هذا المسلسل بكتاب قرأناه منذ زمن بعنوان: "بؤس الفلسفة" لكارل ماركس، ولكن بالمقلوب، فماركس كان يدعو في هذا الكتاب إلى التغيير وتجديد النظر للعالم، أما وحيد حامد كاتب سيناريو " الجماعة " فيدعو إلى المحافظة على الوضع القائم، وتسليح المبارزين الجدد بسيوف قديمة في الصراعات الراهنة بين القوى السياسية المصرية.

مسلسل " الجماعة " دراما تاريخية، وهو كأى عمل درامي له إيجابيات وسلبيات يختلف تقديرها باختلاف زوايا النظر إليه، والحبكة الدرامية في رأينا هي أهم الإيجابيات، والأرجح أن محصلتها النهائية ستكون في صالح الجماعة؛ لأن هذه الحكمة ستحبيب الشيخ وجماعته للأجيال الجديدة من الشباب المتحمس، فالمسلسل أظهر لهم حسن البناء في صباه نشيطاً ذكياً، وفي شبابه قوياً غيوراً يرتدي زي الجواله، وأحياناً زياً حربياً، ويشرف على تدريبات شبه عسكرية، وفي أواخر أيامه رأوه مظلوماً محاصراً، ومثل هذه القدوة يفقدها الشباب في الواقع الراهن، ولن يقلل من ذلك كثيراً أن السيناريست وحيد حامد أبكى الشيخ دون سند من حقائق التاريخ، وسيرة الرجل في حضرة بعض مسئولى الحكومة، وذلك ليظهره منهراً ضعيفاً لا حول له ولا قوة، ومن ثم يخدش شخصيته "الكاريزمية"، ويزيح بعض البريق المحيط به.

وفي رأينا أن التركيز على انفصال الإسلام عن السياسة، وإدانة الجماعة ومؤسستها من هذه الزاوية بشكل منظم ورتيب عبر جميع حلقات المسلسل بلا استثناء، وكذلك التركيز على أحداث العنف، وتأصيل هذه النزعة عند الجماعة ومؤسستها، والإلحاح عليها في أغلب الحلقات، هما أهم رسالة إدانة وجهها المسلسل إلى الجماعة، دون أن يكون لديه أدلة موثوقة من أدبيات الشيخ والجماعة، ولا وقائع من سجلات الأحداث التي شهدتها مصر في الثلاثينيات والأربعينيات.

سنقدم في المقالات التي نبدأها اليوم أدلة تاريخية من السجلات والوثائق الرسمية تبرهن على أن المسلسل من حيث صلته بالوقائع التاريخية الموثقة ضعيف جداً، وأن مضمونه الدرامي فقير جداً، وأنه قد ذبح التاريخ بسكين باردة، كان واعياً بما فعل أم لم يكن.

الأستاذ وحيد حامد في برنامج "واحد من الناس" (2010/9/16) قال إن مسلسل " الجماعة " أعاد للدراما المصرية مجدها، والواقع أنه فوّت هذه الفرصة، وجاء المسلسل الذي يتناول شخصية مؤسس الإخوان المسلمين، وتدور أحداثه في فترة من أخصب فترات تاريخ مصر الحديث سياسياً، وثقافياً، وفنياً، وأدبياً خلال الربع الثاني من النصف الأول من القرن العشرين، جاء فقيراً شديد الفقر في مضمونه الدرامي ومشاهده التي تحاول أن تحاكي الواقع، إلى جانب أنه جاء مضطرباً في مساره التاريخي العام، وزاد على هذا أنه ألقى في روع كثيرين من مشاهديه أن الدراما باتت "في خدمة السلطة"، بدلاً من أن تكون في خدمة المجتمع، بالطريقة نفسها التي باتت بها "الشرطة في خدمة القانون"، بدلاً من أن تكون في خدمة الشعب.

من شاهد مسلسل " الجماعة "، وقرأ كتاب "حسن البناء: متى وكيف ولماذا" لرفعت السعيد، وكتاب "الإخوان والتنظيم السري" لعبد العظيم رمضان، وهما من ألد خصوم الجماعة ومنهجها الفكري، سيكون من السهل عليه جداً أن يكتشف أن أغلبية مادة السيناريو الذي كتبه الأستاذ وحيد حامد مأخوذة من هذين الكتابين، وهما أسوأ ما في بضاعة رفعت السعيد وعبد العظيم رمضان، فهما لم يتركوا مجالاً للشك في أن حسن البناء كان من جنس الشياطين، وأنه "رجعي" عتيق، وإن صح هذا وإن صح أيضاً ما ذهب إليه رفعت السعيد في كتاب آخر له عن أحمد حسين زعيم مصر الفتاة أنه "فاشي عتيق"؛ فمعنى ذلك أنه لم يكن أحد قلبه على مصر في الثلاثينيات والأربعينيات إلا "هنري كوربيل" اليهودي مؤسس الحركة الشيوعية التي انتمى إليها عبد العظيم رمضان لفترة، ورفعت السعيد دوماً، على حد ما قاله صديقنا الماركسي المرحوم الدكتور أحمد عبد الله رزة.

وقوع وحيد حامد في أسر الكتابين المذكورين هو السبب الأساسي وراء كثرة الأخطاء التاريخية التي غص بها المسلسل، أما بقية قائمة الكتب والمصادر التي ظهرت يوماً في نهاية تتر المسلسل، فالأرجح أن الأستاذ وحيد لم يستفد منها إلا بأقل القليل، بما في ذلك كتابي المعنون "الفكر السياسي للإمام حسن البناء"، وبقية الكتب والمذكرات التي ذبل بها حلقات المسلسل.

لا تكمن مشكلة وحيد حامد فقط في أنه وقع أسير "رفعت السعيد"، و"عبد العظيم رمضان"، وإنما وقع أيضاً أسير رؤيته الأيديولوجية، وهو يكتب مسلسلاً درامياً تاريخياً، وكانت النتيجة أنه صور " الجماعة " على أنها "ضد" على طول الخط، لقد أظهر الجماعة ومؤسستها في صورة "ضد" لكل شيء، حتى إنها صارت "ضد" ذاتها، وضد الإسلام، إضافة إلى ضديتها للمجتمع والدولة والقانون،

وهذا غير معقول، ولا دليل عليه لا من وقائع التاريخ ولا من حقائق الواقع، فقط إنها لعنة "الأيديولوجيا" التي هي أعدى أعداء الدراما الناجحة، فهما ضدان لا يلتقيان: "الأيديولوجيا" تنتمي لعالم "اليوتوبيا" غير المتحقق، والدراما تنتمي لعالم الواقع الإنساني المترع بالصراع بين الخير والشر، ولسنا نشك أن الأستاذ وحيد يعرف هذا الفرق جيداً.

وقد وجدت في نفسي القوة والعزم على الكتابة حول ما قدمه المسلسل وما أثاره من جدل، بعد أن انتهى عرض جزئه الأول في شهر رمضان الماضي، وبعد أن استكملت مشاهدة بعض حلقات كانت فاتنتي، وبعد أن قرأت أغلب ما أثير حوله في وسائل الإعلام والمدونات والمواقع الإلكترونية، ودفعني للكتابة سببان:

السبب الأول: هو أن الأستاذ وحيد حامد وضع عنوان كتابي "الفكر السياسي للإمام حسن البنا" ضمن قائمة طويلة من الكتب والمذكرات والبحوث التي من المفترض أنه قرأها، واستعان بها في كتابة سيناريو هذا المسلسل، وبعد أن شاهدت المسلسل وجدت أن مضمونه لا صلة له بمضمون كتابي، وتساءلت: لماذا إذا وضعه في قائمة مراجعه؟ هل فعل كما يفعل بعض طلابنا في الدراسات العليا عندما يزيفون رسائلهم للمجستير أو الدكتوراه بعناوين مراجع لم يطلعوا عليها، أو اطلعوا ولم يستفيدوا منها، ويضعونها فقط للإيهام بالجدية والموضوعية؟.

والسبب الثاني: هو واجبي في المشاركة في أداء الأمانة العلمية باعتباري باحثاً أكاديمياً، وأن أشرك في تصويب بعض الأخطاء التي تناولها المسلسل، بشأن قضايا سبق أن أشبعتها بحثاً، وقرأتها في مصادرها الأولية، خاصة المقالات التي كتبها الشيخ نفسه (وإجمالي عددها 1030 مقالة منشورة في ثمان من الصحف والمجلات التي صدرت في الثلاثينيات والأربعينيات من القرن الماضي)، وكذلك رسائله ومذكراته والخطب والتسجيلات الصوتية وهي مجموعة ومنشورة، إلى جانب الوثائق الرسمية للجماعة من قوانين ولوائح تنظيمية، وسجلات ومحاضر اجتماعات ومؤتمرات دورية، ومحاضر تحقيقات رسمية في قضايا مختلفة، وتقارير أجنبية محفوظة في الأرشيف البريطاني المعروف اختصاراً بـ(F.O)، هذا فضلاً عن البحوث والدراسات الأكاديمية التي تناولت تاريخ الشيخ والجماعة في تلك الفترة، بما فيها قائمة المراجع التي أوردها الأستاذ وحيد في نهاية "تتر" المسلسل، وزيادة على كل ذلك، كان لي حظ فتح المكتبة الخاصة للشيخ حسن البنا أثناء إعداد دراستي الجامعية عنه سنة 1989م، بعد أن ظلت مغلقة أربعين عاماً متواصلة، وقمت بجرد محتوياتها، وتصنيفها تصنيفاً عاماً، وكتبت عنها دراسة وأقية لم يقبل نشرها إلا المرحوم غالي شكري رئيس تحرير مجلة (القاهرة)، والدراسة منشورة في عددها الصادر في ديسمبر سنة 1993م (ص18 - 62).

الفكرة المركزية في فن "الدراما" هي أن الخير والشر يتواجدان ويتصارعان في النفس الإنسانية، وفي وقائع الحياة اليومية، وأنه لا دراما تقوم على الخير والنقاء فقط، ولا على الشر والفساد فقط، بل لا بد من هذا وذاك باعتبار أن الدراما هي أعلى مراحل التحقق الإنساني بخيره وشره في الواقع الاجتماعي.

والهدف الأساسي للفن الدرامي هو اكتشاف الطريق إلى الحرية، ومن ثم فإن الدراما بمعناها الصحيح لا بد أن تكون في خدمة المجتمع؛ ولكن مشكلة وحيد حامد في هذا المسلسل هي أنه وضع الدراما في خدمة السياسة والصراع حول السلطة، مشكلته أنه حول الدراما إلى طريقة للتفكير بدلاً من أن تكون وسيلة للعمل من أجل الحرية، وهنا بالضبط فقدت دراما "الجماعة" وظيفتها الفنية في الدلالة على أنسب الطرق إلى الحرية.

الأستاذ وحيد أكد في مقالاته وحواراته حول المسلسل، أن الدراما لا تعني "غسل" الشخصيات من الذنوب، ونحن نوافق على ذلك تمام الموافقة، ونرى أن معه الحق كله في قوله هذا؛ ولكن من الحق أيضاً أن الدراما لا تبيح للدراماتست أن يضيف من عنده سينات أو ذنوباً لم يرتكبها الشخص، ولا أن يحذف من حسناته ما يشاء، ووقائع المسلسل تؤكد أنه قد أضاف الكثير من السينات إلى صحيفة حسن البنا، وإلى صحائف سينات الجماعة، وحذف من حسناته وحسناتها الكثير أيضاً، وهو ما سنبرهن عليه إن شاء الله.

قصة النظام الخاص

ودراما تقبيح الحسن

هدفان لا ثالث لهما، نشأ من أجلهما النظام الخاص سنة 1939 على أرجح الروايات التاريخية:

الهدف الأول هو مقاومة الاحتلال البريطاني في مصر،

والثاني هو التصدي للخطر الصهيوني في فلسطين، وإزاحة أية عقبات قد تعترض قيام الجماعة بهاتين المهمتين.

هذا ما تشهد به وثائق تأسيس النظام، وسجلات أعماله، كما تشهد مذكرات كبار رجال الإخوان الذين انفصلوا عنهم والتحقوا بنظام عبد الناصر مثل الشيخ أحمد حسن الباقوري. وتشهد الوثائق أيضاً بأن بعض أفرادهم قد انحرفوا عن هذا التوجه الأساسي، وقاموا بارتكاب بعض الجرائم بدافع الحمية والشطط، وليس بدافع التوجيه والأوامر التنظيمية.

ولعل أكثر الصفحات غموضاً والتباساً في تاريخ الجماعة، هي صفحة هذا "النظام الخاص". والغموض هنا ناتج عن "سرية" هذا التنظيم، من جهة، وفقدان الموضوعية في التأريخ له حتى الآن من جهة أخرى؛ سواء من جانب المتعاطفين مع الجماعة، أو من جانب خصومها، ونادراً ما نجد دراسة محايدة حول هذا الموضوع الشائك.

اختار الأستاذ وحيد أن يقف خارج دائرة الحياد العلمي وغلبته نزعة تسييس التاريخ، وتسخيرها في خدمة الدراما والأيدولوجيا، وهو يتناول قصة النظام الخاص، وقد صورَ هذا "النظام" في المسلسل من الحلقة رقم 20 إلى الحلقة رقم 28 بصورة غير تاريخية، ونزعه من سياقه نزاعاً؛ فأسقط كل مساهماته في القضية الوطنية المصرية، وقضية فلسطين، وأبقى فقط على قضايا العنف والاعتقالات التي تورط فيها بعض أعضائه دون أوامر من قيادته، وخطها مع تلك التي تمت بأوامر واستهدفت الاحتلال الإنجليزي والصهاينة في فلسطين ومصالحهم في مصر.

وأضاف على هذا الخلط جرائم لم تثبت سجلات القضاء تورطهم فيها مثل اغتيال أحمد ماهر باشا سنة 1945م، ولو كانت ثمة شبهة في تورطهم باغتياله لما خلت منها أوراق الدعوى "محكمة الشعب" التي حوكم فيها الإخوان بتهمة محاولة اغتيال عبد الناصر، وقد اتهمتهم تلك الأوراق بكثير من الجرائم قبل الثورة وليس منها جريمة اغتيال أحمد ماهر

(انظر: كتاب "محكمة الشعب" في جزئه الأول الخاص بمحاكمة محمود عبد اللطيف في قضية المنشية سنة 1954م، فيه من ص34- ص38، سرد لجميع حوادث الاعتقالات والنسف والتفجير والأقوال التي نسبت للإخوان والجهاز الخاص قبل سنة 1952م، ولا إشارة فيها لمقتل أحمد ماهر).

كان وحيد حامد أميناً في عرضه لأهداف النظام الخاص في الحلقة رقم 20 من المسلسل وهي: شن حرب على الاستعمار البريطاني، وحماية الدعوة، وإحياء فريضة الجهاد؛ ولكنه أسقط مهمة أساسية وهي مواجهة الخطر الصهيوني، والمشاركة في الدفاع عن فلسطين.

وأغلب المصادر التاريخية تتحدث عن أن هذه المهمة كانت من الأسباب التي شجعت الشيخ والجماعة على تكوين جهاز عسكري مسلح إبان الحرب العالمية الثانية، خاصة بعد أن داعت الأنبياء عن استعدادات العصابات الصهيونية بالسلح والتدريب لتنفيذ وعد "بلفور" فور انتهاء الحرب، وكذلك فإن وقائع تلك المرحلة وحوادثها ووثائقها تؤكد أن الاستعداد لمواجهة الخطر الصهيوني كان دافعاً لنشأة النظام العسكري للإخوان؛ وتشهد بهذا أيضاً محاضر التحقيقات في القضايا الكبرى وأهمها قضية السيارة الجيب، وسجلات محكمة الثورة، وسجلات محكمة الشعب، التي تلت قيام ثورة يوليو.

تشير الوثائق التاريخية إلى أن نهاية الثورة الفلسطينية الكبرى سنة 1939م توافقت مع نشوب الحرب العالمية الثانية في السنة نفسها، وأن الاتصالات بين الشيخ حسن البنا والحاج أمين الحسيني كانت قد توثقت، وعرف منه أن ما ينقص الفلسطينيين هو السلاح والمال والتدريب العسكري. وكانت ظاهرة القمصان الملونة (الزرقاء للوفد، والخضراء لمصر الفتاة، والسوداء للحرس الملكي الحديدي) منتشرة في مصر رغم صدور قرار وزاري بمنعها سنة 1937م، وكانت أطماع الصهيونية في فلسطين تتزايد، وكانت مواقف الحكومة المصرية ترحي، وتلين.

هنالك نبئت فكرة تكوين قوة مسلحة لمواجهة هذا الخطر، إلى جانب الاستعداد لمواجهة الاحتلال الإنجليزي.

ولدينا ما نعتبره البيان التأسيسي للنظام الخاص، وهو عبارة عن رسالة رسمية وجهها البنا إلى رئيس الوزراء محمد محمود باشا سنة 1938م، بمناسبة صدور الكتاب الأبيض البريطاني الذي كان يبحث عن طريقة لإخماد الثورة الفلسطينية؛ لأن غيوم الحرب العالمية كانت تتجمع آنذاك، وتريد بريطانيا أن تتفرغ لمواجهة هتلر وأطماعه.

وجاء الكتاب الأبيض مخيباً لآمال الفلسطينيين، ومنحازاً للعصابات الصهيونية المعتدية، فوصفه الشيخ البنا في رسالته تلك بأنه "كتاب مشؤوم"، وكتب- ما نعتبره مرة أخرى- البيان التأسيسي للنظام الخاص، فقال:

"منذ قامت الثورة الإسلامية في فلسطين والإخوان يسهمون مع جنود تلك الثورة الرائعة بأموالهم.. وكنا نحاول دائماً أن نهدي من ثائرتهم، أملين أن تصل الحكومات العربية لحل يحقق للمسلمين آمالهم وللعرب حقوقهم.. ولقد شجعنا على انتهاج سبيل التهذئة ما كنتم تصرّحون به رفعتكم أن مصلحة القطر الشقيق تقتضي سير المفاوضات في جو هادئ، ولقد كنا متوقعين برغم ذلك أن الإنجليز واليهود لن يفهموا إلا لغة واحدة هي لغة الثورة والقوة والدم، ولكن تحاشينا أن نتعجل الحوادث حتى لا يكون لأحد حجة علينا، إن اضطررتنا الحوادث فيما بعد إلى أن نسلك السبيل الذي ترضاه ضمائرنا.

والآن (سنة 1938) وقد جاهر الإنجليز واليهود في كل أنحاء العالم، حتى يهود أمريكا التي تتخذ الحياد شعاراً لها في كل مشاكل العالم (لاحظ أنه يتحدث سنة 1938م)، الآن وقد جاهر الإنجليز واليهود المسلمين العداء، أصبح لزاماً على كل أخ مسلم أن يؤدي واجبه بما يرضي الله ورسوله، وبما يحفظ للإسلام كرامته، ولللدين قداسته، ولذلك الجزء الطاهر من الوطن الإسلامي حريته".

وفي رسالة أخرى منه إلى الشعب الفلسطيني وهي طويلة جداً - ناقش خدعة التمييز بين معتدلين ومتطرفين (حرفياً كأنه يتحدث اليوم)، التي يمارسها الإنجليز، وقال مخاطباً الفلسطينيين:

"لا يكون متطرفاً من يطلب الحياة لنفسه، ولا معتدلاً من يطمئن للذبح"

(مجلة النذير - العدد 15 - السنة الثانية، 11 ربيع الثاني 1358هـ)؛

ذلك هو البيان التأسيسي للنظام الخاص، وكل الروايات التاريخية تؤكد أنه نشأ في سنة 1939م أي بعد وقت قليل من تاريخ كتابته.

وقد عثرت في المكتبة الخاصة للشيخ البنا على نسخة من كتاب ابن الساعي المسمى "الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير"، ولاحظت أنه وضع خطوطاً في ص 228 عند الفقرات التي تتحدث عن "نظام الفتوة" الذي ظهر في القرن السابع الهجري في زمن الناصر لدين الله، وكان نظاماً حربياً يتكون من خلايا، بكل منها عشرة أفراد، وعليهم "عريف"، وعلى كل عشرة عرفاء نقيب، وعلى كل عشرة نقباء "قائد"، وعلى كل عشرة قادة "أمير"، وكان لهم زى حربي متميز، وقويت هذه التنظيمات لما ضعفت الدولة العباسية عن مواجهة الفوضى الداخلية والهجمات الخارجية.

وأغلب الظن أن التشكيل التنظيمي للنظام الخاص قد بدأ في ذهن الشيخ من تلك السطور، وكل المصادر التي تحدثت عن الهيكل العام للنظام الخاص تؤكد أنه لا يختلف كثيراً عن تلك التنظيمات التي تحدث عنها ابن الساعي، وقرأها الشيخ البنا وعلم عليها بقلمه في نسخته الخاصة من الكتاب؛ ومن المؤكد أنه تأثر بظاهرة "القمصان"، وبضغوط الواقع وتحدياته، وأنه أيضاً طور فكرة "الفتوة" وعدلها، وأضاف إليها.. وفي كل الأحوال لا يصح إغفال هذه الواقعة من قصة نشأة النظام الخاص.

أما المسلسل فقد أظهر قصة النشأة معزولة عن تلك الملابسات، وصورها على أنها رغبة عدمية في ممارسة العنف، وهذا غير صحيح، ومحض خيال، ولا صلة له بأصول كتابة الدراما التاريخية.

وثائق تلك المرحلة وقضاياها تشير إلى خطأ المسلسل في تصويره لدور النظام والأخطاء الفردية التي ارتكبها بعض أفرادها، وأسقط وحيد حامد تماماً دور النظام في قضية فلسطين، وأيده في ذلك بعض كتاب المقالات،

وهنا سنورد مقتطفات من شهادات الحاج أمين الحسيني، مفتي فلسطين آنذاك، واللواء أحمد فؤاد صادق، واللواء أحمد المواوي وكانا قائدين لحملة الجيش المصري في حرب فلسطين سنة 1948م، وكذلك شهادة الصاغ محمود لبيب، وكل هؤلاء كانوا من كبار الشهود في قضية السيارة الجيب.

وشهاداتهم تبين بعض معالم الحقيقة التاريخية لدور النظام الخاص في فلسطين:

1- من شهادة الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين الأكبر آنذاك - في قضية السيارة الجيب:

س: هل كان لجماعة الإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين؟

ج: الحاج أمين: نعم كان للإخوان المسلمين حركة مشاركة في حرب فلسطين منذ البدء، وقاموا بدعاية لها، ثم شاركوا بأنفسهم في سنة 1936م في أثناء الجهاد هناك، وجمعوا أسلحة وذخيرة، وذهب فريق منهم إلى الجهاد هناك، واستمروا على ذلك يعنون بهذه القضية ويخدمونها بأنفسهم وبجهودهم وبكل ما يستطيعون حتى النهاية".

س: هل كان بعض رجال الهيئة العربية العليا (لإنقاذ فلسطين) كالمرحوم عبد القادر الحسيني أو غيره يستعينون ببعض الإخوان في جمع الأسلحة وشرائها؟

ج: نعم كان عبد القادر الحسيني بك وغيره يستعينون بالإخوان المسلمين في شراء الأسلحة والذخيرة، ويدفعون ثمن هذه الأسلحة.

س: هل تعرف أن من بينهم محمود الصباغ؟ (وهو عضو بارز في النظام الخاص وصاحب كتاب حقيقة التنظيم الخاص، وكتاب التصويب الأمين لما نشره بعض القادة السابقين، واعتمده وحيد حامد مرجعاً لمسلسله).

ج: نعم، قد كان أحد الذين كلفوا من قبل عبد القادر بك الحسيني وغيره لشراء الأسلحة...".

وتمضي التحقيقات على هذا النحو، وفيها تحدث الحاج أمين عن عزم الشيخ البنا إرسال عشرة آلاف من الإخوان إلى فلسطين ليشاركوا مع المجاهدين، وعن علم النقراشي باشا بأن الإخوان كانوا يجمعون السلاح لتزويد الهيئة العربية العليا لإنقاذ فلسطين، وأكد أن أهداف "المرحوم الشيخ حسن البنا والإخوان كانت لمصلحة المسلمين خاصة، ولخيرهم ولإنقاذهم مما هم فيه من ذل وبلاء، وقال: "ولا أعتقد أنها تعمل أي شيء يخالف الشرع من العنف والقتل والإرهاب".

وختم شهادته بالرد على السؤال التالي:

س: ألم تفهموا من حديث النقراشي باشا أن الأسباب التي دعت حكومته للاستيلاء على أسلحة الهيئة العربية- التي كان يجمعها الإخوان- هي الخوف من تسرّب الأسلحة في حوادث داخلية بمصر؟
ج: لا، لم يذكر لي شيئاً من هذا
(وعند انصراف سماحته حياه الإخوان أعضاء النظام الخاص في قفص الاتهام في قضية السيارة الجيب بالهتافات: دماؤنا فداء فلسطين.. فلسطين عربية وستعود عربية).

2- من شهادة اللواء أحمد فؤاد صادق- قائد عام الجيش المصري في حملة فلسطين 1948م:

س: نريد أن نعرف رأي سعادتك بصفنكم قائداً عاماً لحملة فلسطين عن موقف الإخوان المسلمين المتطوعين في هذه الحرب وفي ميدانها؟
ج: كانوا جنوداً أبطالاً، أدوا واجبه على أحسن ما يكون.

س: هل يسمح الباشا أن يذكر لنا وقائع معينة تدل على البطولة؟

ج: نعم سمعت بعد وصولي لرئاسة القوات من قلم المخابرات العسكرية أن اليهود يبحثون دائماً عن مواقع الإخوان ليتجنّبوا في هجومهم، فبحثت عن حالتهم من الناحية الفنية وأمرت بتمرينهم أسوة بالجنود، ودخلوا مدارس التدريب، وأصبح يمكن الاعتماد عليهم في كثير من الأحوال التي تستدعي بطولة خاصة، مثلاً: أرسلتهم من دير البلح إلى ما يقرب من 100 كيلو إلى الجنوب لملاقاة الهجوم الإسرائيلي على العريش، فاستبسوا وأدوا واجبه تماماً، واشتركوا أيضاً في حملة الدفاع عن موقع 86 في دير البلح، وأعطيتهم واجباً من الواجبات الخطرة، فكانوا في كل مرة يقومون بأعمالهم ببطولة استحقوا من أجلها أن أكتب لرياسة مصر أطلب لهم مكافأة بنياشين، وذكر لبعضهم للشجاعة في الميدان، وبعضهم ذكر اسمه في الأوامر العسكرية، واتصلت بالحكومة في ذلك الوقت (حكومة النقراشي)، وطلبت منها مساعدة هؤلاء بأن يعطوهم أعمال (أعمالاً) عندما يعودوا ويعاونوا (يعودون ويعاونون) أسره، والحكومة ردت ووافقت وأرسلت تأخذ معلومات عنهم، وكان هذا تكريم الحكومة لهم.

س: هل نفذت الحكومة هذا الوعد؟

ج: ما أعرفش، ولكن عندما طلب مني اعتقالهم، رفضت، ووضعتهم تحت حراستي الخاصة.

س: هل زرت معسكر الإخوان بفلسطين؟

ج: "كثيراً".

3- من شهادة اللواء أحمد على المواوي بك، قائد عام حملة فلسطين - قبل اللواء صادق:

س: عند دخول الجيوش النظامية أرض فلسطين بقيادتكم، هل كان فيها متطوعون من الإخوان المسلمين؟
ج: نعم، لأنهم سبقوا بدخولهم القوات النظامية.

س: هل استعان الجيش النظامي ببعض الإخوان لبعض العمليات الحربية أثناء الحرب كطلّاع ودوريات وما إلى ذلك؟
ج: نعم، استعنا بالإخوان المسلمين واستخدمناهم كقوة حقيقية تعمل على جانبنا الأيمن.

س: ما مدى الروح المعنوية بين الإخوان المسلمين؟

ج: الواقع أن كل المتطوعين من إخوان وغيرهم كانت روحهم المعنوية قوية جداً وقوية للغاية.

س: هل تعرف عدد المتطوعين من الإخوان؟

ج: بلغ عدد المتطوعين من الإخوان وغيرهم ما يقرب من عشرة آلاف.

س: هل تعلم أن متطوعي مصر معظمهم من الإخوان؟

ج: أنا أعرف أن الإخوان كانوا أكثر من الفئات الأخرى.

- في شهادة الصاغ محمود لبيب، نجده يؤكد أن حكومة النفراسي فتحت لهم معسكرًا للتدريب في الهايكستب، وعينت لهم مدربين من الجيش المصري، وذلك تحت مظلة الهيئة العربية العليا لإنقاذ فلسطين التي كان يرأسها علوية باشا، وكان صالح حرب وحسن البنا عضوين فيها، وندت الهيئة بالتطوع، وكان أكثر المتطوعين من الإخوان المسلمين بنسبة 90%، وكان التسليح والتدريب يتمان بعلم الحكومة وتحت عينها وبصرها.

تلك بعض المشاهد والشهادات من قضية السيارة الجيب؛ ولكن الأستاذ وحيد حامد في المسلسل أظهر النظام الخاص في صورة شائهة، واختزله في صورة أداة مسلحة لممارسة العنف ضد الدولة وضد الخصوم السياسيين للجماعة وضد الشعب المصري أيضًا! ومثل هذا الصورة واهية الصلة بالحقيقة التاريخية.

وحيد حامد و(تزوير)

علاقة الدين بالسياسة

ليس من حق منتقدي الأستاذ وحيد حامد أن ينكروا عليه إدراكه الخاص لانفصال الدين عمومًا والإسلام خصوصًا عن السياسة؛ ولكن أعتقد أن من واجبه هو أن يستمع ويحترم الآخرين الذين لهم وجهة نظر مختلفة، تؤكد ارتباط السياسة بالإسلام تحديدًا، وتشدد على أنه نظام شامل ومنهج حياة، وهي صلب دعوى الإخوان ومؤسس جماعتهم، ومن واجبه أيضًا ألا يترك لأيديولوجيته الخاصة أن تتحكم في وقائع التاريخ، ولا أن يعطي لنفسه الحق في تغييرها أو اختلاق شيء منها.

ولكن ما حدث هو أن الأستاذ وحيد من أول المسلسل إلى حلقاته الأخيرة ترك العنان لقناعاته الخاصة بانفصال علاقة الإسلام عن السياسة؛ كي تهيمن على مجريات حياة الشيخ، وتحكم بالإدانة والتشيع على الشيخ والإخوان؛ لأنهم يخلطون - من وجهة نظره - الدين بالسياسة، ولهذا أظهرهم في المسلسل وكأنهم في أغلب الأحوال يرتكبون عملاً مؤثماً، كونهم يهتمون بشئون السياسة والحكم ويدلون برأيهم فيها، ويعلنون مواقفهم منها، ولسنا نجادل الأستاذ هنا في خطأ أو صواب اعتقاده بانفصال الإسلام عن السياسة والحكم، فهذا اختيار فكري وموقف معرفي/ نظري، وليس هنا مجال مناقشته أو تفنيده.

ما نناقشه هو اتهام الأستاذ وحيد للشيخ وجماعته بأنهم يسعون لإقامة دولة دينية، ثيوقراطية، أو استبدادية، وأنهم ضد الدولة المدنية بل ومعادون لها، والإتيان بهذه التهمة على لسان النحاس باشا صراحة (أحمد راتب في الحلقة رقم 18 من المسلسل)، وهذه التهمة لا أساس لها من أفكار الشيخ، ولا من أفعال الجماعة، بل إن كل الوثائق الفكرية للرجل، والممارسات العملية للجماعة كانت ضد مثل هذا التوجه على طول الخط.

البنا في وثائقه الفكرية هو الذي قال:

"إن الإسلام قرر سلطة الأمة، وأكدها"، وأن من واجب الشعب مراقبة تصرفات الحكومة ومناقشتها الحساب، وأن على الحكومة أن تعمل لمصلحة الشعب، وتحترم الرأي العام، وأن "الأمة مصدر السيادة، وصاحبة السلطة"

(مقالات ورسائل عديدة للبننا، منها مثلاً: مقالة بالجريدة الأسبوعية سنة 1936م، وأعيد نشره بنصه في عدد 2 أبريل سنة 1946م، ورسالة "إلى

الطلاب" سنة 1939م، مجموعة الرسائل ص313-315)،

وهو الذي قال وكرر القول:

"إن رجال الإسلام في كل عصر من عصوره إلى الآن لم يدعوا إلى أنفسهم سلطة أكثر مما يؤهلهم علمهم، ولم ينازعوا الأمر أهله بعضًا من الأيام.. فأين هذا من سلطان الإكليروس في أوروبا؟، وما ادعوه إلى أنفسهم من سلطان على قلوب الناس، وحياة الناس الدنيوية والأخروية"

(مجلة التعارف العدد 4-3/9-1940م).

(رسالة نحو النور، ص86)،

وإن قواعد نظام الحكم الإسلامي ثلاثة هي: مسئولية الحاكم، واحترام إرادة الأمة؛ لأنها مصدر السلطة، ووحدة الأمة، وأعلن موقفه وموقف جماعته من النظام النيابي الدستوري بعبارة واضحة، ومنها، "إن نظام الحكم النيابي الدستوري أقرب نظم الحكم القائمة في العالم كله إلى الإسلام، ونحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم النيابي الدستوري باعتبارها متفقة، بل مستمدة من نظام الإسلام" (رسالة المؤتمر الخامس، ص192، 193)، وهو الذي أدان الخلافة العثمانية؛ لأنها لم تكن شرعية بالمعنى الكامل، "فكثير من الشروط كان مفقوداً فيها..". (مجلة النذير عدد 4- السنة الثانية 22 محرم 1358هـ).

وبناء على هذه الرؤية أعلن "قبول الإخوان دستور 1923م، وأن القواعد الأساسية له لا تتنافى مع الإسلام"، ولكن فيه بعض الغموض، وركز نقده على المفارقة بين نصوصه والممارسات الحزبية المتهرئة في ذلك الحين، (مقالة بمجلة النذير، بعنوان "القرآن والدستور"، عدد 31 السنة الأولى 11 من ذي الحجة 1357).

لم يلتفت مبدعنا وحيد حامد إلى شيء مما ذكرناه، وأصر إصراراً غريباً على اتهام الشيخ بأنه داعية دولة دينية "ثيوقراطية"، وراح يبحث عن أدلة على صحة اختياره الأيديولوجي هو أي وحيد حامد، الذي يفصل الإسلام عن السياسة وشؤون الحكم، وهنا خرج مرة أخرى عن منطق الدراما ووظيفتها التنويرية، فهو قد راح يؤكد عبر كثير من تفاصيل المسلسل أن الإخوان تحولوا في أواخر الثلاثينيات من "جماعة دينية إلى جماعة سياسية واقتصادية لها طموح في الحكم"،

ولكن هذه الدعوى غير صحيحة، ليس فقط لأنها مخالفة لوقائع التاريخ كما سنوضح، وإنما أيضاً؛ لأنها مخالفة لأصل الرؤية التي انطلق منها الشيخ البنا عن "الإسلام الشامل" الذي لا فصل فيه بين دين وساسة، أو مصحف وسيف، أو اقتصاد ومجتمع.

وعندما يقوم وحيد حامد بإدانة اقتناع الجماعة ومؤسسها بشمولية الإسلام وارتباط السياسة به، فإنما هو يقيم من نفسه ليس معارضاً لأفعالهم فقط، وإنما وصياً فكرياً عليهم، وحارساً لرؤية العلمانية لعلاقة الإسلام بالسياسة، مثل حراس الكهنوت الكنسي القديم، وهو قد فعل هذا وذلك، واضطرته هذه المهمة التي ليست له إلى أن يغير بعض حقائق التاريخ، أو يصورها في غير صورتها، وكان أهم أخطائه في هذه النقطة أنه تصور وجود مرحلتين في تاريخ الشيخ وجماعته:

مرحلة الجماعة الدينية، ومرحلة الجماعة السياسية، بينما وقائع التاريخ، وأصول الوثائق الفكرية للشيخ وجماعته تؤكد أن رؤية الإسلام الشاملة للدولة والمجتمع كانت واضحة منذ البداية الأولى لتأسيسه الجماعة، بل إنه ما فكر في تأسيسها إلا لأن الفهم الجزئي للإسلام لم يعجبه ولم يقتنع به!، وظلت معه إلى آخر نفس، ولم يراجع نفسه في أواخر حياته إلا في جدوى الجمع بين ممارسة الدعوة وممارسة السياسة في كيان تنظيمي واحد، وحتى هذه المراجعة أظهرها المسلسل بصورة خاطئة، عندما صور الشيخ وكأنه يندم على فهمه الشامل للإسلام، مردداً في الحلقة الأخيرة "ولذلك خلق الله الندم".

ونحن مع المؤلف في أن الشيخ قام بالمراجعة، وهذه حقيقة تاريخية لا يمكن إنكارها، ولكنها كانت في جوهرها مراجعة وظيفية وليست معرفية، كانت حركية تنظيمية وليست أصولية عقائدية، وقد توقفت بموت البنا، وفشلت جماعة الإخوان المصرية في القيام بها منذ ذلك الحين إلى اليوم كي تميز مهمة القيام بالمشاركة السياسية، عن أداء مهمة الدعوة الإسلامية.

لم تبدأ جماعة الإخوان دينية، ثم تحولت سياسية طامحة للحكم، كما يصورها المسلسل، بل كانت من يومها الأول جماعة شاملة، تعمل في السياسة بمعناها الواسع الذي يتجاوز مجرد التنافس الحزبي على السلطة، مثلما كانت تعمل في الدعوة والإصلاح الاجتماعي، وكان التدرج سمة أساسية من سمات منهجها الحركي، فانتقلت من الدعوة والتعريف بفهمها للإسلام، إلى جمع الأتصار وتكوين الكوادر، إلى خوض معارك الإصلاح والتغيير، بما فيها المعارك الحزبية والانتخابية،

والقول بغير ذلك يساوي القول بأن الطفل حديث الولادة يجب أن يدعو فور ولادته، أو ما يساوي القول إن الجماعة في سنة 1928م، أو 1930م مثلاً كان عليها أن تنظم المظاهرات، وتخوض الانتخابات، وتواجه قوات الاحتلال الإنجليزي، وتعارض الملك، مثلما فعلت هذا وأكثر منه بعد ذلك بدءاً من أواخر الثلاثينيات، وهذا ما لا يقول به أحد.

وفي نظرنا أن الجماعة ارتكبت خطأ تاريخياً، بإصرارها منذ بداية تكوينها على أنها لا تسعى إلى السلطة، ولا تتطلع للمشاركة في الحكم، وكأن مثل هذا المسعى سبب أو تهمة، ولا تزال سادرة في هذا الخطأ إلى اليوم، بينما هي منشغلة بقضايا الإصلاح السياسي والتغيير، تدفعه إلى الأمام حيناً وللخلف أحياناً، الأمر الذي سهّل على خصومها اتهامها باستمرار، بأنها تُظهر غير ما تبطن، وتستغل الدعوة الدينية لتحقيق مآرب سياسية.

لو رجع الأستاذ وحيد حامد إلى سجلات التاريخ سيجد أن للجماعة نظاماً أساسياً/ قانوناً صدر سنة 1931م، وفيه رؤية واضحة لشمول الإسلام للسياسة والحكم وجميع شئون الحياة، وأنها عقدت أربعة مؤتمرات عامة من سنة 1933م إلى سنة 1936م، بمعدل مؤتمر كل سنة، وكانت منتظمة، بينما كان الوفد أكبر الأحزاب عاجزاً عن عقد مؤتمره العام بشكل دوري، وسيجد في محاضر تلك الاجتماعات قرارات إنشاء شركات اقتصادية وإعلامية، ومشروعات للخدمة الاجتماعية، ومناقشات مستفيضة لقضايا السياسة والحكم في مصر، وقضايا العالم الإسلامي، وتحديد موقف واضح من الأحزاب السياسية، وتحديد وإعلان رؤية الجماعة من الأفكار القومية، والوطنية، والأخوة الإسلامية، وإعلان صريح برفض معاهدة سنة 1936م، وإدانتها، والدعوة إلى إلغائها، في الوقت الذي كان حزب الوفد يسميها "معاهدة الشرف والاستقلال".

وسيجد مادة غزيرة تثبت أن الشيخ وجماعته أيدوا الثورة الفلسطينية الكبرى، ابتداءً من سنة 1936م، وتقارير المخابرات البريطانية عن تلك الفترة تؤكد ذلك.

وسيجد الباحث الجاد أيضاً سلسلةً من المقالات كتبها الشيخ البنا آنذاك في إصلاح السياسة التعليمية في المدارس المدنية وفي الأزهر الشريف ومعاهده جريدة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية أعداد سنة 1935م، وسيجد مقالات أخرى طالب فيها بتوحيد نظام القضاء، وإلغاء المحاكم المختلطة والامتيازات الأجنبية.

وسيجد كل ذلك مسجلاً ومنشوراً في أعداد جريدة (الإخوان المسلمون) الأسبوعية من عددها الأول بتاريخ 21 صفر 1352هـ / 15 يونيو 1933م إلى عددها الأخير بتاريخ 12 رمضان 1357هـ / 4 نوفمبر 1938م، وهي بالمناسبة محفوظة في دار الكتب المصرية بكونرنيش النيل).

ليس وحيد حامد هو أول من اخترع دعوى تحول الإخوان من جماعة دينية إلى جماعة سياسية جديدة، ولا حتى رفعت السعيد، ولا عبد العظيم رمضان، ولا غيرهم من المؤرخين اليساريين، أو العلمانيين خصوم الشيخ وجماعته، فأول ورود صريح لهذه الدعوى جاء في حوار نشرته مجلة (المصور) بتاريخ 2 مايو 1947م مع الشيخ حسن البنا، وقد فند الشيخ الدعوى بقوله "إن الإخوان يرون العمل بالسياسة أداءً للواجب الوطني الذي يفرضه الدين". ثم ظهرت الدعوى نفسها بعد أقل من عامين من حوار (المصور) معه، وذلك في نص المذكرة التي كتبها عبد الرحمن عمار وكيل وزارة الداخلية؛ ليبرر قرار الحاكم العسكري بحل الجماعة في ديسمبر 1984م (المذكرة منشورة في ملاحق الجزء الأول من كتاب: "محكمة الشعب"، (1954م) إعداد كمال كيرة، طبعة شركة النيل، ب. ت. ص 218).

وتناقلتها أقلام المؤرخين والكتاب منذ ذلك الحين إلى اليوم. اللافت للنظر أن تهمة التحول من جماعة دينية إلى جماعة سياسية ترددت بكثرة أيام البنا نفسه، ورد عليها الشيخ البنا بنفس القدر في حينها، ولا يزال كل فريق متمسكاً برؤيته، ولم يتقدم الحوار حول هذه القضية خطوة واحدة إلى الأمام منذ ما قبل ثورة يوليو إلى اليوم، ومسلسل الجماعة أعاد إنتاج القضية من جديد دون أن يقدم حلاً.

إن إصرار وحيد حامد في مسلسله على مقولة تحول الإخوان من جماعة دينية إلى جماعة سياسية، هو عمل أيديولوجي بحت، ولا صلة له بالدراما ولا بحقائق التاريخ ووثائقه المنشورة، ولا بالرؤية الفكرية للجماعة ومؤسسها، وبذلك أعطى الأستاذ وحيد لخصومه من الإخوان، والرعونة تغلب على بعضهم الفرصة لاتهامه بأن هدف المسلسل هو صناعة صورة انتهازية بشعة للشيخ وجماعته؛ كي ينفر الجمهور منها (راجع مثلاً حوار سراج الدين باشا مع الشيخ حسن البنا في الحلقة رقم 23 من المسلسل؛ حيث يورد السيناريو على لسان البنا كلاماً مختلقاً، يؤكد أن جماعته دينية وهم رجال دين فقط، وأن جماعته هي جماعة المسلمين، والخروج عليها هو خروج على الإسلام.. إلخ)، ومثل هذه الدعاوى ليس لها سند فكري ولا تاريخي صحيح، وخطورتها على الأجيال الجديدة أنها دعاوى تؤدي إلى تشويه التاريخ، وتشهيت الفكر، ولا تسهم في ترسيخ تقاليد قوية ومنطقية للحوار ومبادلة الحجة بالحجة.

وقع وحيد حامد أسيراً لإغواء "الدولة المدنية" بمعنى محدد يجعلها مرادفاً للدولة "العلمانية" التي تفصل الدين عن السياسة، وراح يردد حجة من أوهى الحجج التي يرددتها علمانيو أيامنا هذه، تقول إن "السياسة تفسد الدين، والدين يفسد السياسة".

وهذا القول يثير أكثر من تساؤل في أذهان كثير من الشباب مفاده:

إذا كنا نتحدث تحديداً عن الإسلام، وإن صح أن السياسة تفسده، فكيف يصح في الأذهان أنه يفسدها هو؟

وإذا كان الفساد كامناً في سوء استخدام السياسيين للإسلام، فأين بالضبط يكمن الفساد القادم من جهة الإسلام؟!

وبعيداً عن هذه المعضلة التي تكشف تهالوي هذه الحجة وتناقضها المنطقي، فقد اعتدى وحيد حامد على أصول الدراما التاريخية بهذه المناسبة، وفي مناسبات أخرى، سنذكرها عندما وضع هذه الحجة على لسان أناس لم ينطقوها، ولم تكن من مفردات ثقافتهم، ولا من قضايا أيامهم.

وضعها تارة على لسان النحاس باشا والوفديين عموماً، باعتبار أنهم كانوا يتهمون البنا بأنه "ضد الدولة المدنية" (في الحلقتين 17 و 18 مثلاً)، وتارة على لسان الشيخ طنطاوي جوهرى (الحلقة 18).

الصورة التي ظهر بها النحاس باشا وسراج الدين باشا في المسلسل تبرهن على أن وحيد حامد قد خرج من ساحة الدراما التاريخية، إلى الدراما غير التاريخية، أو الاصطناعية التي يكون فيها للمؤلف الحق في السير وراء خياله الفني والإبداعي؛ لتوصيل رسالته التي يدافع عنها، وليس لتقديم وقائع تاريخية تبدأ بقراءة الوثائق، ولا تستبجح تجاوزها إلا لضرورات فنية بحتة.

فليس في سيرة النحاس أو سراج الدين ما يشير إلى أنهما كانا أرعنين، فاقدي الأعصاب، أو مزدريين للآخرين، كما صورهما وحيد في الحلقة رقم 18 مثلاً، وأغفل وحيد حامد أو إنه لم يعلم أن النحاس باشا كان يحترم البنا، قبل أن يراه، وأنه عندما زاره في منزله بالإسكندرية في صيف سنة 1936م بمناسبة مطالبة حكومة محمد توفيق نسيم باشا بأن تعتني بالتعليم الديني في المدارس المصرية، ظنه النحاس "أحد العمدة" الذين يتألف منهم الوفد الذي زاره!.

ثم كانت الزيارة الثانية في فندق مينا هاوس، بناءً على طلب النحاس بمناسبة ترشح الشيخ للانتخابات في الإسماعيلية سنة 1942م، وقابله بكل احترام وتقدير كما تقول الصحف آنذاك.

وعندما أمر النحاس بإغلاق شعب الإخوان في كل أنحاء البلاد ما عدا المركز العام تحت ضغط السفارة البريطانية، تذرع الإخوان بالصبر، ولم يمض أكثر من ثلاثة أشهر حتى راجع النحاس نفسه، وأرسل وفداً وزارياً من حكومته لزيارة المركز العام للإخوان، وحضر إلى دار الإخوان كل من: معالي فؤاد سراج الدين باشا وزير الزراعة، ومعالي عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية، ومعالي محمود سليمان غنام وزير التجارة، ومعالي أحمد حمزة وزير التموين، والأستاذ محمد صلاح الدين، سكرتير مجلس الوزراء، وتحدثوا بكلام طيب، وأعلنوا تأييدهم لفكرة الإخوان الإصلاحية، وبإدلالهم المرشد العام التحية، وعادت المياه إلى مجاريها، كما نقلت صحف ذلك الوقت ومنها صحيفة (الإخوان) النصف شهرية بتاريخ 12 يونيو 1943م، وفيها أيضاً نص كلمة الشيخ حسن البنا بمناسبة زيارة وزراء الوفد دار الإخوان، ومما ورد في كلمته تأكيده على شمول الإسلام للسياسة وغيرها، وخصائص منهج الجماعة التدريجي في الإصلاح، وعدم تحزبهم لا للوفد ولا ضده، وترحيبه بتصفية الأجواء والخلافات مع الوفد... إلخ).

هل ثمة ضرورة فنية درامية لحذف مشهد زيارة رجال الوفد ووزرائه في المسلسل للمركز العام للإخوان؟

أليس هذا مشهداً رائعاً في دلالاته على انفتاح الوفد، ولبيراليته، مثل دلالاته على احترامه لخصومه السياسيين؟.

أليس في إحياء مشهد كهذا عبر دراما الجماعة ما يسهم في رأب الصدع الحاصل بين حزب حاكم وجماعة شعبية، أم أن هذا ليس من أهداف الدراما التاريخية؟! وما هدفها إذن؟.

وحيد حامد وهو يدافع عن مفهومه للدولة المدنية استباح أيضاً في مسلسله تاريخ الشيخ طنطاوي الجوهرى وشووه عندما وضع على لسانه مقولة أن "السياسة تفسد الدين والدين يفسد السياسة"، وهو ما لا أثر له في مؤلفات الشيخ طنطاوي، ولا في سيرته، ولا في أي بحث كتب عنه إلى اليوم.

اهتم المسلسل بإصاق تلك المقولة للشيخ طنطاوي، بينما أهمل الأهم وهو أن الشيخ رحمه الله كان عضواً بالجماعة، وكان أكبر من الشيخ حسن البنا سناً، وأكثر علماً ومقاماً لكنه بايعه، ورفض أن يتولى منصب المرشد العام عندما عرضه عليه البنا في بدايات تأسيس الجماعة، وتولى رئاسة تحرير أول جريدة للإخوان هي "الجريدة الأسبوعية" مدة خمس سنوات، منذ عددها الأول في 21 صفر 1352هـ إلى عددها رقم 21 من السنة الخامسة، وأغلقت بعد أن صدر العدد رقم 31 من السنة نفسها 1937م،

وكان الشيخ طنطاوي يلقب بـ"حكيم الإسلام"، وظل على رأيه إلى أن لقي وجه ربه، وهو يدعو إلى إقامة الحكم الإسلامي على أساس الشورى، ويدعم أطروحات الشيخ البنا في أن الإسلام دين وسياسة

(انظر مقالات الشيخ طنطاوي الافتتاحية بجريدة الإخوان الأسبوعية ومقالاته في صحف ومجلات أخرى، منها مجلة المعرفة الجزء التاسع السنة الأولى/ 1932م، بعنوان "الخلافة الإسلامية"، وفيها أكد أن الشورى أساس نشأة الخلافة، ويجب أن تظل الخلافة محكومة بها لا حاکمة عليها، وأن ما وقع من انحرافات في تاريخ الخلافة إنما كان عقاباً على ترك الشورى المنصوص عليها في القرآن".

المزيد من دراما تقبيح الحسن

نظم وحيد حامد لو قلنا إنه أنهى صورة النظام الخاص وقضية السيارة الجيب على هذا النحو الشائه، الذي ظهر في المسلسل ولن يرجع إليه، فقد يتناول في الجزء الثاني بقية القصة، خاصة أن التحقيقات في قضية السيارة الجيب استمرت سنتين وبضعة أشهر، منذ نهاية عام 1948م، وانتهت وصدر الحكم فيها نهائياً بتاريخ 17 مارس 1951م، ونص الحكم وحده يقع في 224 صفحة من ورق الـ"فولسكاب".

فقد نرى مثلاً في حلقات الجزء الثاني مشاهد من المحاكمات في قضية "الجيب" لأولئك الشهود، الذين ذكرناهم وهم ينصفون الجهاز الخاص والشيخ والجماعة، وقد يأتي وحيد حامد بمشهد ختامي لتلك المحكمة والقاضي ينطق بالأحكام على المتهمين أو يعرض بعض حثثيات الحكم الذي أصدرته، من يدري؟

وقد نرى إبراهيم عبد الهادي، الذي اغتيل الشيخ البنا في عهده، وأظهره المسلسل رجلاً حريصاً على أمن مصر ومصصلحة الشعب، واقفاً أمام محكمة الثورة برئاسة عبد اللطيف البغدادي سنة 1953م، ونسمع الاتهامات التي وجهت إليه وحكم عليه بسببها بالإعدام، ثم خفف للمؤبد، ومنها أنه أتى بأفعال من شأنها إفساد أداة الحكم، وذلك أنه في خلال عام 1949م هيا لأعوانه الأسباب، التي يسرت لهم قتل المرحوم حسن البنا، وعمل على تضليل التحقيق بقصد إفلات الجناة من العقاب؟

(ص64 من الجزء الأول من محكمة الثورة، أشرف على إعداده للنشر أمين حسان كامل).

وقد يأخذ الأستاذ في بقية أجزاء المسلسل بحكم القضاء الذي ميز بوضوح بين انحراف بعض أعضاء الجماعة، وبين أصولها الفكرية ورسالتها وتوجيهات قيادتها برئاسة الشيخ حسن البنا، وقد يقول كما قالت المحكمة:

إن الجماعة "ترمي إلى تطهير النفوس.. وإنشاء جيل جديد من أفراد مثقفين ثقافة رياضية عالية، مشربة قلوبهم بحب وطنهم والتضحية في سبيله بالنفس والمال"،

وكما قالت أيضاً: "ولما وجدوا أن العقبة الوحيدة في سبيل إحياء الوعي القومي في هذه الأمة هو جيش الاحتلال الإنجليزي الذي ظل في هذا البلد قرابة سبعين عاماً.. ولم تنته المفاوضات والمجادلات الكلامية إلى نتيجة طيبة، ثم جاءت مشكلة فلسطين وما صاحبها من ظروف وملابسات.

لما كان كل هذا، اختل ميزان بعض أفراد شباب جماعة الإخوان، فبدلاً من أن يسيروا على القواعد التي رسمها زعماءهم عند إنشاء الجماعة، والتي كانت تؤدي حتماً إلى تربية فريق كبير من الشعب وتثقيفهم وإعلاء روحهم المعنوية.. بدلاً من ذلك أرادوا أن يختصروا الطريق، فلنا منهم أن أعمال النسف تبلغ بهم أهدافهم من سبيل قصير.. وحيث إنه من هذا تبيين للمحكمة أن أفراد هذه الفئة الإرهابية لم يحترفوا الجريمة، وإنما انحرفوا عن الطريق السوي، فحق على هذه المحكمة أن تلقنهم درساً حتى تستقيم أمورهم ويعتدل ميزانهم..

على أن المحكمة تراعي في هذا الدرس جانب الرفق، فتأخذهم بالرأفة تطبيقاً للمادة 17 عقوبات نظراً لأنهم كانوا من ذوي الأغراض السامية التي ترمي أول ما ترمي إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره،

(انتهى ما نقلناه من الوثائق الرسمية للمحكمة في قضية السيارة الجيب).

وهل سنرى أيضاً هيئة المحكمة وهي تصدر حكمها ببطان قرار النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان، وتأمراً باستعادة وضعها القانوني واسترداد كل ممتلكاتها، التي صودرت بموجب قرار الحل؟،

وهي إدانة واضحة للإجراءات التعسفية لحكومتنا النقراشي وعبد الهادي، اللتين هلا لهما المسلسل كثيرًا!!

قد يتغلب وحيد حامد المبدع الدرامي، على وحيد حامد الأيديولوجي المسييس، فيرسم تلك المشاهد في بقية المسلسل، فيسهم في تعريف الأجيال الجديدة ببعض حقائق تلك المرحلة من تاريخ مصر..

وأنة سيحترم نفاذ بصيرة المحكمة، التي دقت في تفاصيل القضية؛ لأنها لم تستسلم للاتهام، الذي كان موجهاً إلى الجماعة برمتها في قضية السيارة الجيب، وهو أنها تسعى إلى قلب نظام الحكم، وأن الأداة التي أعدوها لهذه الغاية هي جماعة إرهابية سميت "النظام الخاص"، وقالت المحكمة بالحرف الواحد:

"وهذا الذي صورّه الاتهام فيه خلط بين أمرين:

الأول التدريب على استعمال الأسلحة وحرب العصابات،

والأمر الثاني ذلك الاتجاه الإرهابي، الذي اتزلق إليه بعض المتطرفين من أفراد تلك الجماعة، وكان من أثر هذا النظر أن انتهى الاتهام إلى القول بأن النظام الخاص بجملته نظام إرهابي؛ وحيث إن المحكمة ترى التفرقة بين الأمرين، فالنظام الخاص يرمي إلى إعداد فريق كبير من الشباب إعداداً عسكرياً تطبيقاً لما دعا إليه مؤسس هذه الجماعة في رسائله المتعددة من أن الأمر أصبح جدًّا لا هزل فيه، وأن الخطب والأقوال ما عادت تجدي، وهذا الإعداد إنما قصد به تحقيق ما ورد صريحاً في قانون الجماعة من أن من بين أهدافها تحرير وادي النيل والبلاد الإسلامية، وهذا النظام الخاص بحكم هذا التكوين، لا يدعو إلى الجريمة، ولا يعنيه أن فريقاً من أفراده كونوا من أنفسهم جماعةً اتفقوا على أعمال القتل والنسف والتدمير".

ومما قالته المحكمة في حيثيات حكمها بالحرف:

"وحيث إنه مما يدل على أن النية لدى أفراد هذا النظام الخاص كانت متجهة إلى مقاومة جيش الاحتلال بعد ما ضبط في السيارة من أوراق، ومنها أوراق تحض على أعمال الفدائيين، أُشير فيها إلى أن الصداقة البريطانية المصرية مهزلة، وأن الإنجليز يظنون شعوب الشرق مسالمة ساذجة، ثم تحدث كاتب هذه الأوراق عن التدريب على استعمال زجاجة "مولوتوف"، وعرقلة المواصلات، وتعطيل وسائل النقل الميكانيكية والقوات المدرعة، وانتهى إلى القول في صراحة إنهم إنما يقاومون العدو الغاصب، كما جاء في أوراق أخرى ما يدل على هذا الاتجاه".

ثم قالت المحكمة:

وحيث إن أثر هذا التدريب الروحي العسكري قد ظهر عندما قامت مشكلة فلسطين، وأرسلت الجماعة الكثير من متطوعيها للقتال، إذ شهد (بذلك) أمام المحكمة كل من اللواء أحمد بك الموالي القائد الأول لحملة فلسطين، واللواء أحمد فؤاد صادق باشا الذي خلفه بما قام به هؤلاء المتطوعون من أعمال دلت على بسالتهم وحسن مراتهم".

قارن الآن بين ما أوردته تلك الوثائق الرسمية الحكومية وحكم المحكمة عن النظام الخاص وحقيقته وقضية السيارة الجيب، وما جاء في حلقات مسلسل الجماعة لوحيد حامد، وستكتشف بسهولة أنه أخذ مادته من تقارير الأجهزة الأمنية، ومن اتهام النيابة، ومن كتابي رفعت السعيد، وعبد العظيم رمضان، وترك "عنوان الحقيقة" المتمثل في حكم المحكمة، وشهادات كبار قادة الجيش المصري، وقد أوردنا فقرات مطولة منها.

لم يكتف المسلسل بتبني وجهة نظر الادعاء في قضية السيارة الجيب، وتعميم تهمة الإرهاب على النظام الخاص برمته، وهو ما فندته المحكمة كما ذكرنا، وإنما ألصق بالشيخ والجماعة تهماً أخرى مختلفة ولا تقل بشاعة، ومنها: نقول البنا إنه قال:

"من يفشي سرّاً من أسرار النظام الخاص يحل قتله، وأنه لا مكان لوجود خائن في صفوف التنظيم الخاص، الخائن يقتل، وقتله مباح شرعاً".

(الحلقة رقم 20 من المسلسل)،

وإظهار الشيخ البنا في المسلسل فرحاً راضياً عن مقتل الخازندار والنقراشي، وإلصاق تهمة اغتيال أحمد ماهر إلى الجهاز الخاص بإيماءات بين البنا والسندي تشير بإصبع الاتهام إلى توجيه البنا له باغتياله (الحلقة رقم 24)،

ثم بنسبة قاتله سرّاً للجهاز الخاص، وللحزب الوطني علناً، واختلاق رواية تقول إن محمود عساف مستشار النظام الخاص هو الذي اقترح على الشيخ توجيه أعمال النظام سنة 1948م ضد الإنجليز والصهاينة بعيداً عن القتل الداخلي (!) وكأن النظام قام ليقتل المصريين، لا الإنجليز والصهاينة أصلاً

(الحلقة 25)،

وتصوير قرار حل الجماعة في ديسمبر 1948م على أنه رد فعل حكومي على أعمال عنف للجماعة واكتشاف السلاح المخبأ في عربة الشيخ فرغلي

(الحلقة 26)،

وليس استجابةً لضغوط الاحتلال الإنجليزي والتدخلات الأمريكية والفرنسية، تلك الدوائر التي أزعجتها أخبار قوة متطوعي الجماعة في حرب فلسطين، وضغطوا على النقراشي لقبول الهدنة التي رفضها الإخوان.

ثم تصوير البنا وهو يخبط رأسه في المكتب ويبيكي بعد سماع قرار الحل (الحلقة 27)،

ويعترف بأن جماعته ملأت البلد بالعنف (الحلقة 28)،

وكل ذلك لا أساس له في مصادر التاريخ ووثائق تلك المرحلة، وهي مشاهد من صنع مؤلف السيناري، اعتماداً على تهويمات رفعت السعيد وعبد العظيم رمضان أساساً.

دور الشيخ والجماعة والنظام الخاص في القضية الوطنية أسقطه وحيد حامد تماماً، وشطبه شطباً حتى تستقيم روايته، التي تختزل علاقة البنا وجماعته بأطراف الحياة السياسية في العمالة للقصر حيناً، ولأحزاب الأقلية حيناً، وللمخابرات البريطانية حيناً، وممارسة العنف ضد الجميع في كثير من الأحيان!.

في كتابنا "الفكر السياسي للإمام حسن البنا"، عرضنا بإسهاب من خلال الوثائق لدور البنا والجماعة في القضية الوطنية منذ اعتراض الإخوان على معاهدة سنة 1936م، إلى وصول القضية إلى مجلس الأمن أواخر عهد النقراشي، ثم المقاومة في مدن القناة وقيام ثورة يوليو بدعم من الجماعة، وحقائق ما عرضناه أغفلها المسلسل، ووجدناه في (الحلقة رقم 24 مثلاً)، وهو يصور بعض الأعمال الفدائية للإخوان ضد معسكرات الإنجليز، يصورها على أنها إثارة للإنجليز ضد حكومة النقراشي؛ كي تتم إقالتها لأنها تضابق الإخوان، وليس لأهم ضد الاحتلال، وكأن الأستاذ وحيد لم يطلع على حكم محكمة السيارة الجيب، ولا قرأ حيثياتها في تلك القضية، ولا حتى قرأ كتابنا الذي وضعه ضمن مراجعه.

وكما أسقط دور الشيخ والجماعة في القضية الوطنية المصرية، حيث أسقط دورهم بجرأة على حقائق التاريخ في قضية فلسطين، وهو الدور الذي سجلته الوثائق منذ نشوب ثورتها الكبرى بدءاً من 1936م، مروراً بالاعتراض على مشروع التقسيم الأول الذي وضعته اللجنة الملكية البريطانية سنة 1937م، وبتشكيل النظام الخاص، والاعتراض على حركة الهجرة اليهودية إلى الأراضي الفلسطينية أثناء الحرب العالمية الثانية، ورفض قرار التقسيم الذي صدر في نوفمبر 1947م عن الجمعية العامة للأمم المتحدة، ثم دخول حرب فلسطين والاستبسال في المقاومة بشهادة قادة الجيش المصري، وتقديم الإغاثات للاجئين بالتنسيق مع جلال فهميم باشا وزير الشؤون الاجتماعية في حكومة النقراشي، ورفض قرارات الهدنة وغير ذلك مما عرضناه موثقاً في كتابنا "الفكر السياسي للإمام حسن البنا".

أسقط وحيد حامد كل هذه الإسهامات في القضيتين الوطنية والفلسطينية فجاء المسلسل فقيراً في مضمونه كما قلنا، وما زلت أتساءل مع المتساثلين: إلى متى يظل تاريخ مصر عرضة للانتهاك والتشويه، ولمصلحة من الاستمرار في إهمال هاتين الصفحتين من تاريخ الشيخ والجماعة في أغلب الكتب التي أرخت للحركة الوطنية المصرية في تلك الفترة؟.

* (الشروق المصرية)

البطل المضاد والدراما الفاسدة

بقلم: هشام حمادة

في الدراما نعرف شخصية البطل الضد أو المضاد، ويعنى بها شخصية بطل العمل الدرامي عندما تكون شخصية غير مرغوب فيها أو منفرة أو شريرة.

وتقع حيلة وحيد حامد الدرامية الأساسية في هذه النقطة؛ إذ إنه يستدعي كل خبرته الدرامية في تشويه تاريخ الرجل (الشيخ حسن البنا) والعبث بنواياه من كل عمل يؤديه وتحريف حواراته وسلوكياته على نحو يفرج المتفرج البسيط..

سبق أن شرحت كثيراً من تلك الحيل الدرامية في عديد من مشاهد المسلسل لكن الأمر ما زال يتصاعد في الحلقات حتى يجعله يتهم من الآخرين في هذه الحلقة بالهوس حسب مصطلح الطب النفسي؛ وذلك على لسان أحد كبار العلماء، ولا يقتصر الأمر على تشويه شخصية الرجل بل على إنكار إنجازاته في تحريض كبار علماء الأزهر نحو عمل كبير..

كيف سارت الألعاب والحيل في هذه الحلقة؟

أولاً: في لقائه مع الشيخ محب الدين الخطيب يشكو إليه الشاب حسن البنا من ضيق ذات اليد وقلة رزق والده بعد انتقاله للقاهرة فيبشره محب الدين الخطيب بأن له علاقات مع المملكة السعودية، وأن المملكة تتفق على نصره الإسلام وأنها ستمول تحقيق والده لكتاب فتح الباري الضخم (رشوة سياسية)، وهنا تفرج أسرار الشيخ البنا (بداية التمويل وشراء الجماعة).

طبعاً الأستاذ وحيد يلعب على جهل الناس بالتاريخ، فالسعودية في عشرينيات القرن العشرين كانت لا تزال فقيرة جداً وبدون نفط ولا تزال تتلقى المعونات من الحكومة المصرية وما زالت حينها التكية المصرية في المدن المقدسة تفتح أبوابها للناس كما تهدي الحكومة المصرية لباس الكعبة الحريري كل عام للمملكة، لكن السيد وحيد ظن فينا كمشاهدين الساذجة والغفلة فضل أن يسير وراء تحقيق أهدافه بتشويه شخصية المؤسس حسن البنا بأي طريقة.

ثانياً: في مشهد الحوار مع الشيخ الدجوي ثم الانتقال إلى منزل الشيخ محمد سعد يذكر البنا أنه تكلم بقوة وغضب وأن بعض الحضور ردوا عليه بقسوة، وهنا تأتي فرصة وحيد لتخيل كل ما لذ وطاب من وصمات نفسية سيئة فمن قائل له إنه يتكلم برعونة وحماسة ومن قائل بأنه يردد كلاماً كالأسطوانة، ثم في منزل الشيخ محمد سعد يصفه أحدهم بما يسميه الطب النفسي بالهوس، وهكذا تحول الشيخ المعمم إلى طبيب نفسي يحلل شخصية البنا ويجدها مصابة بمرض الهوس (وهنا يقول وحيد: هذا هو شيخكم).

لكن الحقيقة أن الأكثر إجحافاً من وصف البنا بالجنون (ومعلش؛ هكذا وصف الأفضل من قبل: الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم)، كانت في إنكار المسلسل لإنجاز الشاب البنا من هذا اللقاء الذي انتهى بوضع قائمة من وجهاء مصر وعلمائها للاتصال بهم أجمعين وتكوين نخبة للعمل للإسلام ورفع شأنه العليل من خلال إصدار المجلات والجرائد وتأسيس الجمعيات التي تأوي الشباب وتنشيط حركة الوعظ والإرشاد ثم تحول الأمر بعد ذلك بينما الأستاذ البنا في الإسماعيلية إلى تأسيس جمعية الشبان المسلمين.

كان هذا الإنجاز نتيجة حماسة الشيخ البنا أمام الشيخ الدجوي وتأثره أخيراً مع الحاضرين بمنطقه وقناعتهم به لدرجة الانطلاق في العمل الذي حدد،

أما كيف انتهى اللقاء كما وصفه الأستاذ وحيد أو البروفسير وحيد بعد تحليله النفسي لشخصية البنا والوصول إلى نوعية المرض الذي كان يعانيه، فقد انتهى بسخرية أحد الحاضرين منه بعد أن قال إن مطلبه إصدار مجلة (هكذا فقط) فقال له: "يعني كل هذه الغاغة عشان مجلة، اعمله مجلة يا شيخ دجوي"، ويخرج البنا من اللقاء فاشلاً محبباً وزيادة على ذلك افتضح مرضه النفسي. انظروا ماذا تصنع الدراما الفاسدة؟

حوارات مصطنعة

للكتابة الأدبية كما للأعمال الدرامية أصول يجب أن تراعى، وإذا اختلفت أو ضعفت أو تغيب بعضها ساء العمل وفقد جاذبيته ثم يفقد إقناعه ثم أخيراً قد يستنفد صبر المشاهدين على متابعة بعض مشاهدته ويسبب نفورهم منه، وسأقوم مع حضراتكم باستعراض أهم السلبات التي لا يجب

تواجدها في العمل الأدبي أو الدرامي بصفة عامة لتحظى بالقبول والجاهلية، ولكي نفهم لماذا هذا العمل يستند صبرنا على متابعتها على الرغم من أننا كنا قد حصنا أنفسنا بتوقع شتى أنواع الهجوم والإساءة في المسلسل.

على كاتب الأدب أن يتحرى ألا يقع في الأخطاء التالية حتى تكون كتاباته مقروءة ومقنعة ومؤثرة وجدائياً:

1- المبالغة والإسراف: فلا يبالغ في وصف سلوك أو مشاعر أو مظاهر أو صفات جسمية أو نفسية سواءً جيدة أو ذميمة على نحو يجاوز المعقول.

2- التحيز وعدم الموضوعية: كأن يأخذ رأياً مسبقاً تجاه شخص أو طائفة من الناس يتناولهم في كتابه ولا يدع مجال للقارئ منذ الصفحة الأولى للتفكير أو الخيار.

3- السطحية: كأن يعالج قضية يدور حولها جدل بأحكام عامة وسريعة بدون مبررات منطقية أو حجج ودون تحليل أو بناء للأحداث يعتمد على المنطق والمسلمات الاجتماعية والتاريخية.

4- عدم المصداقية: كأن يكتب على عكس الحقائق الثابتة دينية كانت أو علمية أو تاريخية أو اجتماعية. فالذي يكتب قصة عن جين الإسكندر مثلاً سيحدث النفور والإعراض بعد عدة أسطر منها.

5- الغرابة وعدم الواقعية: كأن يكتب عن مجتمع معين بأخلاقيات وقيم مجتمع آخر أو يكتب مثلاً عن مشكلة اجتماعية معينة لا تخص المجتمع الذي يقص عنه أو يكتب عن شخصية تاريخية بملايسات وظروف زمن آخر.

6- التفكك والتشظي في بنية العمل: وذلك عندما يضعف الارتباط بين الأحداث والشخصيات.

7- عدم المنطقية. وذلك عندما تتصاعد الأحداث أو يتصرف الأشخاص بعكس ما يفترضه المنطق في ظروف مشابهة أو في بيئة مقارنة أو على عكس تفكير القارئ وتوقعاته في سيره مع الأحداث.

8- الدعائية: وهو أن يتوجه الكاتب بعمله من أجل دعاية لصالح جهة ما سياسية أو عقائدية أو ضدها وبصورة ظاهرة ومباشرة.

9- الخطابية والمباشرة: وهو أن يفصح الكاتب بصورة مباشرة عن أفكاره وآرائه على لسان الشخصيات أو الراوي دون أن تظهرها الأحداث أو يبلورها البناء الدرامي.

10- العقم والجمود: وهو عندما ينتهي العمل من حيث بدأ دون تطور على الشخصيات أو القضايا المعالجة.

11- القولية وتنميط الشخصيات: تماماً كبدائيات العمل الدرامي حيث تمثل شخصية الخير المحض وتمثل شخصية الشر المحض. وهنا لا يجهد الكاتب نفسه في إبراز إيجابيات وسلبيات الشخصيات التي يتعامل معها بل يأخذ منها مواقف مسبقة ويضعها في قوالب نفسية أو سلوكية لا تحيد عنها.

12- الفقر وعدم التنوع: وهو ما يخص زمن العمل ومكانه وشخصياته.

13- الابتذال والفجاجة: وهو عندما يبالغ الكاتب مثلاً في إبراز واقعية طبقة أو فئة منحة أو عندما تتحط لغته أو تصوراتها. وكذلك عندما يتصادم مع مشاعر الناس وقيمهم وتصوراتهم.

14- التكرار والإسهاب: ويحدث عندما يتبنى الكاتب رؤية أو موضوعاً يحرص على إبرازه والتكلم فيه بصورة مكررة على لسان عديد من شخصياته.

15- عدم الأصالة والتقليد: ويحدث عندما يتوقف الكاتب عن الإبداع ويقوم بتكرار موضوعات أو قصص سابقة وإعادتها بصورة معدلة.

16- الإفراط في التعميم أو التفصيل: كأن يعطي معلومات عامة وغير كافية عن شخصية في عمله أو العكس عندما يضيع أغلب العمل في الكلام عن تفاصيل صغيرة وغير هامة في حياة شخصية ما.

- في الحلقة التاسعة يمثل وحيد حامد الشيخ البنا بأمير الدهاء، وعلى خلاف جذري مما ورد بمذكرات الدعوة والداعية، يدعو الشيخ البنا الشيخ الذي كان يجادله بالمسجد إلى داره ويقدم له مائدة عامرة بالطيور والطعام فيلتمها الشيخ الأزهرى كليث ضارٍ ولا ينتبه للكذب التي يقدمها له الشيخ البنا الذي يبتسم ابتسامة واسعة لصديقه المندهش من فضاة ما يفعل البنا وهو ما يجعله يعلن له بالمسجد "أنت اشتريت الرجل بعشوة". لم ينتبه وحيد أنه يهيل الوسخ على رجال الأزهر وهو يكتب هذه المحرفات المشوهة وما كان يهمه مثل هذه الأمور في سبيل اغتيال الشيخ معنوياً بعد أن اكتشف الجميع أن اغتياله جسدياً لم يكن كافياً.

في هذا المشهد نكتشف كثيراً من عيوب الدراما: المبالغة والابتذال والسطحية والدعائية وعدم المنطقية وضياح المصداقية (فالبنا رجل معاصر معروف وكل ما عرف عنه من عموم الناس ضد كل ما ذهب وحيد).

- في مشهد آخر تستمر فرية وحيد بأن السعودية تشتري البنا عن طريق محب الدين الخطيب الذي يكون واسطة لتدفق الأموال إلى والده لتحقيق كتاب فتح الباري وتقع هنا كل معظم العيوب التي وقعت في المشهد السابق بالإضافة إلى التكرار والإسهاب والتي تجعل الناس ينفصلون شعورياً عن المسلسل.

ولكن وقبل أن ينتهي المشهد وفي لقطة بوليسية يخبر الخطيب والد البنا بأنه يعد مفاجأة للشيخ البنا ستسعه كل سعادة. فهل أراد الكاتب أن يقول بأن ذهاب بعض الناس للبنا ليعرضوا عليه ولاءهم في الجزء الأخير من الحلقة كان ترتيباً من المخابرات السعودية أم ننتظر مفاجأة من عيار أنقل؟!!

- في مشهد أسطوري غريب يجلس البنا على منبر مسجد صغير بينما الناس وقوف أمامه يرفعون واحداً تلو الآخر أيديهم اليمنى بجوار وجوههم على طريقة القسم الأمريكي ثم يبايعون البنا وقد اكتست ملامحه بكبرياء وغرور ثم يتقدمون نحوه منحنيين يقبلون يده دون اعتراض منه بل إقرار ورضا.

ويأتي هذا المشهد بعد مشهد تمهيدي في عقب الزيارة المفاجأة التي قام بها ستة نفر من الناس له في داره يطلبون قبولهم في عمل معه فيطلب منهم السم والطاعة ثم بلهجة أكثر جدية يذكرهم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينصح فيه الناس بضرب عنق من يخرج على أميرهم. بالطبع لم يكن هذا موضع لحديث رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام، ولكن وحيد أراد أن يبيث جوّاً مرعباً يستكمله بملامح البنا ولهجته النارية ونظراته الحادة فلم يبال أن يبيث حديثاً في غير موضعه، وليت الأمر اقتصر من وحيد على الإساءة لرجال الأزره. هنا تتكرر معظم عيوب الدراما مرة أخرى، فالهدف عند وحيد يستوجب التضحيات حتى بتاريخه ككاتب دراما.

- بعد أن تشكل بنية الجماعة الأولى يتوجه كادر الكاميرا على وجه مرشد الجماعة المعاصر والذي شبه بالأستاذ مهدي عاكف شكلاً لكن بأي لهجة! وأي لغة! وأي علامات نفسية على وجهه تطلق الشرر والنار وتسخر وتستخف بمن أمامه ولو كان رئيس تحرير صحيفة جاء ليغتنم من أموال الإخوان من خلال الإعلانات أو عن طريق شراء آلاف الأعداد من صحيفته ويجاريه مرشد الإخوان ويشتره. لا عقل ولا منطق ولا دراما أصلاً. فالممثل يبدو كأنه واقع تحت ضغط المخرج أن يقدم دور رئيس عصابة أو زعيم مافيا.

- ويسبح المسلسل ضد العقل والمنطق والتاريخ والحقيقة مرة أخرى ليجعل طالب الطب المنتمي للإخوان يعترف لأبيه أنه انتهزي يريد رغد الحياة ولذلك شارك في التدريبات العسكرية للإخوان!!!!!!
أي منطق.. وأي عقلية.. الغرابة أن الطالب لم يصرح بذلك لو كبل النيابة ليتبرأ خوفاً من أن يفضح نفسه كما يخبر أباه لكنه يعترف بذلك بمنتهى البساطة والصراحة والسلاسة لأبيه.. حتى لو كان انتهزياً، ألم يكن أدعى لدموع الندم على غرور وخطأ ووهمية ما وقع فيه، أما شخصية وحيد فعلى صغر سنها حددت هويتها بالانتهازية ووضعت يدها بثبات على نقطة ضعفها ومرض نفسها وبالطبع شخصية لا تنتمي لكوننا البشري. فحتى الشيطان يحاول أن يبرأ نفسه وليس أعز على الإنسان من أهله ليبرئ نفسه أمامهم.

هنا تقع الخطابية والمباشرة والدعائية جنباً إلى جنب مع عدم المنطقية واللامصداقية والابتذال والمبالغة وتفكك البناء الدرامي. ومن هنا يجد المشاهد نفسه نافرماً عن هذا المسلسل شاعراً بالملل والضجر إذا ما حاول صبراً أن يتابعه لكن لا أظن أن الكثيرين سيستطيعون.

مَنْ يسرق المصريين؟

- يذهب أشرف مع والدته إلى منزل المستشار كساب لخطبة حفيدته، وفي الحوار بين الوالدة والمستشار يتم تذكر كل شيء كان جميلاً بمصر؛ العلاقات الاجتماعية والأمان في الشارع والاجتماع العائلي، والاحترام السائد بين الناس، ورفي حفلات أم كلثوم.. إلخ، ثم يتساءل المستشار كساب مَنْ سرق البهجة من المصريين؟ ويزيد على ذلك أنه لو كان في المنصة قاضٍ لحكم بالإعدام على مَنْ فعل ذلك؟ هذا الكلام يدفع ل طرح سؤال بريء..

ما علاقات مسلسل يتكلم عن جماعة الإخوان بسرقة البهجة من المصريين؟ ثم لماذا يُدخل وحيد حامد كلاماً عن أحكام الإعدام المستحقة لمن أساء لحياة المصريين؟

كان من الواضح أنه يرمي إلى الإسلاميين، لكن الناس في بر مصر يا سيد وحيد يعلمون تماماً من سرق البهجة من المصريين، بل من سرقوا مصر كلها.

فالبهجة لا توجد حيث يوجد الفقر والجهل والتخلف وإهدار آدمية الإنسان في أقسام الشرطة، بل وفي المؤسسات الخدمية التي هي من المفترض أنها قائمة على خدمته لا تعذيبه.

أما تذهب بي الظنون قليلاً وبعض الظن واجب كما أن بعضه إثم، هل الكلام عن أحكام الإعدام وارتباطها بسعادة المصريين له علاقة بتسوية أحكام الإعدام في العصر الناصري الذي من المفترض أن تتعرض له بعض الحلقات القادمة؟

فوحيد حامد في هذا المسلسل يراهن على التأثير على عواطف الجماهير بعيداً عن مخاطبة العقل الذي لن يقبل ما يثرونه من ترهات. على أي حال، عندما سرقت البهجة من المصريين، كان جل إن لم يكن كل أفراد جماعة الإخوان المسلمين داخل المعتقلات على امتداد العصر الناصري السعيد، وليخرج من بقي من الإخوان يطلون على الدنيا من جديد واهنين شائخين في منتصف السبعينيات، وليجدوا مصر وقد امتلأت بالشباب المسلم الملتزم، فمن سرق البهجة من المصريين ليتحول شبابها للبحث عنها من أصل تاريخهم وتراثهم مرة ثانية؟ لقد سرقت البهجة وهم داخل المعتقلات في الاستضافة الكريمة لأجهزة الدولة الأمنية بكل ما عرف عنها من رقة ولطف ودمائة أخلاق كما بين السيد وحيد في المسلسل.

- في ذات الحلقة يذهب الأستاذ البنا ليستأجر غرفة من كتاب الشيخ علي الشريف ومعه أحد تابعيه وعلى امتداد الجلسة كانت إشارات يد الشيخ البنا الخفية والسرية من تحت المكتب لمرافقه تحتل كادر الكاميرا، لماذا؟

لأن السيد وحيد المشرف العام على إنتاج المسلسل يريد أن يظهر العقلية التأمرية والنفسية المريية التي تعشق العمل السري مع أن كل شيء في هذه الفترة كان علنياً جهرياً، كما كان هناك الجهاز الخاص، وليس السري كما يحلو للبعض أن يسميه، والذي أنشئ كجهاز مقاومة للاحتلال العسكري الكامن على أرض مصر، وكان يقوم بأعمال مقاومة عسكرية ضد الاحتلال البريطاني، وجهاز كذلك لا بد طبعاً أن يكون سرياً لحماية للمجاهدين المقاومين،

أما ما عدا ذلك فلم تتبنى الجماعة نهجاً سرياً، فلماذا الحرص على صورة أن البنا كان يسعى لتكوين جماعة سرية أو إظهاره كمدير لعمل سري، بينما هو أنشأ شعباً ظاهرة فوق الأرض، فوق كل مكان من أرض مصر.

ألم يكن تكلفاً وعدم منطقية عندما جعل المؤلف شخصية الأستاذ البنا تطلب من متابعيه أن يلتقوا بالزاوية الصغيرة حتى لا يراهم أحد، ولا يعرفون ماذا سيفعلون، فلم تكن السرية طابعاً في هذه المرحلة أبداً، وهذه من تكلفات وحيد حامد العديدة.

يستمر المؤلف في تكرار ممل يضرب على وثافة العلاقة بين الحكومة السعودية والأستاذ البنا؛ حيث يتوسط محب الدين الخطيب لكي يعمل البنا مدرساً بمكة، وفي الحقيقة أنه تمت مقابلة للشيخ البنا مع حافظ بك وهبة بغرض نشر التعليم في المملكة السعودية، وراها البنا فرصة لنشر رسالته خارج مصر، وبخاصة الانطلاق من مكة، ويقول كما كتب هو في مذكراته أنه قال لحافظ بك مستشار الملك عبد العزيز أنه لا يريد أن يعامل هناك إدارياً كموظف بل كصاحب رسالة، وكان ذلك هو شرطه للسفر للمملكة، لكن وحيد لا يذكر ذلك بل يكتفي بأن البنا اشترط ألا يعامل إدارياً كموظف، هكذا فقط وكأنه يتحلل من التكاليف ويسعى للراحة وساق كلامه دون ذكر آخره "لأنه يريد أن يعامل كصاحب رسالة" وهكذا على طريقة "لا تقربوا الصلاة" ثم يختلق وحيد كلاماً على لسان حافظ بك يقوله للخطيب: "أنا لا أريد حسن البنا لشخصه بل لجماعته" أي إن الجماعة سيستغلها السعوديون ويوظفونها فيما بعد مع أن الجماعة في هذا الوقت لم تكن تتجاوز عدد مؤسسيها، ولم يكن عُرف أمرها أو اشتهرت حتى داخل الإسماعيلية.

المهم نعود ونتذكر سؤال بداية الحلقة من سرق البهجة من حياة المصريين؟ وكان وحيد يريد أن يجيب إتهم هم السعوديون الذين حولوا مصر لمجتمع سلفي عن طريق استغلال الإخوان، هل يرى السيد وحيد أن الشعب المصري يمكن أن يستوعب إجابتين لسؤال واحد؛ فالشعب يعرف من سرق مصر والمصريين، ومن حرّم عليهم السعادة والبهجة، وهو شيء يحتاج إلى سلطة وإعلام وقوة وأسباب وتمكّن، بالإضافة إلى ذمم واسعة يمكنها من ابتلاع القطارات.. بل.. والعبارات.

عودة إلى:

رد هادئ على مسلسل الجماعة

بقلم : عامر شماخ

ماذا يريد وحيد حامد؟

"أنا عايز مصر بدون إخوان"

تلك المقولة وردت في الحلقة قبيل الأخيرة من المسلسل على لسان إبراهيم عبد الهادي (رياض الخولي)، لتلخص ما يريده وحيد حامد، وما يريده من كلفوه بهذا العمل، وما يريده الصهاينة والأمريكان والقوى المناولة للإسلام والمسلمين في الداخل والخارج. ومن أجل هذا قام وحيد بتزوير التاريخ، وإصاق كل نقيصة بالإخوان ومؤسس جماعتهم، والانحياز ضدهم بشكل فجّ بتزييف الوقائع، وقلب الحقائق، وتلفيق الأحداث وتحريفها، وتجاهل الأحداث التاريخية أو حذفها إذا كانت تصب في صالح الإخوان. لقد داس هذا المؤلف العلماني على كل الأعراف المهنية والأخلاقية ليتهم زوراً جماعة الإخوان بالمتاجرة بالدين، والتكسب من الدعوة، وطمس جهادهم، واتهامهم بالعنف وعمالتهم لجهات عديدة داخلية وخارجية، علاوة على تشويه رموزها وعلى رأسهم مؤسسها الإمام الشهيد حسن البنا.

وقد خالف وحيد القانون، وتجاهل أسرة الإمام كمصدر مهم قبل كتابة أحداث المسلسل، مخالفاً بذلك شروط الرقابة على المصنفات الفنية، ففقد طالب الأستاذ سيف الإسلام حسن البنا بالإطلاع على السيناريو؛ لضمان حياديته إلا أن المؤلف رفض ذلك رفضاً قاطعاً كدليل على ترده وخوفه، وادعى أنه لا يعرض أعماله الفنية على أحد، في حين أرسل حلقات إلى وزير الإعلام ليقراها، راجع حوارها مع "المصري اليوم": 2010/8/7م. إذا عرّض سيناريو المسلسل على وزير الإعلام وعدم عرضه على ورثته البنا يعني ببساطة أن النية كانت مبيتة لإنتاج مسلسل علماني حكومي مشترك؛ لتشويه الإخوان، وسحب البساط من تحت أرجلهم قبيل الانتخابات التشريعية في نوفمبر المقبل.

لقد اشترى التلفزيون المصري المسلسل قبل الانتهاء من تصويره بمبلغ 22 مليون جنيه، دفعها وزير الإعلام من أموال دافعي الضرائب، واعترف وحيد في حوار له مع مجلة "روز اليوسف" يوم 2010/8/28م، أن كامل أبو علي صاحب الشركة المنتجة قد تقدّم للوزير بعد فشل المسلسل وعجزه في تسويقه بمذكرة لزيادة المبلغ.

وللعجب فإن تصريح الرقابة على المسلسل قد جاء خالياً من أي ملاحظات، بالرغم من كونه يمثل أجراً عملية سطو وتزوير لتاريخ مصر، وأكثر الأعمال الفنية تشويهاً لزعيم هو في الحقيقة أكبر وأشهر زعماء مصر التاريخيين.

المسلسل بين نقد الإخوان ونقد الحزب الحاكم

وقد يقول قائل: إن المؤلف قد انتقد الحزب الحاكم كما انتقد الإخوان، فكيف إذا يقال إن الحزب هو الذي تكفل بإنتاج المسلسل؟ وما الفائدة التي سوف تعود عليه من إنتاج مسلسل يتعرض لسلبياته قبيل الانتخابات البرلمانية؟.

وأترك الإجابة عن هذا السؤال للأستاذ طارق الشناوي:

صدق وحيد الذي يقول في مقاله المنشور بجريدة "الدستور" بتاريخ 25 أغسطس 2010م، يلعب وحيد حامد درامياً عند انتقاده للدولة في تلك المساحة التي نراها مسموحاً بها في برامج "مصر النهاردة" "البيت بيتك" سابقاً، إنه هامش متفق عليه، مقنن بمعايير يضعها ويقودها وزير الإعلام، ويبدو الأمر وكأنه اتفاق بين الأطراف جميعاً على أن الهدف هو ضرب المحظورة.

ولا غصاصة في نظري أن يلطخ الحزب الحاكم في سبيل توصيل رسالة ناجحة تشوه الإخوان وتعطل حركتهم، وتجعلهم ينشغلون لسنوات في تحسين صورتهم والرد على التهم والشبهات التي أثارها المسلسل.

ثم منذ متى وهذا الحزب يخشى النقد أو يعمل حساباً لتاريخ أو سمعة، بل يؤكد أن قيام المؤلف يعرض مظاهر فساد الحزب الحاكم مقصودة في ذاتها كرسالة تحذيرية للمشاهد تؤكد أن البديل لهذا الفساد هو الإخوان،

والتابع للمسلسل يتأكد من هذا الرأي من خلال مشاهد نطق أبطالها بهذا الأمر صراحة، فضابط أمن الدولة في حوارهِ مع بهجت السواح (خيرت الشاطر) يقول له: "عملي مع نظام فاسد أفضل من عملي مع جماعة فاشية"، ويقول المستشار كساب (عزت العلايلي) في مشهد آخر: "الحكومات تصنع آلام الناس والإخوان يتاجروا ببيها"، ومعلوم أن الذي يتاجر بالآلام أشد في الذنب والإثم من صانعه.

عمل سياسي لإرضاء دوائر داخلية وخارجية

لقد حاول وحيد الإفلات بجريمته لكنه فشل، ولم تنفعه الحكومة التي أطلقت يده في كل شيء، ودعمته بكل ما تستطيع، وهو من فرط غروره لم يلتفت لنصائح الناصحين، واعتمد على مهارته الفنية والدرامية والإمكانات المادية الكبيرة (المسلسل تكلف 50 مليون جنيه)، لكن كل ذلك لم ينفعه، ويأتي المسلسل بما لا يشتهي المتفرج، فلا المراجع نجحت في الوصول إلى الدقة التاريخية المطلوبة، ولا موهبة المؤلف أفلحت في تشويق العمل، ولا الشيخ الأزهري أو فريق المتخصصين في اللغة بصرفها ونحوها نجحوا في مراجعة الفكر أو اللغة التي أجراها المؤلف على لسان البنا وشيوخ المسلسل، وكأن المشاهد هو آخر من اهتم به المؤلف، إذ يبدو وضع هذا المسلسل لا من أجل المشاهد الحقيقي، ولكن من أجل دوائر أخرى خارجية أو داخلية يريد أن تصل إليها تلك المعاني والأفكار التي حشدها في مسلسله.

(ثروت الخرباوي "المصور": 2010/9/1م).

لا مجال بالتالي في هذا المسلسل للفن الخالص أو الدراما المجردة كما يدعي وحيد، فهو عمل سياسي في المقام الأول، لا يجد من يدافع عنه سوى بعض الأعلام الحكومية أعضاء لجنة السياسات، وطائفة أخرى من أصدقاء وحيد العلمانيين.

يقول طارق الشناوي (الدستور: 2010/9/11م) مسلسل الجماعة هو مسلسل الدولة.. هذه هي الحقيقة، إنه سلاحها في مواجهة ما دأبت أن تصفه بالمحظورة، ومن حقّ وحيد حامد أن تتوافق آراؤه مع الدولة، فهو يعبر عن قناعاته التي هي أيضاً قناعات الدولة.. ولكن هذا لا ينفي أن هناك حماساً عارماً من النظام لاحتضان المسلسل.

ويقول سليمان جودة (المصري اليوم: 2010/8/17م) أنس الفقي دفع 21 مليون في مسلسل الجماعة؛ لعرضه على القناة الأولى، فليس هناك شك في أن الهدف من وراء عرض عمل من هذا النوع إنما هو هدف سياسي بالدرجة الأولى، ولا مجال هنا للفن الخالص أو الدراما المجردة.

وتقول الكاتبة الصحفية حنان كمال (جريدة "الشروق": 2010/8/14م) نقلاً عن (الألمانية): وحيد حامد قدّم صورة سلبية عن الإخوان لا فرق بين إنتاج المسلسل عن طريق أمن الدولة وتلفزيون الدولة، إن انحياز الكاتب ضد الإخوان في الحلقات الأولى فجّ، وربما يخلق تعاطفاً مع الإخوان، خاصة أنه يقدم ضابط أمن الدولة بصيغة إيجابية نعلم أنها مزيفة.

وتقول وكالة "رويترز" 2010/8/20م، تحت عنوان: مسلسل الجماعة مليء بالأكاذيب.. فما زالت الجماعة تتمتع بشعبية كبيرة بين الفقراء والمعدمين، وأضافت "أن الحكومة لن تسمح أبداً بظهور مسلسل يتعلق بالجماعة إلا إذا كان سيصب في صالح النظام على حساب الإخوان.

لقد أدى التعاون المشبوه بين وحيد والسلطة إلى تغييب أصول وقواعد العمل الفني، والإطاحة بأخلاقيات الكتابة التاريخية بالعبث في نيات الشخصيات التاريخية، والمبالغة والإسراف في تقديمهم، والتحيز ضدهم والابتذال وعدم المنطقية.

يقول الدكتور جمال شقرا أستاذ التاريخ الحديث (المصري اليوم: 2010/8/24م) تحت عنوان: تعددت الأخطاء والتاريخ واحد: هناك تفاصيل تاريخية لم يوتقها المؤلف.. المؤلف بنى موضوعه بناءً سياسياً، ووضع حسابات وتوازنات، ولم يبنه بناءً تاريخياً.

مسلسل فاشل.. فنياً وتسويقياً

لم ينجح وحيد حامد في تحقيق هدفه من المسلسل، ولم ينجح بالتالي من كلفوه بهذا العمل في تحقيق أغراضهم، بل لا نبالغ إذا قلنا: إن السحر قد انقلب على الساحر، الأمر الذي جعل وحيد يفقد أعصابه فيسب الإخوان، ويصفهم بأبشع الصفات، ويصب اللعنات على الجميع، على من تخلوا عنه تارة لا أدري من هم، وعلى الصحفيين تارة أخرى - فقطع جريدة الدستور؛ لأنها نشرت استطلاعاً للرأي يؤكد أن المسلسل لا يحظى بنسبة مشاهدة، وليس له ترتيب ضمن المسلسلات الناجحة- وعلى الإخوان تارات عديدة.

ففي حوار له بروز اليوسف 2010/8/28م يقول وأنا أريد (ذكر) من جماعات الإخوان يقول أنا تم تعذيبي في أمن الدولة.. ويضيف وأنا لم أكن أعرف أن نسبة كبيرة من الإخوان ضاللية ولا يقولون الحق.

وفي موضع آخر يسأله المحرر: يقال أيضاً إن المسلسل أعطى شرعية للجماعة، وجعل الحديث عنها علنياً بعد أن كانت محظورة، ردّ بقوله: "ردي على هذا الكلام لفظ قبيح لا أستطيع ذكره هنا، ولكن يمكن أن أصف هذا الكلام بأنه كلام قوادين".

وفي موضع ثالث يقول: وأنا كنت متوقفاً منذ البداية أن يكون هناك الرأي والرأي الآخر، لكن لم أجد من الإخوان غير السفالات.

وفي حوار مع جريدة الشروق 2010/9/12م يقول: "الإخوان فضلوا أن يلعبوا دور العجربة، وأريد أن أقول للإخوان اختشوا أفضل لكم". وأخيراً قدّم بلاغاً لنيابة شمال الجيزة يتهم سيف الإسلام البنا بسبّه وقذفه؛ حيث ادعى أن سيف صرّح بأن وحيد حامد كافر، ولا يحترم الدين الإسلامي، ولا حتى الديانة المسيحية، وهو ما أنكره سيف الإسلام جملةً وتفصيلاً.

ورغم محاولات الحكومة لإقناده ما يمكن إتقاده بإصدار الأوامر لكتابتها الإعلامية بمساعدة وحيد بمدح المسلسل وكتابه، والطعن في الإخوان، وتشويههم في المقابل، وبارغام المعلنين على حشد إعلاّتهم في فترات عرض المسلسل، إلا أنه ظلّ خارج قائمة اهتمام المشاهدين للأخطاء الفنية التي حظى بنسبة كبيرة منها، وللإحياز الأعمى لكتاب المسلسل ضد الإخوان.

في استطلاع رأي لشركة (tns) المتخصصة الدستور 2010/8/23م تحت عنوان: مسلسل الجماعة خارج قائمة اهتمام المشاهدين، جاء في الخبر أن تلك الشركة المتخصصة في قياس واستطلاعات المشاهدة للقنوات التلفزيونية أجرت دراسةً حول أعلى القنوات مشاهدة أرضياً فضائياً، وحول أعلى المسلسلات مشاهدة.

وقد خرج مسلسل الجماعة من قائمة أعلى 15 مسلسلاً من حيث نسبة المشاهدة، وأضافت الصحفية دعاء سلطان الغريب أن مسلسل الجماعة لم يظهر في أي من محاور الاستطلاع، وهو المسلسل الذي راهن التلفزيون المصري عليه في اجتذاب أعلى نسبة مشاهدة. وفي دراسة لأحد المعاهد الفرنسية نشرتها الدستور في اليوم نفسه 2010/8/23م اختفى أيضاً مسلسل الجماعة من قائمة الأعمال الأكثر مشاهدة.

انتقادات فنية عديدة

وقد تعرض المسلسل للعديد من الانتقادات الفنية، ووصف بالفشل في مرات كثيرة، وأنه صب في النهاية في صالح الإخوان المسلمين حسب تقرير (الأسوشيتد برس) الذي نشرته (الأهرام) في 2010/9/4م وجاء فيه: يرى البعض أن المسلسل أفضل من قراءة 20 كتاباً عن جماعة الإخوان المسلمين، وقد نقلت الوكالة عن أشرف الشريف أستاذ العلوم السياسية بالجامعة الأمريكية قوله: إن المسلسل له تأثير عكسي، مضيفاً أن ما فعله المسلسل هو تحويل ديناصور إلى ظاهرة سياسية حياتية، مستطرداً: الجماعة لم تعد محظورة كما تصر الحكومة، ولكنها الآن دخلت كل بيت ومقهى وشارع في مصر.

بدا المسلسل مرتبكاً غير مترابط، فالأحداث التاريخية يتم الخروج منها بطريقة مبتورة؛ لتكامل للإخوان وصلة من الشتم والطعن، أما التشويق كما يقول الأستاذ ثروت الخرباوي (المصور: 2010/9/1م): فإنني أكاد أقسم أن (قفلة) كل حلقة لا تشجع على متابعة الحلقة التالية، فكل حلقة تصلح بذاتها لكي تكون وحدة واحدة تتفصل عن باقي المسلسل بحيث لو أخطأ المخرج يوماً ووضع حلقة مكان حلقة فإنه لن ينتبه أحد لهذا الخط، فالبناء الدرامي مضطرب ومرتبك والأحداث لا رابط بينها.

وهذا المعنى يؤكد الأستاذ خالد كساب (الدستور: 2010/8/23م) حيث يقول: بداية المسلسل متعثرة درامياً يتحدث فيها الأبطال مع بعضهم البعض، وكأنهم يتحدثون في أحد البرامج الحوارية بطريقة أقرب إلى قراءة مقال صحفي.. ويظل الملح الرئيسي للمسلسل هو توتر الدراما ومباشرتها لدرجة السذاجة في المشاهد التي يفترض أنها تحدث في زمننا الحالي.

إحياز أعمى

إن الإحياز الأعمى من المؤلف ضد الإخوان أفسد المسلسل كما ذكرت فنياً وتسويقياً لدرجة أن جميع القنوات الفضائية لم تقبل شراؤه، باستثناء قنوات التلفزيون التي كانت تعرض الحلقة الواحدة حوالي عشر مرات في اليوم الواحد، وقناة (القاهرة والناس) التي ندم صاحبها هذه الصفقة الخاسرة، ففي حوار له (روز اليوسف: 2010/8/21م) اعترف بأنه اشترى المسلسل لعرضه في قناته بـ3.5 مليون دولار، وشكا من قلة الإعلاّات، ومن امتناع القنوات الخاصة عن شراء المسلسل الذي تتولى قناته تسويقه، ولما سألتها المحررة عن السبب قال لها بمرارة: أسألي أنت أصحاب هذه القنوات.

يقول الدكتور رفعت السعيد، مؤكداً فشل المسلسل، ومشفقاً على صديقه ورفيق دربه وحيد (روز اليوسف: 2010/8/28م): " قدرة وحيد حامد على التأليف الدرامي الممتاز، وتمتعه بحس وطني تقدمي ليبرالي، إلا أن ذلك لم يمنع من تعرضه لأكثر من مازق، مثل عرض المسلسل في شهر رمضان، الذي يتميز فيه المصريون بانتشار الروحانيات والوازع الديني؛ ما يجعلهم يتعاطفون مع (مجانيب السيدة)، ويتعاملون معهم على أساس من الاحترام العميق وهو شيء إيجابي بالنسبة للإخوان في هذا المسلسل الذي يصورهم بأنهم متدينون".

وفي موضع آخر يقول: "أما المأزق الثالث، فهو أنه يأتي في إطار المعركة الانتخابية المقبلة، وهو ما يمكن أن يؤدي إلى خدمة الجماعة؛ لأنه يركز على المقولات الدينية لديهم، والتي تؤثر في العامة، وفي المقابل بعض الإيحاءات والإيماءات البسيطة لانتقاد الجماعة، والتي لن يفهمها سوى النخبة والمتفنين".

مسلسل أمن الدولة

لقد كثرت اللغظ حول المسلسل، واتهم مؤلفه صراحةً بأنه يتلقى تعليماته اليومية من أمن الدولة، وأن ضباطاً يحضرون التصوير "راجع مقال نوارة نجم" (الدستور: 2010/8/27)، وقد أكد البعض أن التأخير في إذاعة الحلقة 22 عن موعدها كان بسبب اعتراض جهاز أمن الدولة على بعض المشاهد، وليس كما ادعى وحيد بأن انقطاع الكهرباء وعدم الانتهاء من المونتاج هو السبب.

وهناك تأكيدات أخرى بأن التليفزيون اكتفى بعرض 28 حلقة من المسلسل، بعدما طالبت جهات أمنية بذلك، بعد تعاطف أغلبية المشاهدين مع الإمام المؤسس، الذي لو عرضت مشاهد قتله وجنازته لسببت حرجاً بالغاً للجميع، ولكسبت الجماعة تعاطفاً أكثر مما حصلت عليه.

ولعل الشعور العام بعدم حيادية المؤلف وبإظهار ضباط أمن الدولة بمظهر الملائكة في الحلقات الأولى من المسلسل هي التي صرفت المشاهد العادي عن متابعته وتكوين رأي مفاده أن هذا العمل تافه، وما يعرض فيه كذب وافتراء.. أما المثقفون والنخبة فلا يختلفون في أن سقوط المسلسل يكمن في افتقاده المصداقية، وتزويره التاريخ، وتجنبه المبالغ فيه على الإخوان، وفي سطحيته، واستهانة المؤلف بعقول المشاهدين.

يقول د. عمرو الشوبكي (المصري اليوم: 2010/8/19م): المسلسل انحاز بشكل كامل وأعمى لجهاز أمن الدولة ووزارة الداخلية، بصورة تشعرك أن التحقيقات التي تجري مع عناصر الإخوان تجريها أجهزة الأمن في سويسرا أو السويد وليس حتى في فرنسا أو أمريكا، وأنه لو قررت وزارة الداخلية أن تقوم بعمل مسلسل للإشادة برجالاتها لما قدمتهم بنفس الصورة التي قدمها مسلسل الجماعة الذي قضى على مصداقيته.

ويقول الشوبكي أيضاً (المصري اليوم: 2010/8/26م): الحقيقة وبعد 12 حلقة من مسلسل الجماعة فإننا بالتأكيد أمام عمل فني له رؤيته السياسية المنحازة في بعض الجوانب، وأمام سرد لبعض الوقائع غير الصحيحة.

ويقول الدكتور حسن نافعة (المصري اليوم: 2010/9/8م) وحين يقبل كاتب أن يقوم آخرون بتوظيف أفكاره؛ لتحقيق أهداف قد لا تتفق بالضرورة مع أهدافه الأصلية، يصبح جزءاً من صراع أكبر منه، وعليه أن يقبل بنتائجه.

ليس لدي تفسير للأسباب التي دفعت وحيد حامد لكتابة مسلسل عن جماعة سياسية متجذرة في مصر عمرها أكثر من 80 عاماً، ولأن تاريخها أكبر من أن يحيط به مسلسل، فمن الطبيعي أن يكون انتقائياً، وأن يركز على أحداث أو فترات بعينها، قد لا تكون هي الأهم موضوعياً، خصوصاً حين يكتب بروح عدائية واضحة، ويعكس موقفاً سلبياً مسبقاً.

وربما كان أخطر ما فيه أنه قدّم الجماعة للمشاهد وكأنها فصيل حركي يقوم على تكفير الحاكم ومقاومته بالعنف، وبالتالي لا تختلف كثيراً عن تنظيمات "الجهاد" أو "الجماعة الإسلامية" أو "القاعدة"، كما قدّم حسن البنا كشخصية سيكوباتية لا علاقة لها بسمات شخصيته الحقيقية، بينما قدّم العاملين في أجهزة الأمن وكأنهم ملائكة الرحمة، وتلك أخطاء فادحة أدت إلى نتائج معاكسة تماماً لما كان يستهدفه المسلسل، أو تستهدفه الدولة من الترويج له، بدليل تضاعف مبيعات كتب الإخوان، خاصة رسائل حسن البنا، والتي يقال إنها حققت أرقاماً قياسية بعد المسلسل.

أما د. وحيد عبد المجيد (المصري اليوم: 2010/9/4م) فيقول: لو أن صانعي مسلسل الجماعة وعلى رأسهم الأستاذ وحيد حامد تابعوا ردود الفعل التي أثارها على الإنترنت لهالهم التعاطف مع مؤسس الإخوان المسلمين حسن البنا في كثير من الأوساط، ولكن ما سيدهشهم هو أن بنات لسن من تنظيم الأخوات ولا من قريبات قادة أو أعضاء في جماعة الإخوان أعجبن به.

أما رسالة المسلسل التي تحاول إبراز الجانب المظلم والعنيف في مواقف البنا وممارساته، فهي لا تصل إلا إلى القليل من متابعي الحلقات؛ لأنها أكثر تعقيداً من أن يدرك البسطاء والبسيطات مغزاها.

أول القصيدة.. كذب

في الحلقات الثلاث الأولى من المسلسل يتهم المؤلف جماعة الإخوان وقادتها بانتهاج العنف والإيحاء بأن لديهم تنظيمًا سريًا مسلحًا، من خلال عرض ما حدث في نهاية عام 2006م في جامعة الأزهر، وما أعقبه من شروع النظام في تليفيق قضية عسكرية للإخوان، هي السابعة خلال عشر سنوات، وقد صدرت فيها أحكام قاسية على عدد كبير من قيادات الجماعة.

على غير الحقيقة صورّ وحيد العرض العسكري التمثيلي الذي يقيمه طلاب الإخوان بالأزهر كل عام، على أنه تحرك فعلي من جانب هؤلاء الطلاب لاستخدام القوة في مواجهة خصومهم من الطلاب، وفي مواجهة المسؤولين بالجامعة.. وخط وحيد الأوراق فعمد إلى إظهار ما وقع في جامعة الأزهر في ديسمبر 2006م، وما وقع في جامعة عين شمس يوم 2007/10/24م على أنهما حدث واحد.. والمشاهد كلها لا تقول إلا الكذب، ولا تتطرق بغير البهتان، والصحف الصادرة وقتها تشهد على ذلك.

فما حقيقة ما حدث في جامعة الأزهر؟..

على إثر تصعيد الأحداث ضد طلاب الإخوان بجامعة الأزهر، وقيام الإدارة وسلطات الأمن بتزوير الانتخابات، والاحتجاج على فصل 8 من مؤسسي (اتحاد الطلاب الحر) يوم 2006/12/10م؛ ظهر عدد من هؤلاء الطلاب، وهم ملثمون يرتدون زيًا أسود، مشابهًا لزي الميليشيات المسلحة، وعليهم أقنعة كُتبت عليها عبارة "صامدون"، وقد قدّموا عرضًا تمثيليًا يحاكي الأعمال القتالية لحركة حماس.

وكأن وسائل الإعلام كانت على علم بما سوف يحدث، فتم نقل هذا العرض بالصوت والصورة، وشاهدته الجماهير المصرية في طول البلاد وعرضها، وظلت صحيفة يومية مستقلة تشحن القراء بشكل مريب ضد من قاموا بهذا العمل، وأخذت تُجري الحوارات، وتقدّم التحقيقات وخلصت ما أرادت قوله: "إن لجماعة الإخوان تاريخًا في العنف، وأن ما جرى يؤكد وجود تنظيم سري مسلم ترعاه الجماعة؛ وهذا مما لا تخفى خطورته على الجميع".

ولم يمضِ يومان حتى اعتقلت قوات الأمن أكثر من 200 من طلاب الإخوان، كما قامت باعتقال نائب المرشد وعشرات من قيادات الإخوان، ثمّ تحويلهم فيما بعد إلى المحكمة العسكرية بتهمة غسل الأموال وتهم أخرى، عادة يتم اتهام أعضاء الإخوان بها.

وقد اعترف الطلاب أنفسهم، معترفين بأن ما فعلوه خطأ، لم يكن يصح فعله، ونفى المرشد العام محمد مهدي عاكف صدور أية تعليمات لهؤلاء الطلبة؛ للقيام بهذا العرض، ونفى وجود ميليشيات بالجماعة، وأكد رفضه ورفض جماعته اللجوء للعنف والقوة في حل المشكلات كما رفض ما جرى أيضًا: النائب الأول للمرشد د. محمد حبيب، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عضو مكتب الإرشاد، وبقية أعضاء المكتب، معتبرين أن ما حدث جاء في سياق أحداث توالى في الجامعات المصرية، وهو عمل فردي غالبًا ما يحدث في النوادي الرياضية ومراكز الشباب.

وقد شنّ العلمانيون وكتّاب الحكومة حملات تشويه ضد الجماعة، واتهموها بأبشع التهم؛ لكن سرعان ما خفتت الأصوات، وسكت الجميع عن الكلام، وأدرك العالمون ببواطن الأمور أن ما حدث كان مفتعلًا ليقضي النظام أمرًا آخر له من قبل.

بيان للناس من جماعة الإخوان المسلمين:

وقد أصدر الإخوان وقتها بيانًا، ذكروا فيه الأمة بتاريخ الإخوان الناصع وبصبرهم الجميل، رغم ما يُحاك لهم بالليل والنهار.

وهذا نص البيان:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ (النساء).

تتعرض جماعتنا لحملة شعواء، تستهدف تشويه صورتها وتخويف الناس منها، والتحريض عليها، شاركت فيها أجهزة إعلامية وأمنية ورسمية، على أثر استعراض بعض طلاب جامعة الأزهر لرياضات "الكاراتيه" و"الكونغ فو" داخل الجامعة؛ وهو ما استنكرناه ورفضناه قبل أن يستنكره الناس، فشرع هؤلاء الطلبة بخطئهم، وأصدروا بيانًا يعتذرون فيه لجامعتهم وأسائرتهم وزملائهم، ووزعوه على كل الصحف وأجهزة الإعلام، إلا أنه للأسف الشديد لم ينشره معظمها، واستمرت في حملة الافتراء على الجماعة والتحريض على البطش بها، الأمر الذي تبعه الحملة الأمنية التي طالت ستة عشر شخصًا من قيادات الجماعة وأعضاء هيئات التدريس في الجامعات ونحو مائة وأربعين من طلاب الأزهر، ولا تزال حملة التصعيد والتحريض مستمرة، وحتى لا تنغى دقائق طبول الحرب الإعلامية هذه على ذاكرة الأمة فإننا نذكر بالآتي:

- إننا نتبنى منهجًا إصلاحيًا سلميًّا متدرجًا مستمدًا من الإسلام الذي يعني ببناء الإنسان وبناء الأسرة وإصلاح المجتمع في كل جوانبه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتعليمية في مسارات متزامنة ومتشابهة، كما نرى أن هذا الإصلاح لا بد أن يستند إلى المبادئ الخلقية في كل جوانب الحياة، فالصدق والأمانة والنزاهة والوفاء والتضحية والإخلاص يجب أن تكون عصب أي نشاط، إضافة إلى الحرية والعدل والمساواة والحق، ومن هنا فقد أعلننا إيماننا بأن الشعب هو مصدر السلطات، وبالتعددية السياسية وبحق تكوين الأحزاب، وتداول السلطة سلميًّا، ونزاهة الانتخابات، واستقلال القضاء، والفصل بين السلطات، وحرية الصحافة، ورفضنا تمامًا استخدام العنف والإرهاب سبيلًا لتحقيق مآرب سياسية أو غيرها.

- ولقد صدق سلوكنا قولنا فلقد أسهم الأستاذ عمر التلمساني- رحمه الله- في إزالة احتقانات طائفية وغير طائفية كثيرة، وقمنا بالتصدي لفكر التكفير والعنف، وحمينا عشرات الآلاف من الشباب من الوقوع في هذا المنزلق، وأدنا كل جرائم العنف والاعتقال والإرهاب أيًا كان مصدره، وطالبنا بدراسة أسبابه وعلاج جميع الأسباب، والسعي لتحقيق مصالحه وطنية، ووقف الاعتقال العشوائي والتعذيب والمحاكمات الصورية، ووجوب الإحالة إلى القضاء الطبيعي واحترام القانون وأحكام القضاء، وحقوق الإنسان، وعلاج الفقر والبطالة وتحقيق التكافل الاجتماعي، ومقاومة الفساد وأسهمنا في العمل السياسي والنقابي والاجتماعي، وأقبل الناس علينا يمنحونا ثقتهم في النقابات ونوادي أعضاء هيئات التدريس ومجلس الشعب، واتحادات الطلاب، وبدلاً من أن تكون المنافسة على تأييد الشعب منافسة شريفة إذا بالحكومة وغير المنصفين من العلمانيين يشنون علينا حملة لا هوادة فيها بغية إقصائنا عن الشعب وإقصاء الشعب عنّا، تمثلت هذه الحملة فيما يلي:

- رفض الاعتراف بنا، ووصفنا بالجماعة المحظورة حتى يتسنى لهم البطش بنا وقتما يريدون، وتحجيم حركتنا ونشاطنا، وحرماننا من حقوقنا كمواطنين مصريين وكفصيل شعبي وسياسي كبير.

- استخدام الكتلة التصويتية للحزب الوطني- والتي يعلم الجميع كيف حصلوا عليها- في سن تشريعات أو مدها للتضييق عليها وإيقاع الأذى والظلم بنا، كقانون الطوارئ وقانون الأحزاب، ولجنة الأحزاب ومحكمة الأحزاب، وقانون النقابات والصحافة والسلطة القضائية.. وغيرها.

- تأجيل انتخابات المحليات لمدة عامين رغم الإجماع على فساد المجالس المحلية الحالية حتى لا تنافسهم فيها.

- وقف انتخابات النقابات المهنية ونوادي أعضاء هيئات التدريس بالجامعات خشية فوزنا فيها.

- تزوير انتخابات الغرف التجارية واتحادات العمال بعد شطب مرشحين واعتقال آخرين.

- سجن عدد كبير من رجالنا قارب خمسة وعشرين ألفاً خلال السنوات العشر الماضية ابتداءً من طلبة الثانوي إلى شبوخ بلغوا الثمانين من العمر، لدرجة أن السجون لم تخل من الإخوان ابتداءً من سنة 1992م، وحتى الآن.

- تعذيب عدد غير قليل من الإخوان في مقار أمن الدولة وسقوط أحدهم شهيداً.

- تقديم ما يزيد على مائة وخمسين من قياداتنا لخمس محاكمات أمام القضاء العسكري والحكم على معظمهم بالسجن من 3- 5 سنوات بدون ذنب ولا جريمة.

- تزوير انتخابات مجلس الشعب الأخيرة في عدد من الدوائر، واستخدام الرشوة والبلطجة والأمن في الاعتداء على الناخبين وبعض القضاة إلى حدّ قتل عدد من المواطنين وإصابة الكثيرين، ورغم ذلك فقد نجح 88 نائباً من إخواننا، واعترف الدكتور نظيف بإسقاط 40 آخرين بالتزوير.

- استغلال التلفزيون والصحافة المسماة بالقومية في شنّ حملات تشويهية وأكاذيب وافتراءات علينا دون السماح لنا بالرد أو توضيح الحقيقة.

- منع إذاعة جلسات مجلس الشعب في التلفزيون، مثلما كان يحدث من قبل مع البرلمان السابق بهدف التعتيم الإعلامي على أنشطة وأداء نوابنا الثمانية والثمانين.

- الوقوف وراء منع صدور جريدة (أفاق عربية) التي كنا نكتب وننشر من خلالها، ومصادرة الكتب التي يجدونها في بيوت الإخوان.

- إغلاق عدد من الشركات والأنشطة التجارية ومصادرة ما يجدونه في بيوت الإخوان من أموال عند القبض عليهم.

- تحويل عدد كبير يبلغ الآلاف من المدرسين وأئمة المساجد إلى وظائف إدارية.

- منع عدد كبير من الإخوان من السفر للخارج بقرارات إدارية دون الحصول على أحكام قضائية بذلك، بل ضد الأحكام القضائية التي يحصل عليها بعض ممنوعين من السفر.

- ضرب المتظاهرين سلمياً في الشوارع تأييداً للقضاة، وسحلهم على الأرض بواسطة فرق الكارتيه الخاصة بالأمن المركزي، واعتقال البعض الآخر، وكان آخر المفرج عنهم من هذه القضية الدكتورين محمد مرسي وعصام العريان بعد سبعة أشهر وراء القضبان.

- هذا كله يدل على مدى الظلم والاضطهاد الذي نعاني منه على يد إخواننا في الدين والوطن، بل على يد المسؤولين عن توفير العدل والأمن والحرية لنا، ورغم ذلك فإننا ننذر بالصبر والاحتساب، ونفتح عقولنا وصدورنا للحوار، ونمد أيدينا للتعاون حرصاً على الصالح العام ولم نفكر لحظة في الغضب لأنفسنا.

- ثم جاءت حكاية الطلبة، حيث مُنح طلاب الإخوان وغيرهم ممن لا يعرف الأمن انتماءاتهم من الترشيح لاتحادات الطلاب، ومن قبلت أوراق ترشيحهم منهم تمّ شطبهم قبل بدء الانتخابات، وبالتالي لم ينجح إلا من حظي برضا الأمن، واضطر الطلاب الآخرون إلى إجراء انتخابات موازية لإنشاء اتحاد طلاب حر لا يخضع لإملاءات الإدارة والأمن، وهنا استعانت إحدى الجامعات بالبلطجية المسلحين بالأسلحة البيضاء للعدوان على الطلبة داخل الجامعة، وتحت سمع وبصر الحرس الجامعي الذي وقف يفرج على العدوان ولم يتدخل، وأصيب عدد من طلاب الإخوان وحملوا إلى المستشفيات، وتمّ تحويل عدد من طلاب الاتحاد الحر إلى مجالس تأديب وفصل بعضهم من الدراسة لمدة شهر؛ الأمر الذي استثار حفيظة زملائهم

فاتصموا احتجاجاً على هذا الفصل، وأثناء الاعتصام جرى العرض الذي تحدثنا عنه في صدر هذا البيان، والذي استكرناه واعتذر الطلاب عنه؛ فهل هذا يستحق كل هذا الضجيج والتحريض والافتراءات أم أن وراء هذا الدخان الأسود الكثيف أمراً بيّناً بليلاً؟ هذا ما ستسفر عنه الأيام.

أما نحن فنسئل نفقتي برسولنا- صلى الله عليه وسلم- الذي أودى أشد الإيذاء فصبر صبراً جميلاً وهو يدعو لقومه، وسنستجيب لإيماننا الراحل حسن البنا في قوله: "كونوا كالشجر يرميه الناس بالحجر ويرميهم بالثمر"، ونردد معه قوله: "ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيبٌ إلى هذه النفوس أن تذهب فداءً لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن ترهق ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء، فنحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب ولن نكون عليكم يوماً من الأيام".

﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)﴾ (الطلاق).

وما حقيقة ما حدث في جامعة عين شمس:

اقتحم عشرات البلطجية- تدعمهم عناصر الأمن- حرم جامعة عين شمس، وقاموا بالاعتداء على الطلاب والطالبات المعتصمين أمام المبنى الإداري للجامعة بالضرب وإلقاء القنابل الصوتية المليئة بقطع الزجاج وقنابل المولوتوف؛ ما أدّى إلى إصابات خطيرة وسط الطلاب كما تمّ اعتقال 13 طالباً آخرين أثناء خروجهم من الجامعة.

وكان ما يقرب من 1000 طالب وطالبة قد نظّموا صباح اليوم مسيرة ضخمة طافت أرجاء الجامعة؛ احتجاجاً على شطب الطلاب غير المرضي عنهم أمنياً من القوائم النهائية لانتخابات اتحاد الطلاب، وتخلل المسيرة قيام الطلاب بحملة توقيعات استهدفت 2000 طالب لرفض الشطب وعدم الاعتراف بشرعية الاتحاد الحكومي المعين، ثم توجهت المسيرة للمبنى الإداري للجامعة بقصر الزعفرانة، وطلبوا الحديث مع الدكتور أحمد زكي بدر- رئيس الجامعة- والذي أنكر قيام إدارة الجامعة بشطب أي طالب، فلما واجهه الطلاب بأسماء وأعداد المشطوبين انسحب من الحديث مع الطلاب!!.

وعقب انسحاب رئيس الجامعة بدأ العشرات من قوات الأمن والبلطجية في التجمع بجوار الطلاب، فاستغاث الطلاب برئيس جامعتهم، حتى نزل إليهم، ولكنه بدأ في التهكم من الطلاب المعتصمين، ثم أعطى إشارة البدء للبلطجية للاعتداء على الطلاب، فتحوّل حرم الجامعة إلى ساحة حرب؛ حيث بدأت القنابل الصوتية وقنابل المولوتوف في الهبوط على الطلاب، وسط ضرب متواصل من قبل عساكر وضباط الأمن بالأحزمة، والذين لم يفرّقوا بين طالب وطالبة.

كما قاموا بتحطيم جميع السيارات الموجودة في المكان، كل ذلك تحت سمع وبصر ومباركة رئيس الجامعة، الذي استغاث به الطلاب، ولكنه اكتفى بمتابعة الأحداث من شرفة مكتبه!!.

كما تم الاعتداء بالضرب على عمرو شرف- مصوّر جريدة (الدستور)؛ ما أدى إلى حدوث قطع في رأسه، تم على إثره تم نقله إلى مستشفى عين شمس، وقد حاولت قوات الأمن اعتقاله وأخذ كاميرا التصوير الخاصة به، لولا تدخل الطلاب وإنقاذه من بين أيديهم!!.

بعد كل هذه الأحداث أثر الطلاب إنهاء الموقف بالانسحاب خارج الجامعة، ولكن البلطجية وقوات الأمن تابعا الاعتداء عليهم، وقاموا بتحطيم أغلب السيارات الموجودة بجوار أسوار الجامعة، كما قامت قوات الأمن باعتقال 13 طالباً ونقلهم إلى قسم الوايلي، وتم سحلهم والاعتداء عليهم أثناء اعتقالهم، وتم تهديد آخرين بالقبض عليهم وقت العودة لبيوتهم!!.

وفي تطور لاحق، أفرجت نيابة الوايلي عن الطلاب الذين كان قد تم اعتقالهم داخل وخارج الجامعة ظهر الأربعاء 2007/10/24م، وقد وصفت النيابة الأدلة التي قدّمها جهاز أمن الدولة بالواهية وعلى إثره أخلت سبيل الطلاب وتم إعادتهم إلى قسم الوايلي، إلا أن الطلاب فوجئوا بإعادة اعتقالهم مرة أخرى وترحيلهم إلى مقر جهاز مباحث أمن الدولة بلاطوغلي... وقد تم القبض أيضاً على 4 طلاب آخرين في نفس اليوم، ولكن تم حبسهم داخل مكاتب الحرم الجامعي، وقام البلطجية وضباط الأمن بالاعتداء المتواصل بالضرب، ثم تم إخلاء سبيلهم في وقت متأخر من الليل.

وفي سياق متصل، أصدر اتحاد الطلاب المعين بياناً، تمّ توزيعه على نطاق واسع داخل الجامعة حول الأحداث، قلب فيه جميع الحقائق بشكل فاضح ومستفز.

وذكر البيان في بدايته استنكاره لما أسماه الأحداث المؤسفة التي وقعت يوم الأربعاء 2007/10/24م.. وإلى هنا تنتهي الحقيقة الوحيدة الموجودة بالبيان ليبدأ سيل كبير من الافتراءات؛ حيث ذكر البيان أن من قام بهذه الأعمال هم الطلاب المنتمون إلى جماعة الإخوان المسلمين.

كما ذكر البيان أيضاً أن الأحداث أدّت إلى إصابة طلاب الاتحاد بإصابات بالغة، ونسي أن يوضح أن من أصيب هم طلاب الإخوان أنفسهم ومصورو الصحافة.

أخطاء تاريخية وجهد تحريفات

بما أن الغرض من هذا المسلسل هو تشويه الإخوان وتأليب الرأي العام عليهم، فلا قيمة للتاريخ، ولا مجال للحديث عن الدقة العلمية؛ المهم هو توصيل رسالة للمشاهد، مفادها أن هؤلاء الناس انحرفوا بالدين وأفسدوا السياسة، وأنهم السبب فيما يعانيه الناس من غلاء وبلاء.

ورغم وجود كثيرين استعان بهم وحيد ليحققوا التاريخ- كما ادعى- وليضطروا الوقائع؛ فإنه وقع في العديد من الأخطاء والمآزق، الذي يعد أحدها كفيلاً- إن عُقدت لهذا المسلسل محاكمة عادلة- بإدانة وحيد بالتزوير واتهام البراء بدون دليل.

وقد أحصينا عدة أخطاء تاريخية وقع فيها المسلسل، بنى عليها المؤلف مشاهد أخرى كذباً وزوراً منها:

- في الحلقة الرابعة يستمع أحمد البنا (والد الإمام) إلى أم كلثوم، وذلك عام 1918م، والإمام عمره 12 سنة، مع العلم أن أسطوانات أم كلثوم لم تُطبع قبل عام 1928م.

- وفي حلقة أخرى مجموعة من إخوان النظام الخاص يتدربون بشكل ساذج على مجموعة من البنادق الخشبية قبل عام 1936م، ومعلوم أن النظام الخاص للجماعة أنشئ عام 1940م.

- وفي إحدى الحلقات ينشئ الإخوان المستوصفات الطبية في ثلاثينيات القرن الماضي، في حين أنها أُنشئت في الأربعينيات وتحديداً عام 1944م.

- وفي مشهد بإحدى الحلقات يتحدث الإمام البنا مع الشيخ رشيد رضا، مؤكداً له أنه سيحج بعد أيام مع 100 من الإخوان، ومعلوم أن حج الإمام مع إخوانه كان عام 1936م، في حين توفي الشيخ رشيد رضا قبلها بعام واحد 1935م.

- وفي مشهد آخر، يبدو البنا- في الإسماعيلية- يدرّب فرق الجواله، في حين لم يؤسس الجواله إلا بعد انتقاله للقاهرة عام 1932م.

- وفي الحوار الذي دار بين السفير البريطاني ومساعدته الموظف، يقول للسفير عن الجماعة التي لم يكن قد مرّ على تأسيسها عام واحد هذه الجماعة شعارها "الإسلام هو الحل"، رغم أن هذا الشعار رفعه الإخوان لأول مرة في انتخابات عام 1987م.

ناهيك عن مشاهد بدا فيها الجهل بصحيح الدين وبما يجري في مجتمعات الإخوان.. ففي أكثر من حلقة يقرأ البنا وأصحابه الفاتحة (كما يفعل البسطاء)، وبهجت السواح يقول بعد تسليمه من الصلاة، وكان يؤم الإخوان: "حرماً يا إخواني"، ويضع أيضاً خرزة زرقاء على باب بيته لمنع الحسد.

أما التحريفات فقلما خلت منها حلقة من الحلقات، فمن يراجع مذكرات الدعوة والداعية يجد وحيد قد انتقى منها مواقف عديدة قام بتزويرها، بالانتقاص منها، أو الإضافة إليها، ونسوق هنا مثلاً لمشهد ورد في الحلقة الثانية عشرة، يجمع الإمام الشهيد في منزل قاضي الإسماعيلية الشرعي مع مجموعة من الوجهاء وأصدقاء القاضي الذين تطرقوا إلى مسألة الشرب في أواني الفضة.. ويبدو البنا في المشهد منهزماً لا فقه له ولا حجة، في حين ما ورد في المذكرات يؤكد أنه استطاع إقناع الموجودين برأيه، وقد نفذوا ما طلب منهم بكل حب وأريحية، وكانت جلسة ممتعة كما قال الإمام رحمه الله.

ومن التحريفات الشيعة أيضاً: إجراؤه حوارات على لسان بعض الشخصيات يدلون فيها بأراء وأفكار لم يقولوها على الإطلاق، وعلى رأس هؤلاء بالطبع الإمام البنا فقد أجرى وحيد على لسانه أفكاراً علمانية، لو قالها وقتها أمام الإخوان لفصلوه من الجماعة؛ خصوصاً المتعلق منها بالعمل في السياسة وبمجاملة الحكام على حساب الدين.

وأيضاً ما جرى على لسان الشيخ طنطاوي جوهرى من أن الدين يفسد السياسة والسياسة تفسد الدين.. وكذلك ما جرى في مجلس الشيخ الدجوي، وقيام أصنقائه بإهانة البنا وخروجه صفر اليدين (راجع المذكرات لتتأكد من كذب المؤلف وحذفه عامداً لباقي القصة).

أما الكذب خلال حلقات المسلسل فحدث ولا حرج، وقد أشرنا إلى كثير منها أثناء عرضنا لموجز الحلقات، وذكرنا أن أعظم كذبة في المسلسل كانت إيهام المشاهد بأن قتلى حادث تفجير قنبلة محكمة الاستئناف زادوا عن 25 قتيلاً، والحقيقة أنه لم يُقتل مواطن واحد في هذا الحادث.

وتؤكد المصادر التاريخية الموثوقة أن الحادثة وقعت في 12/1/1949م، أي بعد مقتل النقراشي بأيام، رداً على ما كان يجري من تعذيب للإخوان المتهمين في قضية النقراشي، وقد قام بالمحاولة شفيق إبراهيم أنس 22 سنة، وكان يعمل موظفاً بأرشيف وزارة الزراعة؛ حيث وضع عبوة حارقة بجوار الخزانة التي تحتوي على جميع أوراق قضية السيارة الجيب، وقد أراد أيضاً أن ينسف المحكمة؛ انتقاماً لما يجري بين جدرانها من تزييف وتلفيق، وقد تم القبض عليه في ميدان باب الخلق بعدما لاحقه أحد المخبرين من داخل المحكمة حتى الميدان المذكور.

وقد نظرت القضية أمام المحكمة نفسها التي نظرت قضية اغتيال النقراشي، ولم تستغرق المحاكمة إلا أياماً قليلة، صدر بعدها الحكم على المتهم بالأشغال الشاقة المؤبدة.

من نقد الإخوان

إلى نقد الإسلام:

من الواضح أن وحيد حامد منزعج جداً من الصحوّة الإسلامية، ويزداد انزعاجه كلما رأى أثر ذلك في سلوك الناس وفي حياتهم العامة... والمسلسل - بالنسبة لوحيد - فرصة ذهبية للتشكيك في هذه الصحوّة ومظاهرها، وفي الخلافة وما يعقبها، بل والتحذير من (التخلف والبدواة) إذ استبدلنا الأنظمة الحالية بأنظمة إسلامية.

يطرح وحيد في مسلسله نموذجاً لأسرتين مسلمتين، باعتبارهما يمثلان (الإسلام المستنير) في مقابل (المتخلفين) الذين يتمسكون بالهدي الظاهر.. هاتان الأسرتان المسلمتان هما أسرة المستشار كساب (عزت العلايلي) وحفيده (يسرا اللوزي)، وأسرة سوسن بدر وابنها حسن الرداد.. فهؤلاء الأربعة لا يشك أحد في إيمانهم!!، مع العلم أن البنات ترتدي ملابس خليعة، وتحدث الولد تليفونياً في الثالثة صباحاً، وتساfer معه وحدها، وتخرج معه في أنصاف الليالي.. وهم لذلك: (اتيكيث)، متفوقون، وجهاء ذوو سلطة، مثقفون (تخيل خطيباً وخطيبته ليس وراءهم حديث سوى الإخوان وأحوال مصر السياسية)، أما التي ترتدي الحجاب (منة شلبي) فهي فقيرة، معدمة، مهمومة، تقبل الصدقة، وكذلك التي ترتدي النقاب، فإنها (شغالة) أمية، سافلة، لها ماضٍ مخزٍ قبل هذا النقاب، ليس لها أي حقوق، فزوجها المعدم - يبدو غبي الشكل والعقل - يجبرها على خلع النقاب والعودة للعمل، وهي تعيش حياة ذليلة لا أمل في الخروج منها.

مشاهد مؤذية لجميع المشاهدين:

ومنذ الحلقة الرابعة وحتى الرابعة والعشرين - أي على مدار عشرين حلقة - يخرج وحيد لدقائق من أحداث المسلسل الأصلية، ليصدم المشاهد بجملة أو اثنين للتحذير من خطر انتشار الصحوّة، ثم يعود إلى نصّه الأصلي.. ومما لا شك فيه أن تلك الجملة على سرعتها إلا أنها كانت مؤذية أشد الأذى للمشاهد العادي، وكانت في الوقت ذاته سبباً في انصراف الناس - إضافة طبعاً إلى الكذب الصريح - عن المسلسل، بل ومهاجمته.

استطعنا حصر تلك اللقطات التي بلغت (18) لقطة، ونترك للقارئ الكريم الحكم على صاحبها:

السخرية من النقاب (الحلقتان: الرابعة والسابعة)، والطعن في أخلاق من ترتدينه، وأنه سبب التخلف والجهل والفقر - وهو ليس من الإسلام، وعلى من تلبسه أن يبحث عن يَبَصْرُهُنَّ بما هنَّ عليه من خطأ!!، لأنه عادة بدوية.

الطعن في الخلافة الإسلامية (الحلقات: 15، 16، 17، 18، 19، 24)، ليس فيها ما يسر، لم تحكم بالعدل، لم تقدم شيئاً يُذكر، لا يوجد في الإسلام شيء اسمه الخلافة سوى فترة الخلفاء الراشدين!!، تعني الاستبداد والظلم.

الطعن في المتدينين عموماً (الحلقات: 4، 20) يكذبون دائماً، يتحايلون على الناس، يريدون مصر غبية متخلفة، سرقوا مصر من أهلها!!.

السخرية من العلماء والدعاة والأزهريين (الحلقات: 4، 9، 16)، يتاجرون بالدين، الدين عندهم (سبوبة) انتهازيون، حاقدون، يمكن شراء أحدهم بعشوة!!، كذابون، شهوانيون، ناقضو عهود، يقولون ما لا يفعلون، يتميزون بضحالة الفكر وقلة العلم، لا يعرفون شيئاً عن الوطن والمواطنة.

التنفير من اللحية وأصحابها (الحلقة الرابعة)، ليست علامة للنقوى والإيمان (الكفار كانوا بدقون).

التشكيك في ذمة جامعي الزكوات والتبرعات (الحلقة الخامسة)، بالطبع من أجل تعطيل الفريضة وأعمال البر في المجتمعات الإسلامية.

الطعن في الدولة الأموية، والحزب الوطني الذي أسسه الزعيم مصطفى كامل وكانت له توجهات إسلامية، والطعن في الأحزاب الدينية عموماً (الحلقات: 13، 16، 22).

يرى وحيد حامد جماعة الإخوان المسلمين بل كل المتدينين من خلال نظارة سوداء قاتمة يضعها على عينيه.

وهو لهذا لا يرى سوى القبح والسوء، كما لا يرى لهؤلاء الناس حقاً في الوجود؛ لأنهم في نظره كما جاء في حلقات مسلسله الميمون متعصبون لا يعرفون السماحة، متشددون يتخذون العنف منهجاً وطريقاً، يكرهون الأقباط والمرأة، ولا يعرفون شيئاً عن المواطنة يعتبرون أنفسهم مسلمين، وما عداهم غير مسلمين، مستعلون على الآخرين، يُخفون ما لا يبطنون، انتهازيون، يتاجرون بالدين ويخلطونه بالسياسة، ويتعاونون مع الشيطان في سبيل مصلحتهم، ويستغلون حاجة الناس وفقرهم في تحقيق مصالحهم الشخصية، يبيحون الكذب، ويسرقون أموال الزكاة؛ ليوزعوها على أنفسهم، أما شباب الإخوان فهم تافهون سطحيون يتحدثون الفصحى، مثل كفار قريش في الأفلام السينمائية.

يتعامل وحيد مع الإخوان ببدءاً إن رأيت حسنة كتبتها، وإن رأيت سيئة أدعتها، فهو لا يعترف بحقوق الإنسان مع هذه الجماعة؛ ولذا أغلق عينه تماماً عما وقع قديماً وحديثاً، وإذا قلنا إنه جهل ما وقع للإخوان منذ أربعينيات القرن الماضي من انتهاكات يشيب لها الولدان، فلا نعتقد أنه جهل ما وقع لهم على أيدي أولياء نعمته، ومدعمي مسلسله منذ بداية ثمانينيات القرن الماضي وحتى هذه الساعة.

اعتقالات بالآلاف، و7 محاكمات عسكرية، وقتل 4 أعضاء من الجماعة:

بعد مقتل السادات وخروج مرشد الإخوان الثالث عمر التلمساني من السجن اتجهت الجماعة نحو العمل العام مثل: البرلمان، النقابات، نوادي التدريس، العمل الطلابي؛ من أجل التغيير عن طريق النضال الدستوري.

وقد تقمّمت الجماعة أكثر من مرة بطلب لإنشاء حزب وشركات صحافة تستخدمها في عملها السياسي، لكن الحكومات المتتالية ما زالت ترفض حتى كتابة هذه السطور، رغم ما تمنحه لغير الإخوان، ممن لا يتمتعون بأي ثقل شعبي أو قيمة سياسية، وقد خاض الإخوان الانتخابات النيابية في أعوام 1984م، 1987م، 1995م، 2000م، 2002م، 2005م، وفي مجلس الشورى عام 1989م نجح نوابهم، رغم التضيق الشديد والاحتكاكات من جانب السلطة، حتى وصل عدد نوابهم في آخر انتخابات ديسمبر 2005م، 88 نائباً، ولقد نجح الإخوان في غالبية النقابات المهنية، ونوادي التدريس، والجمعيات الأهلية، والانتخابات الطلابية بصورة لافتة، وهو ما جعل النظام الحالي متوجساً منهم طوال الوقت، فعمل بشتى الطرق لمنع الإخوان من ممارسة العمل السياسي بسنّ القوانين، وإطلاق يد الأمن في كل شيء، واعتقال أعضاء الجماعة، ومصادرة أموالهم وممتلكاتهم وتلفيق التهم إليهم:

1- اعتقالات بالآلاف:

إنه منذ عام 1983م لم تخل سجون مصر ومعقلاتها من الإخوان، ولقد استغل النظام مناسبات بعينها، فكان يعتقل في المناسبة الواحدة الآلاف من أعضاء الجماعة، ففي انتخابات 1987م اعتقل أكثر من 2500 عضو، وأثناء مظاهرات الإصلاح 2006م تخطى العدد الـ3000 أخ، وفي غير المناسبات أيضاً كانت وما زالت هناك اعتقالات واقترحات وانتهاكات بشكل يومي، وغني عن البيان ما يتم إثر اعتقال الأعضاء من تعذيب وتجاوزات، وغني عن البيان أيضاً ما يتم من التضيق على أعضاء الجماعة في معاشهم ومشاريعهم الاقتصادية، وتعمد تعطيلها، وإثارة الشبهات حولها.

2- مقتل 4 من الجماعة:

وقد اغتال النظام منذ مجيئه اثنين من الإخوان داخل السجون، وقُتلَ أخ ثالث؛ بسبب قنبلة أُلقيت عليه، ومات أخ رابع في إحدى سيارات الترحيلات، بعدما تعمداً عدم إسعافه.. غير كثيرين ماتوا موتاً بطيباً بعد خروجهم من المعتقلات؛ بسبب التعذيب والإهمال والحالة السيئة التي عليها السجون.

ففي 8 نوفمبر 1981م قُتلَ كمال السنانيري أحد قادة الإخوان بعد تعرضه لتعذيب بشع بأوامر وزير الداخلية وقتها حسن أبو باشا، لقد شنقوه وادعوا انتحاره، وشهد العشرات أن هذه الجريمة الدنيئة خطّط لها النظام ونفذتها ثلة من المجرمين الذين لا ضمير لهم بسبب مواقف الشهيد الجريئة ضد الاستبداد والظلم.

وفي يوم 2003/11/3م مات تحت التعذيب مسعد قطب من إخوان الجيزة؛ حيث تم اعتقاله بمقر أمن الدولة بالجيزة (جابر بن حيان) يوم 2003/10/31م وقاموا باستجوابه عدة مرات، ومارسوا ضده أشكالاً متنوعة من التعذيب، ورغم إثبات النيابة وقوع تعذيب شديد على الشهيد إلا أن أحدًا من المجرمين الذين اغتالوه لم يُقدّم إلى المحاكمة.

وفي يوم 9 / يونيو 2004م فاضت روح المهندس أكرم زهيري، كان ضمن 58 معتقلاً من الإخوان من رجال الأعمال والأثرياء؛ حيث صادرت سلطات الأمن أكثر من 4 ملايين جنيه من بيوتهم وشركائهم، إضافة إلى كميات كبيرة من الذهب، وقد تعرضوا للتعذيب أثناء اعتقالهم، ونقل بعضهم من السجن إلى مقرات أمن الدولة؛ للتكيد بهم، وكان أكرم زهيري مريضاً بالسكر، فمنعوا عنه العلاج فساعت حالته، وقد حذر إخوانه ومحاموه من تطور حالته لكن المسؤولين زادوا في إهمالهم له، وأصرّوا على حضوره جلسات العرض على النيابة وهو محمول على أيدي إخوانه حتى سقط منهم ميتاً يشكو إلى ربه ما فعله المجرمون.

وفي 6 / 5 / 2005م قامت قوات أمن الدقهلية بقتل طارق غنام بمدينة طلخا، بإلقاء قنبلة مسيلة للدموع عليه ضمن أعداد من الإخوان تظاهروا في أحد المساجد من أجل القضية الفلسطينية.

3- سبع محاكمات عسكرية:

ولقد عقد النظام لأفراد الجماعة- حتى كتابة هذه السطور- سبع محاكمات عسكرية رغم اعتراض الجميع عليها؛ لمخالفتها القانون، وفي الوقت الذي يحاكم فيه الإخوان بتهم باطلة أمام قضاء عسكري كان الجواسيس لحساب إسرائيل يحاكمون أمام القضاء العادي.

أما القضايا التي أُحيل فيها الإخوان إلى المحاكم العسكرية فهي:

1- القضية 95/8 بتاريخ 1995/11/23م، 49 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 34، وبراعة 15، وتراوحت عقوبة السجن من 3: 5 سنوات.

- 2- القضية 95/11 بتاريخ 1995/11/23م، 33 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 20، وبراءة 12، وتراوحت عقوبة السجن من 3: 5 سنوات.
- 3- القضية 95/13، بتاريخ 1995/11/30م 3 متهمين، تم الحكم بسجن اثنين منهم، وبراءة واحد، (عقوبة السجن: 15 عامًا).
- 4- القضية 96/5 بتاريخ 1996/8/14م 13 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 8، وبراءة 5، (عقوبة السجن من سنة: 3 سنوات).
- 5- القضية 99/18 بتاريخ 2000/11/9م، 20 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 15، وبراءة 5، (عقوبة السجن من 2: 5 سنوات).
- 6- القضية 2001/29 بتاريخ 2002/4/7م، 12 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 15، وبراءة 7، (عقوبة السجن من 3: 5 سنوات).
- 7- القضية 2006/963 حصر أمن دولة عليا 40 متهمًا، تم الحكم فيها بسجن 25 أخصًا بمدد تتراوح بين 3 : 10 سنوات، وتبرئة الباقين.

وحيد الديمقراطي:

لم يتحدث وحيد الديمقراطي في مسلسله عن تزوير الانتخابات، ولا عن التوريت، ولا عن بيع الغاز لإسرائيل، ولا عن التواطؤ مع الصهاينة؛ للقضاء على المقاومة الفلسطينية، ولا عن الفساد الذي وصل للركب، ولا عن البطالة والنعوسة والأوبئة وغيرها، لم يتحدث وحيد في مسلسله عن كل هذا، وإنما كال التهم للإخوان، وأظهرهم بمظهر الخونة الخارجين على الأعراف والقوانين.

كما لم يتحدث وحيد عن دور الإخوان في استعادة هوية الأمة وفي حمايتها من الإباحة والتشدد والعنف، وفي ترسيخ المفهوم الوسطي للإسلام، ولم يتحدث عن دورهم في تقديم نماذج من الجيل المسلم الوطني، وعن دورهم في الارتقاء بالعمل النقابي، وفي الإصلاح، وفي الممارسات السياسية الرائعة، وفي إحياء روح المقاومة السلمية وغير السلمية ضد المستبدين والمحتلين.

يقول الباحث القبلي د. رفيق حبيب:

لقد أصبحت الجماعة بنية قوية داخل بنية المجتمع، ولا يمكن بالتالي فصلها عن المجتمع أو عزلها عنه، ولا يمكن انتزاعها، فلم تعد الجماعة نموذجًا يقدم للمجتمع بل أصبحت نموذجًا لمشروع بُني داخل المجتمع، لقد وفر الانتشار والشعبية التي تحققت لجماعة الإخوان محمية اجتماعية مترامية الأطراف تحفظ الجماعة وتحضنها وتحافظ عليها، بحيث أصبحت قادرة على الاستمرار بما توافر لها من دعم من جماهير الأمة.

يصور وحيد حامد البنا وجماعته في حلقات المسلسل الثماني والعشرين كأنهم مجموعة من الدراويش يجتمعون في مكان بائس ذي أضواء خافتة، وتدور بينهم حوارات سطحية تافهة، ليس لهم أهل أو أزواج أو أولاد، ويبدو زعيمهم البنا شخصًا خفيًا ضحل الفكر..

وما درى هذا المسكين أن هيئة الإخوان المسلمين عند حلها كانت تضم:

- 1- المركز العام للإخوان المسلمين بالقاهرة.
- 2- أكثر من 2000 ألفي شعبة في أنحاء القاهرة والأقاليم.
- 3- ما يقارب هذا العدد من جمعيات البر والخدمة الاجتماعية في أنحاء القطر وبالكثير منها مستويات ومدارس ونواد رياضية.
- 4- جيش من الفدائيين يحارب في فلسطين، وكان في تلك الفترة يحمي مؤخرة الجيش المصري، وكان القائد العام للجيش المصري بفلسطين يطالب الحكومة المصرية في نفس تلك الفترة بالإتعام بأوسمة البطولة ونياشينها على ضباط هذا الجيش الفدائي وجنوده لما أظهروا من بطولات فاقت كل تقدير، ولما قاموا من خدمات للجيش المصري لا يستطيعها غيرهم.
- 5- شركة دار الإخوان للصحافة شركة مساهمة مصرية، مركزها القاهرة، وتصدر جريدة يومية ومجلة أسبوعية عدا مجلتي شهرين.
- 6- شركة دار الإخوان للطباعة، شركة مساهمة مصرية مقرها القاهرة.
- 7- دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة، وهي تصدر سياتل من الكتب الإسلامية القيمة والرسائل النافعة.
- 8- شركة المناجم والمحاجر العربية شركة تضامن، ومنضم إليها شركة المعاملات الإسلامية بالقاهرة.
- 9- شركة الإخوان للنسيج بشبرا.
- 10- شركة الإعلانات العربية بالقاهرة.
- 11- شركة الإخوان للتجارة بميت غمر.
- 12- شركة لإصلاح الأراضي بنجح حمادي، وغير ذلك من المؤسسات.

شباب الإخوان في نظر إحسان عبد القدوس:

ونقتطف هنا فقرة للكاتب الكبير إحصان عبد القدوس، نشرها في تحقيق له بمجلة (روز اليوسف) 13 سبتمبر 1945م يصف فيها شباب الإخوان وقتها، نُهَدِيهَا لوحيد؛ ليتعلم أصول المهنة وعلى رأسها الصدق، وليعلم أن شباب الإخوان هم أنصج وأصلح شباب الأمة، أما الذين حضّرهم في مشاهد مسلسله فلا يزيدون على كونهم كائنات مضحكة موجودين في مخيلته، يقول عبد القدوس:

"وهم مع كل ذلك شباب (مودرن) لا تحس فيهم الجمود الذي امتاز به رجال الدين وأتباعهم، ولا تسمع في أحاديثهم التعاويذ الجوفاء التي اعتدنا أن نسخر منها، بل إنهم واقعيون يحدثونك حديث الحياة لا حديث الموت، قلوبهم في السماء ولكن أقدامهم على الأرض، يسعون بها بين مرافقها، ويناقشون مشكلاتها، ويحسون بأفراحها وأحزانها، وقد تسمع فيهم من ينكت ومن يحدثك في الاقتصاد والقانون والهندسة والطب".

الدعوة باقية ووحيد ذاهب:

وإذا كان وحيد حامد قد فعل ما فعل ظاناً أنه قد نجح في شيء، فإننا نؤكد أنه كناطح صخر، إنه ليس أول من يشوه الإخوان، ولن يكون آخرهم، ولقد شهدت الأيام أن الدعوة باقية صامدة ممتدة، يزداد معتقوها ومحبوها يوماً بعد يوم، في حين ألقى في مزيلة التاريخ كل من تطاول عليها أو حاول استئصالها.

يقول الدكتور محمد حبيب (المصري اليوم: 2010/8/23م) معقباً على أحداث المسلسل:

"إن رصيد هذه الدعوة في قلب وذاكرة ووعي الأمة هو رصيد عظيم، تماماً كالجبل الراسخ، لا يمكن أن ينال منه معول أيّاً كان حجمه ووزنه، وأياً كانت شرارته وضارته.. صحيح هناك قطاع من الناس سوف يتأثر، لكن الغالبية من الناس لديها حس سياسي، وذكاء اجتماعي، يستطيع أن يميز بين ما هو صالح وطالح.. وفي تصوري أن هذا المسلسل سوف يضيف إلى رصيد الجماعة ولا يخصم منه".

لقد قطع هذا المسلسل السبيل على ما يصف الجماعة بـ(المحظورة)، وصارت الجماعة بغضّ النظر عما يُقال في شأنها متابعة من الأمة كلها.. سوف تكون هناك برامج حوارية على مستوى كثير من القنوات الفضائية، وسوف يدعى إليها بطبيعة الحال الإخوان المسلمون".

هل استفاد وحيد من المسلسل!؟

أود أن أشير في البداية إلى أن مسلسل وحيد حامد لم يكن أول عمل يحاول تشويه الإخوان، ولن يكون الأخير.. ووحيد لا يعلم أن أي أخ منتم للإخوان، لا يحمل هذا الشرف إلا إذا آمن إيماناً لا شك فيه أنه سوف يصبح هدفاً للأشخاص المنحرفين والحكومات الفاسدة والعميلة، وأن جماعته سوف تكون مرمى لسهام كل من يكرهون الإسلام ويعادون شريعته.

إن حملات النيل من الجماعة بدأت مبكراً بعدما صارت الدعوة وصاحبها خطراً على المستعمر والأحزاب وأنظمة الحكم.. فكان منطقياً أن تتألب هذه القوى على الإخوان، وأن تكيد لهم، وأن تصطنع معهم حروباً، كل على شاكلته.. فلم يتركوا اتهاماً حتى اليوم إلا أصقوه بالجماعة، ولم يتركوا مجالاً دخل فيه الإخوان إلا ضيقوه عليهم.. لكن هذه الاتهامات الكاذبة لم تنن الإخوان يوماً عن المضي في طريقهم، ذلك ليقينهم أن هذا أمر طبيعي في تاريخ الدعوات، فما من صاحب رسالة إلا أودي وعرضه قومه للضيق والعنت.

وفي هذا يقول الإمام حسن البنا:

"أحب أن أصارحكم أن دعوتكم ما زالت مجهولة عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيراً من المشقات، وسيعترضكم كثير من العقبات، وفي هذا الوقت وحده تكونون قد بدأت تسلكون سبيل أصحاب الدعوات، أما الآن فما زلت مجهولين، وما زلت تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد.. سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة في طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستعرب فهمكم للإسلام، وينكر عليكم جهادكم في سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف في وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم، وأن تضع العراقيل في طريقكم.

وستدخلون بذلك ولا شك في دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون وتنقلون وتشتدون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون (2)) (العنكبوت).. ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين، ومثوبة العاملين المحسنين: (يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم (10) تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون (11) يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ومسكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم (12) وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين (13) يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فأمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدتنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين (14)) (الصف)، فهل أنتم مصررون على أن تكونوا أنصار الله".

وحيد يكذب.. ولا يتجمل!!

لم أر في حياتي شخصاً بجرأة وحيد حامد، ولم أدر حتى الآن كيف حصل على هذه الجرأة.. إنه يكذب الكذبة الكبيرة، ويجادل فيها كأنها الحق بعينه، ولو أنه يفعل ذلك ثم يتجمل لصار مقبولاً، باعتبار هذا التصرف ليس غريباً على كثير من الشخصيات العامة.. إلا أنه لا يفعل ذلك، ويصر على الكذب بدون دليل، رغم ما يواجهه به من أسانيد تبطل ادعاءاته.. ولنضرب مثلين اثنين لهذا الأمر:

في حوار مع "الشروق" (2010/9/12م)، ادعى أنه لم يشوه صورة أحد من الإخوان المعاصرين، ولما سأله المحرر عن المشاهد التي ظهر فيها المرشد السابع محمد مهدي عاكف وقد بدا في صورة مضحكة، أكد - بجرأته المعهودة - أنها ليست له، مضيفاً: "أنا لم أقدم مرشداً، الناس ظنت أنني قدمت شخصية المرشد محمد مهدي عاكف، لكنني لم أقدمه على الإطلاق، وأنا شخصياً أحترم هذا الرجل، لأنه عفوي وجاد وصريح".

وليرد الآن القارئ الكريم على هذا (الرجل).. تخيلوا:

لم يقدم الأستاذ عاكف على الإطلاق!!.. وهو يحترم هذا الرجل!!.

أما الكذبة الكبرى التي يدافع عنها فهي قوله:

إن الإخوان لا يتعرضون للتعذيب في مقار أمن الدولة!!.. صرح بذلك - وبلهجة حادة - أكثر من مرة.

ففي "روز اليوسف" (2010/8/28م) قال: "أتحدى أي إخواني، من كبيرهم لصغيرهم أن يقول لي أنه تم تعذيبه في أمن الدولة".

ويقول في موضع آخر من هذا الحوار: "وأنا أريد (ذكر) من جماعة الإخوان يقول لي أنا تم تعذيبي في أمن الدولة.. وأنا لم أكن أعرف أن نسبة كبيرة من الإخوان (ضاللية) ولا يقولون الحق".

وفي الشروق (2010/9/12م) قال: "وكما عاهدت نفسي، فقد توخيت عما يحدث الآن في استجابات أمن الدولة، والتقيت مجموعة من الإخوان الذين تعرضوا للاعتقال وسألتهم عما يحدث معهم، فوجدت أنه لا يوجد أي نوع من التعذيب يحدث لهم، وهي شهادة مجموعة من الإخوان أنفسهم، حتى إن أحدهم قال لي بالحرف: إن أمن الدولة يقدم للناس الشاي والمشروبات الساخنة، لكن السجن حتى لو كان في قصر سوف يظل سجنًا".

وقد ادعى في حوارات أخرى أنه سأل الدكتور عصام العريان عن تعرض الإخوان للتعذيب من عدمه، فأكد له العريان أنه لا يوجد تعذيب الآن، رغم المرات العديدة التي اعتقل فيها!!.

ونحن نؤكد له أن مجموعة الإخوان التي التقاها، لا بد أنها من جماعة أخرى غير جماعة الإخوان المسلمين، لأن غالبية أعضاء الإخوان تعرضوا للسجن والاعتقال، ومنهم من ذاق تلك المرارة مرة واثنين وعشرين مرة، وإذا كانت جماعة من الإخوان لم تعتقل فإنها على علم بما يجري لإخوانهم المعتقلين الذين زاد عددهم على 30 ألفاً في السنوات العشر الأخيرة، تعرضوا فيها لشتى أنواع التعذيب البدني والنفسي، بدءاً من الضرب الخفيف، مروراً بالصعق الكهربائي في الأجزاء الحساسة، وانتهاء بالقتل.

إنه كان وما زال هناك اعتقالات، واقتحامات، وانتهاكات، وتعذيب وتجاوزات، بشكل يومي.. ناهيك عما وقع على أفراد الجماعة من محاكمات عسكرية جائرة، ومن قطع أرزاقهم والتضييق عليهم في معاشهم ومشاريعهم الاقتصادية، وتعتمد تعطيلها وإثارة الشبهات حولها.

وهل لم يسمع وحيد بطبيب الفيوم الذي أيّد البرادعي، ولمجرد أنه من الإخوان (شرحوه) حتى تم نقله لإحدى المستشفيات بين الحياة والموت؟!.

وأنا لا أشك في صدق كلام وحيد الذي نقله عن الدكتور عصام العريان، فإذا كان الدكتور عصام لا يعذب، باعتباره شخصية عامة، فإن مئات الإخوان يعذبون في مقار أمن الدولة الذي أنشئت خصيصاً لهم.. وإذا كان الدكتور عصام لم يتم حرقه بالكهرباء، فإن الشارع الذي يسكن فيه تحول ذات مرة أثناء القبض عليه إلى ساحة عسكرية تشبه ساحات الحرب الحقيقية، كان البطل فيها ضباط وجنود أمن الدولة الذين أمروا جميع سكان الشارع بإغلاق أبوابهم عليهم، ثم دخلوا بيت الدكتور عصام فكسروا باب شفته وشقق أقاربه بطريقة همجية، وأمروا جميع من في البيت إما بالانبطاح أرضاً أو النظر في الحيط.. وقد اقتيدت المجموعة التي تم القبض عليها في شقة الدكتور عصام بطريقة إرهابية ما زال أهل المنطقة يتحدثون بها.

بل أؤكد لوحد أن التعذيب طال نساء الإخوان - في زمن عزت فيه الرجولة، وصارت هناك تجاوزات عديدة - أزعت قيادة الإخوان - في حق هؤلاء الفضليات، كالضابط (الشهم) الذي اقتاد إحدى الزوجات معه أثناء القبض على زوجها وهي بملابس البيت.. ثم ألقاها الساعة الثالثة صباحاً وفي فصل الشتاء في منطقة زراعية مهجورة تبعد عن بيتها عدة كيلو مترات.

وإذا نزلنا على رأي وحيد وافترضنا - جدلاً - أن الإخوان لا يتم تعذيبهم، فهل ما يجري لهم داخل أقسام الشرطة وفي النيابات والسجون لا يعد تعذيباً نفسياً رهيباً لهم، وهم أكثر الناس التزاماً واحتراماً؟!، وهل تليفق القضايا ضدّهم ومصادرة أموالهم وفصلهم من أعمالهم لا يُعدّ تعذيباً؟!!

حسن البناء

لا يستحق هذا التشويه

عندما يسيطر الغرور على شخص ما، فإنه يضرب بحقوق الآخرين عرض الحائط، وعندما تتحكم العداوة من صدره فلا تنتظر منه سوى الإساءة والتكيل.. ووحيد حامد الذي يكره كل مولود يولد في الإخوان لا ننتظر أن يتحدث عن فضائل الإخوان ونزاهتهم، وعن عبقرية الإمام وصلاحه.. لقد قدّم من قبل: طيور الظلام، الإرهاب والكباب، الإرهابي، العائلة، دم الغزال - وكلها تسبّ وتلعن الإسلاميين عموماً، والإخوان على وجه الخصوص.

يقول وحيد -: "ليس من حق الإخوان محاسبتي عما اكتبته!!"

(الأهرام - ملحق على الهواء: 2010/9/8م)

وقد ادّعى أن يأتي الإخوان بوقعة واحدة تثبت أنه زور التاريخ، أنا موافق، ولكن هات لي ورقة واحدة مزورة وحاسبني عليها - "روز اليوسف، 2010/8/28م".

البناء عند وحيد:

صوّر وحيد، الإمام الشهيد - منذ أول حلقة ظهر فيها - بأنه متطرف، عنيف، يُقسّم الناس إلى مؤمنين وكفار، ويعامل غير المسلمين بغلظة وتمييز، وهو لذلك - في نظر وحيد - لا يستحق كل هذا التقدير والاحترام من جانب الإخوان وغير الإخوان.

وهذا كلام كاذب، وإفك افتراه هذا المؤلف على رجل شهد له الجميع بتسامحه، وسلاسته، وسهولته ولينه، وأنه كان إنساناً رقيقاً، ولم يكن تصادماً في أي مرحلة من مراحل حياته.. وكان متواضعاً، زاهداً ورعاً، نقيّاً نقيّاً، عابداً متبتلاً، صواملاً قواماً، موصولاً بالله مرتبطاً بالآخرة.. وقد أشرب حب أهله ومجتمعه ووطنه وأمته.. وكان منفتحاً على الجميع، يجمع ولا يفرق، يوحد ولا يشتت، يبشّر ولا ينفّر، يبسرّ ولا يعسرّ.

وصوّر وحيد، الإمام الشهيد، بأنه يمد يده للجميع، ويأكل على كل الموائد، يوالي الملك تارة، والإنجليز تارة، والوفد تارة، يعمل لمصلحته ومن أجل أن يكون زعيماً، وهو مثلون كذاب!!

روبير جاكسون يصف حسن البناء:

وتلك اتهامات تعبّر عن مكنون نفس صاحبها، وما تحمله من غلّ وحقد.. ونقل هنا ما جاء على لسان المستشرق الأمريكي "روبير جاكسون" في وصفه لحسن البناء، وفي ردّه الكفاية والدليل.. يقول جاكسون:

لفت نظري إلى هذا الرجل سمته البسيط، ومظهره العادي، وثقته التي لا حدّ لها بنفسه، وإيمانه العجيب بفكرته.

كان الرجل يؤمن بالخصومة الفكرية ولا يحولها إلى خصومة شخصية، ولكنه مع ذلك لم يسلم من إيذاء معاصريه ومنافسيه، فقد أعلنت عليه الأحزاب حرباً عنيفة.

كان يقفّي خطوات عمر وعلي، ويصارع في مثل بيئة الحسين، فمات.

لقد سمعت الكثير من خصومه، وكان هذا طبيعياً، بل كان من الضروري أن يختلف الناس في رجل استطاع أن يجمع حوله هذا الحشد الضخم من الناس، بسحر حديثه، وجمال منطقه.. وقد انصرف هؤلاء من حول الأحزاب والجماعات والفرق الصوفية والمقاهي ودور اللهور.

ومن الأمور التي لفتت نظري أنه أخذ من عمر خصلة من أبرز خصاله، تلك هي إبعاد الأهل عن مغامر الدعوة، فقد ظلّ عبد الرحمن، ومحمد، وعبد الباسط، وهم إخوته، بعيدين عن كبريات المناصب، ولطالما كان يحاسبهم، كما كان عمر يحاسب أهله، ويضعف لهم العقوبة إذا قصرُوا.

وفي خلال هذه الزيارات - يقصد زيارات المرشد للبعيد - كنت ترى الرجل بسيطاً غاية البساطة، ينام في الأكواخ أحياناً، ويجلس على (المصاطب) ويأكل ما يُقدّم له.. لا يحرص إلا على شيء واحد، هو ألا يفهم الناس عنه أنه شيخ طريقة، أو من الطامعين في المنفعة العاجلة.

وإنني على ثقة بأن حسن البناء رجل لا ضريب له في هذا العصر، وأنه قد مرّ في تاريخ مصر مرور الطيف العابر الذي لا يتكرر.

كان واسع الأفق إلى أبعد حدّ، يفتح النوافذ للهواء الطلق، فلا يكره حرية الرأي، ولا يضيق بالرأي المعارض، وقد استطاع أن يحمل الرأي الجديد إلى الجماهير دون أن يصطدم بهم.

وكان له من صفات الزعماء، صوته الذي تتمثل فيه القوة والعاطفة، وبيانه الذي يصل إلى نفوس الجماهير ولا تتبو عنه أذواق المتقنين، وتلك اللباقة والحكمة والمهارة في إدارة الحديث والإقناع.

كان سمته البسيط، ولحيته الخفيفة، وذلك المظهر الذي لا تجد فيه تكلف بعض العلماء، ولا العنجهية ولا السذاجة؛ قد أكسبه الوقار. ومن أبرز أعمال هذا الرجل، أنه جعل حب الوطن جزءاً من العاطفة الروحية، فأعلى قدر الوطن، وأعز قيمة الحرية، وجعل ما بين الغني والفقير حقاً وليس إحساناً، وبين الرئيس والمرعوس صلة وتعاوناً وليس سيادة، وبين الحاكم والشعب مسئولية وليس تسلطاً.. تلك من توجيهات القرآن، غير أنه أعلنها هو على صورة جديدة لم تكن واضحة من قبل.

وحاول الإنجليز أن قَدَّموا له عروضاً سخية، فرفضها في إباء، ونامت الأحزاب في انتظار الهدنة، وظلَّ الرجل حديدي الأعصاب يعمل أكثر من عشرين ساعة، لا يتعب ولا يجهد، كأنما صيغت أعصابه من فولاذ.

شهادات الأصدقاء والأعداء:

إن حسن البنا الذي ظلَّ وحيد حامد طوال حلقات مسلسله الفاشل ينتقص من قدره، ويزيف تاريخه، باتهامه بالتحايل والنرجسية، وينعته بالاضطراب النفسي، وبغف الشخصية، ويتناقض أقواله مع أفعاله، هو من شهد له أصدقاؤه وأعداؤه أنه كان عبقرياً فذاً، قَدَّم الإسلام بصورة جديدة وشكل جذاب يناسب العصر، وأنه كان مضرب المثل في الصدق والتوازن، والوسطية والاعتدال، في حياته وكلماته.. وكان عالماً فقيهاً، ملهماً مبدعاً، قائداً زعيماً، مربيّاً - رحمه الله.

يقول الشيخ محمد الحامد:

"إنني أقولها حرة ولا بأس بروايتها عني، أقول: إن المسلمين لم يروا مثل حسن البنا منذ مئات السنين، في مجموع الصفات التي تحلى بها، وخفقت أعلامها على رأسه الشريف".

لا أنكر إرشاد المرشدين، وعلم العالمين، ومعرفة العارفين، وبلاغة الخطباء الكاتبيين، وقيادة القائدين، وتدبير المدبرين، وحنكة السائسين. لا أنكر هذا كله عليهم من سابقين ولأحقين، لكن هذا التجميع لهذه المتفرقات من الكمالات قلما ظفر به أحد كالإمام الشهيد رحمه الله. لقد عرفه الناس وآمنوا بصدقه، وكنت واحداً من هؤلاء العارفين به، والذي أقوله فيه قولاً جامعاً: هو أنه كان لله بكلية: بروحه وجسده، بقلبه وقلبه، بتصرفاته وتقلبه، كان لله فكان الله له، واجتباؤه وجعله من سادات الشهداء الأبرار.

لا قداسة للبنا عند الإخوان:

إن حسن البنا الذي يدعي وحيد أن الإخوان يقدسونه، هو من رباهم على أن يكون ولاؤهم لله دون الناس، وللدعوة دون الأشخاص، وأنه كان واحداً منهم لا يتميز عنهم بشيء.

في عام 1938م عقد طلاب الإخوان مؤتمراً بدار جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، وعندما وقف الإمام البنا للخطابة، إذا بأحد الإخوة من الطلاب تجيش عواطفه وتأخذ الحماسة ويهتف بحياة حسن البنا.. وبالرغم من أن الهتاف لم يكن إلا صيحة في فلاة لم تجد من يستجيب لها من الحضور، إلا أن فضيلته وقف صامتاً والأنظار تتطلع إليه وكأن شيئاً قد حدث. وما هي إلا لحظات حتى بدأ حديثه في غضب فقال:

أيها الإخوان، إن اليوم الذي يُهتف فيه في دعوتنا لأشخاص لن يكون ولن يأتي أبداً.. إن دعوتنا إسلامية ربانية، قامت على قاعدة لا إله إلا الله، ولن تحيد عنها أبداً.

أيها الإخوان:

لا تتسوا في غمرة الحماس، الأصول التي آمنة بها وهتفنا لها من كلِّ قلوبنا (الله غابتنا) فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد، الصلة التي تربطهم بالله تبارك وتعالى، والتي نسوها فأنساهم الله أنفسهم (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون (21)) (البقرة).

يقول الدكتور الطاهر أحمد مكي - رحمه الله - الذي عمل رئيساً لتحرير مجلة (أدب ونقد) اليسارية:

أتاح لي القرب من البنا امتداد تلك الشهور القليلة، أن أتبين فيه أشياء كثيرة: الذاكرة القوية، فما رأته مرة إلا وسألني عن أهلي بأسمائهم فرداً فرداً، حتى أولئك الذين لقيهم لدقائق قليلة، أو ذكرت أسماءهم أمامه مرة واحدة، وقدرته الفائقة على أن يتكلم العربية الصحيحة والبسيطة والواضحة دوماً، وعفة لسانه، فما رأته مرة يخوض في سيرة أحد، أو يذكر شخصاً بسوء، معارضاً أو عدواً، وإنما ينقد ما يراه من زيف وباطل، أو خروج على قواعد الدين، نقداً موضوعياً، يشخص الداء، ويعمل على أن يجمع ويوحد ويؤلف، ويردد باستمرار: نعمل سوياً فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه.

ورأيتُه يسع قلبه الناس جميعاً، من يكبرونه سنّاً، ومن يفوقونه في الوظائف درجات، فضلاً عن دونه عمراً ومقاماً، يهتم بأمرهم، ويعينهم على تجاوز ما يعترضهم من صعاب.

وحيد يجتهد في تحطيم (أسطورة) البناء:

في الحلقات الثلاث الأخيرة يجند وحيد حامد كل خبراته وطاقاته لتحطيم أسطورة حسن البناء- فهذه الحلقات هي التي سبتقى عالقة في ذهن المشاهد، هكذا تعلم من مهنة الكتابة السينمائية والتمثيل.. ولذا فإنه يبذل أقصى ما يستطيع لإهالة التراب على (فضيلة المرشد)، القزم الصغير!!، الذي يبيع إخوانه حرصاً على مكانته وسلطانه، فيقدم من أجل ذلك التنازلات، ويكتب ضد زملائه البيانات والتقارير، ويتنذل للمسئولين، بل ويبيكي بكاء النساء.

ولا يتورع وحيد من أجل تحقيق هدفه.. أن يكذب كذب الشياطين (فالبناء- في الحلقة- غاب عن ذهنه قضية فلسطين، فيتقدم الدكتور محمود عساف بفكرة اهتمام الإخوان بالقضية أمام الرأي العام للتغطية عما اقترفه التنظيم الخاص بمقتل الخاذنار!!).

كما لا يتورع في - ختام المسلسل - عن تعطيل حواسه، وعلى تعييب نفسه عن الواقع، كي يمرر مشهد تلاشي أسطورة حسن البناء، بخروجه من بطولة العمل ضائعاً مسكيناً.. نادماً على اشتغاله بالسياسة.

والله، إن حسن البناء لا يستحق أبداً هذا التشويه، بل يستحق أن تسمع الدنيا لما قال، وتفعل مثلما فعل، وأن تسير على خطاه إن أردت لنفسها العزة والكرامة، والنزاهة والفضيلة.. لقد سئل يوماً عن نفسه فقال:

"أنا سائح يطلب الحقيقة، وإنسان يبحث عن مدلول الإنسانية بين الناس، ومواطن ينشد لوطنه الكرامة والحرية والاستقرار، والحياة الطيبة في ظل الإسلام الحنيف.. أنا متجرد أدرك سر وجوده، فنادى (إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَأَشْرِكَ لَهُ وِبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (163)) (الأنعام)".

وهو الذي قال:

"ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهد ثمناً لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء.. وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التي استبدت بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا، وأسالت مدامعنا، وإبه لعزير علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس، فنحن نعمل للناس في سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يوماً من الأيام".

فهل بعد هذا كله يسبه (وحيد حامد) بأمر السلطة هذا السب الشنيع، ويستخرج حسناته فيجعلها سيئات بعدما أفضى الرجل إلى ما قدم؟!.. اللهم أنت الحكم العدل، فاحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون.

ماذا قدم البناء؟

إن العشرين عاماً التي قضاها مرشد للجماعة منذ تأسيسها عام 1928م وحتى وفاته فبراير 1949م حفلت بأعظم الأعمال لمصر والعالم الإسلامي، وهي الفترة التي اختزلها وحيد حامد في مشاهد تحض على البغض والكراهية، وتُظهِر الإخوان كأنهم يعوقون التقدم، ويرجعون بالناس القهقري، ويقفون ضد الحريات، ويجمدون الحياة، ويعادون غير المسلمين، ويريدون أن يعلنوا الحرب على العالم كله.

لقد أعلن البناء في الناس أن الإسلام نظام اجتماعي كامل، فهو ليس ديناً فقط بالمعنى الذي قرّرتَه النظم الأوروبية في الأذهان مقتصر على المعابد والصوامع والخلوات، ولكنه دين ودولة، ونظام كامل للحياة يتناول كل شيء في المجتمع المؤمنين به والمعتقدين له.. ففتبعت لذلك مشاعر الناس واستنارت أذهانهم، وانطلق بهذه الدعوة بعد ذلك كل كاتب وكل إنسان.

وأنشأت دعوة الإخوان جيلاً جديداً من الناس يعيش بفكرة، ويعمل لغاية، ويكافح في سبيل عقيدته، ويعطي ولا يأخذ، ويؤمن بالله واليوم الآخر، ويتمسك بالفضيلة ومكارم الأخلاق، يؤثر البذل والتضحية في سبيل الله وابتغاء مرضاته، ويعزف عن الدنيا وشهواتها ومطامعها الزائلة.

وكانت دعوة الإخوان وحدة جامعة للعناصر الحية العاملة المخلصة في كل بلاد العروبة ومواطن الإسلام، وكانت هيئة الاتصال بين الهيئات والجماعات الإسلامية، وقد ساهمت الجماعة في كل الحركات التحريرية للبلاد العربية والإسلامية، فضلاً عن تنبيهها الأذهان إلى حقوق الأقليات الإسلامية في مختلف الأوطان، فكانت بذلك وحدة جامعة بين المسلمين أينما كانوا، أساسها وحدة الأمل والأمل، ولحمتها العمل والإيمان.

ردود على شبهات

وأكاذيب وحيد حامد

عدد كبير من الشبهات والتهم ألقاها وحيد حامد جزافاً على الإخوان في مسلسله الفاشل.. العجيب أن المؤلف (المدقق) لم يُكَلِّف نفسه بالنظر في أدبيات الإخوان، وخصوصاً تراث البناء؛ للوقوف على حقيقة هذه القضايا عندهم، كما لم يُكَلِّف نفسه بالرجوع إلى المعاصرين منهم للاستفسار عن حقيقة هذه التهم؛ لو افترضنا أنه يجهل واقعهم البريء - كل البراءة - من هذه الشبهات. من المؤكد أن وحيد فعل ذلك عامداً متمعداً؛ لغرض في نفسه.. ونحن لن نجتهد من جانبنا في جداله أو الرد عليه.. ولكن نترك المجال لأقوال البناء بنفسه، التي كتبها منذ ما يزيد على 70 عاماً للردِّ عليه، وهي بذلك تعد شاهداً على هذا الرجل الذي فعل فعلاً خطيراً؛ ذلك أنه ترك الشيء الصادق الطيب، وتناول الكاذب الخبيث، فحق أن يوصم مسلسله بالفشل، وأن يوصم هو بالخداع والتدليس.. وفيما يلي رد على هذه الشبهات..

الإخوان ليسوا دعاة كسل أو دروشة:

يخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين جماعة دراويش، قد حصروا أنفسهم في دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسيب، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطناً وجنسية، وخلقاً ومادة، وثقافة وقانوناً، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظاماً كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة، وينظم أمر الدنيا كما ينظم أمر الآخرة. اعتقدوه نظاماً علمياً وروحياً معاً، فهو عندهم:

دين ودولة، ومصحف وسيف.. وهم مع هذا لا يهتمون أمر عبادتهم ولا يقصرون في أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذي أمر به، وفي الحدود التي وضعها لهم، في غير غلو ولا سرف، فلا تتطع ولا تعمق، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذي لا يضر بأخرتهم.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون في كل أوقاتهم أن المسلم لا بد أن يكون إماماً في كل شيء، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق في كل شيء، في العلم وفي القوة وفي الصحة وفي المال، والتأخر في أي ناحية من النواحي ضار بفكرتنا، ومخالف لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التي تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط، وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنايية الشخصية، فلا يعمل لأخريه شيئاً، ولا يُعنى من أمر أمته بشيء، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم".

الإخوان لا يمدون أيديهم لأحد:

ألا فليعلم الجميع أن دعوة الإخوان هي أعفُ الدعوات، وأن جماعتهم هي أشرف الجماعات، وأن مواردهم من جيوبهم لا من جيوب غيرهم، ونفقات دعوتهم من قوت أولادهم ومخصصات بيوتهم، وأن واحداً من الناس أو هيئة من الهيئات أو حكومة من الحكومات أو دولة من الدول، لا تستطيع أن تجد لها في ذلك منة عليهم، وما ذلك بكثير على دعوة ما يطلب من أهلها: النفس والمال ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ (التوبة: من الآية 111)، وقد قبل الإخوان البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس، معتقدين أن الفضل كله لله، فاستغنوا بما في أيديهم عما في أيدي الناس، وقد منحهم الله البركة في القليل فأنتج الكثير.

وإلى الآن لم تمنح الجماعة إعانة واحدة من حكومة من الحكومات.. وهذا ما نباهي به ونفاخر، ونتحدى الناس جميعاً أن يقول أحدهم إن خزنة الجماعة قد دخلها قرش واحد من غير جيوب أعضائها، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتد على الحكومات في شيء، ولن نبخل على دعوتنا يوماً من الأيام بقوت أولادنا وعصارة دماننا وثمان ضرورياتنا، فضلاً عن كمالياتنا والفائض من نفقاتنا.

إننا نعمل لغاية، على هدى من ربنا، وهي الإسلام وأبناؤه في كل زمان ومكان، ولن نعمل في يومٍ من الأيام لحساب هيئة من الهيئات أو جماعة من الجماعات، ولن نمد أيدينا إلى أحد، ولن نستعين بفرد أو هيئة أو جماعة.

الإخوان جماعة من المسلمين:

لم يزل فقهاء الدعوة المعتمدون وجميع قياداتها يعتبرون الإخوان هم جماعة من المسلمين، تسعى لتحقيق منهج الله في الأرض، وإيجاد الأمة التي تحمل هذا المنهج وتطبقه - أولاً - على نفسها، وتحمل تبعات هذه الأمانة، والإخوان لا ينسون أبداً أخوتهم لكل مسلم، كما وصف الله المؤمنين بقوله: ﴿أَدَلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (54)﴾ (المائدة). كما أنهم لا يبغضون أهل الفضل فضلهم، ولا يتكبرون على الحق، بل يحاسبون أنفسهم بإنصاف، والميزان الذي يرجعون إليه هو الحق المتمثل في الكتاب والسنة، والحكم دائماً بينهم هو حكم الله ورسوله والشورى، كما تحاول الجماعة دائماً أن تتقي صفها، وأن تربي أفرادها، وتحرر المسلمين من أمراضهم التي أدت إلى إذلالهم وقعودهم وتخلفهم.

فالعاملون للإسلام بحق يفهمون جيداً أن جماعة المسلمين هي التي يُمكن الله لها في الأرض، ويكون لها إمام هو إمام المسلمين جميعاً، وقيل ذلك لا يجوز ولا يصح هذا، كما أن الإسلام ليس حكراً على طائفة أو حزب أو جنس بشري، وإنما هو دين الله الذي ختم به الرسالات للبشرية جمعاء، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم هو وحده محل القدوة والأسوة ومصدر التلقي والاتباع والطاعة ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31)﴾ (آل عمران).. ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (21)﴾ (الأحزاب).

إن أي إنسان أو طائفة أو جماعة أو جنس بشري لا يمتلك ذلك مهما علا شأنه، فإنه يبقى دائماً وأبداً متبعاً وليس مبتدعاً، ويبقى الإسلام وحده هو الموجه والقائد، ويبقى الإسلام وحده هو الحاكم والمسيطر على سلوكنا جميعاً، ويبقى الإسلام وحده هو الميزان الثابت لأعمالنا.. ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (138)﴾ (البقرة).

ولا يصح أبداً أن يكون سلوك فرد أو جماعة أو هيئة هو المنهج والمقياس، وأن نصيب المسلمين أفراداً وجماعات من نصرة الإسلام لا يكون متفاوتاً إلا بمقدار ما يقدمون لدينهم ولأمتهم، وبمقدار إخلاصهم وتجردهم، وبمقدار صدقهم وعطائهم، وبمقدار ما يقتربون بسلوكهم من المثل الكامل، المثل الأعلى المعصوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، والإسلام دين جماهير هذه الأمة في أنحاء العالم، وهو أمل هذه الجماهير وهدفها، بل وحياتها.

ومن هنا نستطيع أن نقول:

إن الجماعات أو الجمعيات التي تدعو إلى الإسلام ليست مراكز احتكار له، وليست بعيدة عن جماهير الأمة أو منفصلة عنها، أو غريبة على كيانها وحقيقتها، وإنما هي مجموعات من العاملين للإسلام، ترجو أن تكون أكثر ثواباً عند الله، وأكثر اهتماماً بقضايا الإسلام وآلامه، وهي مراكز تعمل للإسلام وتتمثل الإسلام الحق في واقعها، وتعطي نموذجاً عملياً حسناً طيباً للحياة الإسلامية في تسامحها وعدلها وأفقها الواسع، وفهمها العميق للإسلام، وحبها للآخرين، وحرصها على سيادة أمة الإسلام.

ولا يكفرون مسلماً أقر بالشهادتين:

الحكم على شخص بالكفر، يعني إهدار دمه، وبالتالي فإن الحكم بكفر مسلم أمر في غاية الخطورة، فإن من يكفر مسلماً بغير حق بيوء هو بائم الكافر، فقد روى البخاري أن أبا نر - رضي الله عنه - سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه" متفق عليه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا قال الرجل لأخيه يا كافر، فقد باء بها أحدهما، فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه".

ولقد صاغ الإمام حسن البنا - رحمه الله - من هذه النصوص، قاعدة مهمة، هي الأصل العشرون من ركن الفهم، أراد بها ألا تكون كلمة الكفر سهلة النطق فيرمي بها براءء؛ لأن في ذلك انحرافاً قد يؤدي إلى اتهام الأمة كلها بالكفر، كما فعل الخوارج، فتصير فتنة وهلاكاً، يقول رضي الله عنه: "لا تكفر مسلماً أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاها وأدى الفرائض، برأي أو معصية، إلا أن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، أو كذب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويل غير الكفر".

ولقد كان موقف الإمام حسن الهضيبي صلباً لا ليونة فيه، تجاه من أعلنوا هذا الفكر المنحرف، ولقد فاصلهم في أثناء محنة السجن، وأصدر كتاب (دعاة لا قضاة) وقال لهم قولته المشهورة: "إذا أصررتم عليه، فابحثوا لكم عن لاقئة أخرى غير لاقئة الإخوان لتعملوا تحتها، فليس هذا فكر الإخوان، وليس من الإسلام".

ولقد سارت الجماعة على هذا المنهج طوال تاريخها، ما زاعت يوماً عنه، ولقطع الطريق على كل تأويل، تبنى مكتب الإرشاد عام 1982م سياسة إخوانية ملزمة لجميع الأقطار، تقوم على مبدأ المناصحة بين الإخوان والسلطة الحاكمة.

وعندما سئل الأستاذ عمر التلمساني عن جماعات التكفير أجاب:

"الإسلام ينكر الاغتيال والقتل، وما دمنا مسلمين فنحن متمسكون بديننا، وهذه الجماعات - والكثير منها يكفرنا كالتكفير والهجرة والجهاد - يرددون أن الإخوان المسلمين قد تركوا الجهاد، ونحن في غرف بعض هذه الجماعات نشترك - على مستوى واحد - في الإثم مع الدولة. وللأسف كانت الأسلحة تُشتري وخطط العنف تُدبر، وقد تركت الدولة كل هذا واستشعرت فقط خطر مقالات البعض من أمثالي، إن ديني يحرم العنف، وإذا أبحث قتل إنسان أختلف معه فإنني أبيع قتلي أنا الآخر، وثق أن هناك منطقاً بسيطاً يفيد بأن هذا الشباب المتطرف لو وجد بغيبته في العنف وأسلوب الاغتيال السياسي في جماعة الإخوان المسلمين لانضم إلينا، وما وجد حاجةً للانضمام إلى تنظيمات أخرى غيرنا".

عباءة الإخوان المظلومة!!

ومن التهم التي يوجهها المرجفون للإخوان، أن جماعات (العنف والتكفير) خرجت من تحت عباءتهم.. يقول الدكتور يوسف القرضاوي رداً على هذه التهمة:

"الحق الذي لا ريب فيه: أن بعض هذه الجماعات مثل جماعة (التكفير) تعد (انشقاقاً) على الإخوان، وليست (امتداداً) للإخوان. وقد بدأت بذور هذه الجماعة في السجن الحربي، وتسلسل تفكيرهم حتى انتهى بهم الأمر إلى (تكفير الناس بالجملة) ابتداءً بالذين يتولون تعذيبهم بلا رحمة، ثم من يأمرهم بهذا التعذيب من الحكام، ثم من يسكت على هؤلاء الحكام من الشعوب. وقد اعتزلت هذه الفئة الإخوان في السجن، وكانوا لا يصلون معهم، وقام بينهم وبين الإخوان جدل طويل ورد عليهم مرشد الجماعة الثاني حسن الهضبي رحمه الله في مقالات سجلها ونشرها بعد ذلك في كتابه (دعاة لا قضاة). وقد اتهم شكري مصطفى أمير جماعة التكفير ومؤسسها، قادة الإخوان بالخيانة العظمى؛ لأنهم لم يقاوموا رجال الأمن والشرطة وسلموا جلود إخوانهم للسيطرة ورقابهم للمشاقق.

فكيف يعتبر الإخوان مسئولين عن هؤلاء الذين انشقوا عنهم واتهمهم بأبشع التهم؟ إن هذا أشبه بمن يُجمل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه وزر جماعة (الخوارج) الذين كانوا جنوداً في جيشه، ثم انشقوا عنه وخرجوا عليه، ورموه بالكفر، وتحكيم الرجال في دين الله، ثم تأمروا عليه وقتلوه غيلةً رضي الله عنه! هل يقبل عاقل هذا المنطق الأعوج؟ أن يحمل المرء تبعه من يخرج عنه ويتمرد عليه وينصب له الحرب والعداء؟ هذا ما تتبناه - للأسف الشديد - أجهزة الإعلام المصرية والعربية، وتردده ولا تمله، وما يكرره كتاب علمانيون أو ماركسيون يعادون الإخوان، بل يعادون رسالة الإسلام.

وأما جماعتي (الجهاد)، و(الجماعة الإسلامية) في مصر فليست انشقاقاً عن الإخوان، بل هي جماعات نشأت من أول يوم؛ احتجاجاً على الإخوان، وإنكاراً عليهم أنهم خانوا (مبدأ الجهاد) الذي أعلنوه طريقاً لهم، وشعاراً يتعنون به (الجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا). والإخوان لم يخونوا مبدأ الجهاد كما زعم هؤلاء، ولكن (الجهاد) ليس معناه (القتال) بل الجهاد مراتب وأنواع.

الإخوان لا يطلبون الحكم لأنفسهم:

هناك من يتهم الإخوان المسلمين، بالسعي إلى الحكم والجري وراء السلطة، وأن تلك غايتهم الكبرى، التي يبررون من أجلها جميع الوسائل. وهذا الكلام يقوله خصوم الإخوان، الذين يريدون إرهابهم فكرياً، والتشويش على دعوتهم، لينتفض الناس من حولها، فإن فكر الإخوان ومنهجهم في هذا الجانب هو فكر الإسلام الصحيح، فالسلطة لا تُطلب لذاتها، وإنما يطلبها المسلمون ليطبقوا من خلالها شرع الله، وليقيموا المجتمع على ما تقوم عليه المجتمعات الإسلامية الفاضلة، بإقامة العدل ونشر قيم الحق والحرية والفضيلة.

إن منهاج الإخوان المسلمين في التغيير، يقوم على التدرج، ولا يؤمن بالثورة، والتدرج معناه اقتناع الشعب بالإسلام، حكومةً وشرعيةً، فنانةً تامةً، وبعدها سوف يختار الشعب، الحكومة الإسلامية الرشيدة، الصادرة عن المجتمع المسلم الواعي، وفي هذا يقول الإمام البنا:

"وأما الثورة فلا يُفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة في مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر في إصلاح عاجلٍ وعلاج سريعٍ لهذه المشاكل، فسيؤدي ذلك حتماً إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين، ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال".

لكن... هل في منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومةً، وأن يطالبوا بالحكم.. أو ينتزعوهم من غيرهم؟.. هذا ما أجاب عنه مؤسس الجماعة، في رسالة المؤتمر الخامس بقوله:

"ويتساءل فريق آخر من الناس: هل من منهاج الإخوان المسلمين أن يكونوا حكومةً وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟، ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضاً في حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب، فالإخوان المسلمون يسيرون في جميع خطواتهم وآمالهم وأعمالهم على هدي الإسلام الحنيف كما فهموه، وكما أبانوا عن فهمهم هذا في أول هذه الكلمة، وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركناً من أركانه، ويعتمد على التنفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديماً قال الخليفة الثالث رضي الله عنه: "إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن"، وقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم الحكم عروة من عرى الإسلام، والحكم معدود في كتبنا الفقهية من العقائد والأصول، لا من الفقهيات والفروع، فالإسلام حكم وتنفيذ، كما هو تشريع وتعليم، كما هو قانون وقضاء، لا ينفك واحد منها عن الآخر، والمصلح الإسلامي إن رضي لنفسه أن يكون فقيهاً مرشداً يقرر الأحكام ويرتل التعاليم ويسرد الفروع والأصول، وترك أهل التنفيذ يشرعون للأمة ما لم يأذن به الله ويحملونها بقوة التنفيذ على مخالفة أوامره، فإن النتيجة الطبيعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخةً في وادٍ ونفخةً في رماد كما يقولون.

فقد يكون مفهوماً أن يقتنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاءً لأوامر الله وتنفيذاً لأحكامه، وإيضالاً لآياته وأحاديث نبيه صلى الله عليه وسلم: أما والحال كما نرى: التشريع الإسلامي في وادٍ والتشريع الفعلي والتنفيذي في وادٍ آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف، وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء، وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامي قرآني فهم جنوده وأنصاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلائه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله.

وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقدموا بمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فلا بد من فترة تُنشر فيها مبادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وكلمة لا بد أن نقولها في هذا الموقف، هي أن الإخوان المسلمين لم يروا في حكومة من الحكومات التي عاصروها - لا الحكومة القائمة ولا الحكومة السابقة ولا غيرها من الحكومات الحزبية - من ينهض بهذا العبء، أو من يبدي الاستعداد الصحيح لمناصرة الفكرة الإسلامية، فلتعلم الأمة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون.

وكلمة ثانية: إنه ليس أعمق في الخطأ من ظن بعض الناس أن الإخوان المسلمين كانوا في أي عهد من عهود دعوتهم مطيةً لحكومة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان.

لا للقفز على السلطة:

والإخوان على قناعة تامة، أنه لن يكون هناك حكم إسلامي، إلا إذا أرادت الشعوب نفسها ذلك، ولن يتم هذا الأمر إلا إذا قام الإخوان بدورهم في هذا المجال، بتوعية الشعب وقيادته إلى الله وإلى شرعه وشريعته،

يقول المرشد الثالث عمر التلمساني:

"إن من أهم واجبات الشباب ألا يفكر اليوم في الحكم والحكومة، لا لأنها ليست مطلوبة منا كمسلمين أبداً، نحن مطالبون بألا يكون الحكم إلا لله، وعلينا أن نضع ذلك في برنامجنا، ولكننا لن نصل إلى تحقيق ذلك في يسر وسهولة إلا إذا ربطنا الشعوب المسلمة بدينها، توّمن بأن الله ربها القادر على كل شيء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم زعيمها الذي هداها إلى كل خير، وأن القرآن دستورها الذي حوى كل شيء، وأن الجهاد سبيلها الموصل إلى كل شيء، وأن الموت في سبيل الله أعز عليها من كل شيء، فأعدوا لذلك ما يجب أن يُعد له من علم وقوة وتضحية وفداء؛ بعد أن تربطوا شعوبكم بحبل الله المتين وحينذاك سترون كيف يتحقق للمسلمين ما تشتهون من أمن وهدوء وسلام، أما التحركات السرية الطائشة دون أن يكون الشعب كله مؤمناً بما تفعلون؛ فليس من ورائه إلا إنهاك القوى وإضاعة الجهود وتأخير النجاح."

أما القفز على السلطة، والسيطرة على مقاليد البلاد بالانقلابات والفتن، فهذا ليس منهاج الإخوان، بأي حال..

يقول عمر التلمساني:

إن الإخوان المسلمين لن يفكروا يوماً من الأيام في استبدال حاكم بحاكم، فالكل في الهوى سواء، ولكنهم يعملون ويصرحون وينادون بإحلال حكم الله محل حكم البشر؛ لأن فيه الخير والصلاح (وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) (المائدة: من الآية 50).

ولو أراد الإخوان المسلمون الحكم، لنالته أيديهم ولتسمنوا غاربه منذ أمد بعيد، ولكنهم عن زهو الدنيا في شغل، وما أرادوا إلا حكم الله وتطبيق شريعته، أيًا كانت تلك اليد التي تطبق الشريعة السمحاء، وما من شك في أن كل حاكم لبلد إسلامي يعلم عن طريق جواسيسه ومخابراته أن الإخوان المسلمين لا يتآمرون ولا يخربون؛ لأن أساس دعوتهم الحكمة والصراحة والوضوح.

إن الإخوان لا يسعون لحكم، ولكنهم يعملون لتسود العقيدة، إنهم يمدون أيديهم طاهرة عزيزة، في كرامة المسلم وعزة المؤمن، لكل من يعمل لتحقيق هذا الغرض النبيل؛ لا يألونه نصحاء ولا يمنعونه تأييداً، ولا يضمنون عليه بكلمة تناء، فالفضل لا يعرفه من الناس إلا ذووه.

إن السبب الرئيس في اصطدام الإخوان بأهل الحكم والسلطة، أنهم لم يكونوا أبداً مطيعةً لحكومة من الحكومات، أو رئيس من الرؤساء، وهم ممن لا يبيعون مبادئهم بأي مقابل، ولا يمدون أيديهم لأحد، ولا يتلونون، ولا يتغيرون بتغير الظروف والأحوال..

وبالتالي ففي ظل الحكومات العلمانية التابعة ليس للإخوان مكان في السلطة، بل قل ليس لهم من مكان سوى المعتقلات والسجون..

ورغم ذلك فإنهم ما فتئوا يشاركون في العمل السياسي، باعتبارهم فصيلاً مؤثراً وعريضاً على الساحة، ملتزمين بالقانون وبالأساليب التي ارتضاها النظام الحاكم للأحزاب والقوى السياسية.

وكان من نتاج ذلك، حصدهم لأغلبية الأصوات، في أية انتخابات تجريها السلطة..

فلم يرض هذا النظام الحاكم بذلك، فصار يتقنن في إلحاق الأذى بهم، محاولاً - حسب وهمه - استئصالهم، فاعتقل الآلاف، وشردهم، وأقام المحاكمات العسكرية للبراءة الشرفاء.. وما زال يخترع الوسائل لإيذائهم، وما زال الشعب يعطيهم صوته، ويقف خلفهم كلما تطلب الأمر ذلك.

ويسعى قادة الإخوان، رغم إيذاء الحكام والحكومات لهم، إلى التقرب منهم، وإظهار النيات الحسنة من جانبهم، ومد الأيدي بالمصافحة والمسامحة.. ولا مجيب!!.

الإخوان والسياسة:

من التهم القديمة الجديدة التي توجهت إلى الإخوان أنهم سبوا الدين، أي خلطوا الدين بالسياسة، وقد حذرهم أحد الحكام يوماً فقال: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين.

والمؤكد أن الذي سبب الدين هو الله، شارع الدين، ومصدر الأحكام، فالإسلام منهاج شامل للدين والدنيا، للعقيدة والشريعة، والحضارة والأخلاق.

يقول الشيخ جاد الحق علي جاد الحق شيخ الأزهر الأسبق:

"والدعوة إلى إبعاد الإسلام بالعلمانية عن سياسة الدولة وشئون العمران هو قطع لإحدى ساقيه، وتعطيل لإحدى رثتيه، وكفران ببعض آيات كتابه، ينتقص من كمال واكتمال الإيمان بهذا الإسلام،

وإذا كانت العلمانية في نشأتها الغربية قد جاءت كرد فعل للتجاوز الكنسي، وتحكم الكهانة، وتحكم طبقة الكهان.. فإنها بذلك تكون حلاً غريباً لمشكلة عربية، وهذه المشكلة - الكهانة والكنهوت ووجود طبقة لرجال الدين واحتكار هذه الطبقة لشئون الحكم - هي مشكلة لم تعرفها الحضارة الإسلامية، ولا تاريخ المسلمين؛ لأن الإسلام يرفض ذلك كله من الأساس.

لقد أقام المسلمون دولة الإسلام إنجازاً بشرياً مدنياً، مرجعته الشريعة الإلهية، فأقاموا بذلك الدين، وساسوا به الدولة بل وكل مناحي العمران، فعرفت الإنسانية حضارة أبدعها البشر لكنها مصطبغة بصيغة الإسلام، فكل عمرانها المدني من علوم وآداب وفنون وكل تطبيقات لها إنما تنبعثاً تحقيق السعادة الأخروية بواسطة هذا الإبداع في هذه الحياة الدنيا.

وعلى نفس الدرب وبذات المنهاج استمرت دولة الخلافة الراشدة بعد انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى، يسوسها أولو الأمر بالاجتهاد البشري المحكوم بمرجعية الدين.. طاعتهم مشروعة بطاعة الله ورسوله، فإن تخلفت طاعتهم الله ورسوله وخرقوا إطار حاكمية الشريعة سقطت تلقائياً وفوراً فريضة طاعتهم عن المحكومين، يقررون هم ذلك في إعلان ولايتهم قبل أن تعلنه الرعية، فيخطب الصديق أبو بكر رضي الله عنه عقب بيعته فيقول: "وُلِيتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني ... أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم".

إذا طبيعة الدين الإسلامي نفسه لم تفرق بين الدين والسياسة، وتعرض الإخوان للسياسة سواء كانت من حيث المطالبة بحرية البلاد وحقوقها أم وجوب الأخذ بنظم الإسلام الحنيف في أوضاعها الاجتماعية على اختلافها تعرض مستمداً من الإسلام نفسه، ومعتمد عليه وهو جزء من أجزاء هذا الدين لا انحراف عنه.

يقول الدكتور يوسف القرضاوي: إن شمولية الإسلام ليست ابتداء الإخوان، بل هي ما قرره القرآن والسنة، وأجمعت عليه الأمة، وتأسست عليها ثقافة وحضارة، وامتد به تاريخ وتراث.

وكل المصلحين الكبار الذين سطعت نجومهم في آفاق الأمة وحاولوا النهوض بها في العصر الحديث كلهم أدخلوا السياسة في الدين والدين في السياسة، محمد عبد الوهاب، والسنوسي، والمهدي، والأمير عبد القادر، والأفغاني، والكواكبي، ومحمد عبده، ورشيد رضا، وابن باديس وغيرهم، كلهم نظروا إلى الإسلام تلك النظرة الشاملة التي لا تفرق بين دين وسياسة، فهم جميعاً مشتركون في تسييس الدين.

فليس حسن البناء بدعاً في المصلحين، ولا دعوته بدعاً في دعوات الإصلاح والتجديد. والملتزمون بالإسلام شأنهم شأن سائر المواطنين من حقهم أن يمارسوا السياسة وفق معتقداتهم ومفاهيمهم، ولا يجوز أن يجرموا منها لمجرد أنهم متدينون.

والإخوان لم يعلموا يوماً من الأيام على أساس المناورات الحزبية أو المغانم السياسية، ولكنهم عملوا بروح الوطنيين المجريين الذين ينظرون إلى المسائل من حيث نفعها للوطن أو مساسها بمصلحته، وإن كانت طبيعة الحزبية السياسية لم تفهم من مظاهر الخلاف والخصام، ولكنهم مع ذلك لم يخرجوا عن حدود الدفاع المهدب، وتمنّى الخير للجميع، والترحيب بالوحدة والجماعة والدعوة إليها في كل حدث من الأحداث. أما السياسة التي يدعو إليها الإخوان فهي سياسة القوة والصرافة والطهر والشرف والكرامة، سياسة لا تجامل في الحق ولا تتهاون في العدل ولا تخشى في الله لومة لائم، سياسة يحكمها دستور مُنَزَّل من عند الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، دستور يكون فيه المسلمون وغير المسلمين متساوين في الحقوق لا على أساس من النفاق السياسي والأهواء والمداهنة.

أما ما يدعيه العلمانيون من أنهم لا يخشون الإسلام، وإنما يخشون التطبيق البشري له مدعين أنهم يريدون تنزيه الإسلام عن أخطاء التطبيق البشري، فتلك شبهة فاضحة مردودة عليهم، فإن كل التطبيقات لجميع النظريات هي تطبيقات بشرية، فالجاهلية يطبقها البشر الجاهليون، والماركسية يطبقها البشر الماركسيون، والليبرالية يطبقها البشر الليبراليون.

إن الإسلام كدين إلهي ووضع إلهي هو "مثال"، وإنَّ (إقامة البشر) وتطبيقاتهم للدين هي واقع وستظل مسافة ما دائماً وأبداً بين الواقع وبين المثال، في وجود هذه المسافة يكمن ويتجسد الحافز الذي يستحث الإنسان دائماً وأبداً على محاولة تجاوز الواقع؛ ليقترّب أكثر فأكثر من المثال، ولولا هذا لفرغ جدول أعمال الحياة، وأصيب الأحياء بالقنوط والإحباط، فوجود المسافة بين "التطبيق البشري" للدين وبين "المثال" الديني ضرورة حياتية طبيعية اقتضتها وتقتضيها الفوارق بين "الإلهي" و"البشري"، واقتضتها وتقتضيها حكمة الله في استمرار وتجدد الآمال في التقدم دائماً وأبداً.

يقول الإمام الشهيد: يا قومنا إننا نناديكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسياً فنحن أعرق الناس - والحمد لله - في السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة، فقولوا ما شئتم، فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات.

يا قومنا: لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق ولا الأسماء عن الغايات ولا الأعراض عن الجواهر، وإن للإسلام لسياسة في طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة، وتلك هي سياستنا لا نبغي لها بديلاً، فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تطفروا بالعزة الأخروية ولتعلمن نبأه بعد حين.

موقف الإخوان من التطرف والعنف:

لقد أعلن الإخوان المسلمون عشرات المرات خلال السنوات الماضية أنهم يخوضون الحياة السياسية ملتزمين بالوسائل الشرعية والأساليب السلمية وحدها، مسلحين بالكلمة الحرة الصادقة والبذل السخي في جميع ميادين العمل الاجتماعي.. مؤمنين بأن ضمير الأمة ووعي أبنائها هما في نهاية الأمر الحكم العادل بين التيارات الفكرية والسياسية التي تتنافس تنافساً شريفاً في ظل الدستور والقانون، وهم لذلك يجددون الإعلان عن رفضهم لأساليب العنف والقسر لجميع صور العمل الانقلابي الذي يمزق وحدة الأمة، والذي قد يتيح لأصحابه فرصة القفز على الحقائق السياسية والاجتماعية، ولكنه لا يتيح لهم أبداً فرصة التوافق مع الإرادة الحرة لجماهير الأمة... كما أنه يمثل شراً هائلاً في جدار الاستقرار السياسي، وانقضاضاً غير مقبول على الشرعية الحقيقية في المجتمع.

وإذا كان جو الكبت والقلق والاضطراب الذي يسيطر على الأمة قد ورط فريقاً من أبنائها في ممارسة إرهابية روّعت الأبرياء وهزّت أمن البلاد، وهذّدت مسيرتها الاقتصادية والسلمية، فإن الإخوان المسلمين يُعلنون - في غير تردد ولا مداراة - أنهم براء من شتى أشكال ومصادر العنف،

مستكروا لشتى أشكال ومصادر الإرهاب، وأن الذين يسفكون الدم الحرام أو يعينون على سفكه شركاء في الإثم، واقعون في المعصية، وأنهم مطالبون في غير حزم وبغير إبطاء أن يفيئوا إلى الحق، فإن المسلم من سلم الناس من لسانه ويده، وليذكروا- وهم في غمرة ما هم فيه- وصية الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة وداعه: "أيها الناس إن دماكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم إلى يوم القيامة، كحرمة يومكم هذا، في عامكم هذا، في بلدكم هذا".

أما الذين يخلطون الأوراق عامدين، ويتهمون الإخوان ظالمين، بالمشاركة في هذا العنف والتورط في ذلك الإرهاب، متعللين في ذلك، بإصرار الإخوان على مطالبة الحكومة بالألّا تقابل العنف بالعنف، وأن تلتزم بأحكام القانون والقضاء، وأن تستوعب في دراستها ومعالجتها لظاهرة العنف جميع الأسباب والملابسات، ولا تكتفي بالمواجهة الأمنية، فإن ادعاءاتهم مردودة عليهم بسجل الإخوان الناصع كرابعة النهار على امتداد سنين طويلة شارك الإخوان خلال بعضها في المجالس النيابية والانتخابات التشريعية، واستبْعِدُوا خلال بعضها الآخر عن تلك المشاركة، ولكنهم ظلُّوا على الدوام ملتزمين بأحكام الدستور والقانون، حريصين على أن تظلّ الكلمة الحرة الصادقة سلاحهم الذي لا سلاح غيره، يجاهدون به في سبيل الله لا يخافون لومة لائم، والأمر في ذلك كله ليس أمر سياسة أو مناورة، ولكنه أمر دين وعقيدة، يلقي الإخوان المسلمون عليهما ربهم ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ (88) إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿89﴾ (الشعراء).

حقيقة النظام الخاص:

في سنة 1940م انشأ الإمام البنا جهازًا خاصًا داخل الجماعة سمّاه (النظام الخاص) يضم إليه من أفراد الجماعة من عرفوا بإخلاصهم للدعوة وثباتهم عليها، كما يتميزون باللباقة البدنية، والقدرة على الاحتمال، والصبر على المكاره، وكتمان الأسرار، والسمع والطاعة في المنشط والمكره، والاستعداد للتضحية والبذل.

كان الإمام البنا قد أدرك أن الأعداء الحقيقيين للدعوة هم المستعمر وأذنبه، وأن هذا المستعمر لا بد من الوقوف له بالمرصاد، كما أدرك رحمه الله أن قضية فلسطين مؤامرة عالمية اشترك فيها العديد من الأطراف، وهؤلاء بحاجة إلى قوة تقف جمعهم وتردعهم عما يرتكبونه من جرائم على أرض فلسطين، كان البنا يأنسًا من قيام الأنظمة العربية والإسلامية بنصرة القضية الفلسطينية، وكان واثقًا أن عصابات الصهاينة في فلسطين وجنود الإنجليز في مدن القناة لن يستطيع التصدي لهم إلا عصابات الإخوان، أما الانتظار لحين حدوث بقطة عند الأنظمة أو الجيوش العربية فهذا حلم الغائبين عن الوعي.

وبدأ النظام الخاص في تنفيذ عملياته ضد الإنجليز التي زادت على عشرين عملية نوعية، إضافة إلى عمليات أخرى محدودة، فكان أول عمل له هو مهاجمة النادي البريطاني ليلة عيد الميلاد؛ حيث ألقى إخوان النظام قبلة على النادي لم تقتل أحدًا لكنها بثت الرعب في قلوب الجنود الإنجليز الذين جأر سكان القاهرة بالشكوى من أفعالهم من قتل المواطنين وهتك أعراضهم وتحطيم محلاتهم.

هل هناك الآن تنظيم خاص للإخوان:

من المؤكد أنه ليس هناك تنظيم خاص للإخوان الآن، لقد أسس الإمام البنا التنظيم وفي ذهنه قيام أفراد بالجهاد ضد الإنجليز والصهاينة، فلما انصرف قائده بدأ رحمه الله في تفكيكه حتى جاء المرشد الثاني المستشار حسن الهضيبي فاستكمل ما بدأه البنا، وقد نجح في ذلك. ومن وقتها لم يعد للإخوان جهاز سري مسلح، ولو كان لهم مثل هذا الجهاز لكنا قد سمعنا عن أعماله، فمن غير المنطقي أن يبقى الجهاز كامنًا وفي حالة بيات دائم لمدة تصل إلى سبعين عامًا.

كما أن الواقع يتعارض مع من يفترض وجود هذا الجهاز، فقد صار الإخوان يمارسون كافة أنشطتهم بشكل علني، وما من قرية أو مدينة إلا وبها أعداد كبيرة من الإخوان، يعرفهم الناس ويحبونهم ويتعاطفون معهم، وتعرفهم كذلك الحكومات وأجهزة الأمن، بل لقد صارت كلمة "المحظورة" مثار سخرية الجميع؛ حيث ترد أخبار تلك الجماعة المحظورة في وسائل الإعلام أكثر من ورود أخبار الحزب الحاكم.

ولقد أصدر الإخوان المسلمون بيانًا جامعًا أوضحوا فيه موقفهم من العمل السري جاء فيه:

ليس لدى الإخوان المسلمين أية تنظيمات سرية أو النية لعمل تنظيمات تعمل تحت الأرض بعيدًا عن الأعين، فليس هذا من مناهجهم أو توجههم، فضلًا عن أن العمل السري يضر بالعمل الدعوي.

فأما أن التنظيمات السرية لا تتفق ومنهج الإخوان فذلك واضح من خلال حركتهم ونشاطاتهم في مجالات كثيرة ومتعددة عبر العقود الأخيرة، كما أن لافقاتهم وملصقاتهم موضوعة في كل مكان شاهدة على أنهم يعملون في وضوح النهار، وأنهم موجودون وسط الميدان يعيشون مع الناس ويمتزجون بهم ويشاركونهم أفرانهم وأترانهم.

ولم يتخلف الإخوان المسلمون يوماً عن الإدلاء بدلوهم، وتبيان آرائهم ومواقفهم في أية قضية محلية أو إقليمية أو دولية. فلماذا بعد كل هذا يلجأ الإخوان لعمل تنظيماً سرية؟

وأما أن التنظيمات السرية تضر بالعمل الدعوي، فهذا يرجع إلى أن التنظيمات السرية تعمل في الظلام، والظلام بطبيعته يستحيل معه - مهما كانت القيادة نشطة وواعية ومتحركة وجادة - متابعة كل الأفراد (خاصة إذا كان عددهم عظيمًا) من حيث العقيدة والأفكار والسلوكيات والأخلاق، ومدى مطابقة هذا من عدمه مع العقيدة الصحيحة، والأفكار الأصيلة للدعوة، والسلوكيات والأخلاق الأساسية للإسلام.

الإخوان أحيوا فريضة الجهاد:

شرح الإسلام الجهاد أو القتال لسببين الأول: منع الاعتداء على الأوطان لقول الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 190) والسبب الثاني: لمنع إكراه المسلمين على الخروج من دينهم لقوله تعالى ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ (البقرة: من الآية 193)، ومع ذلك فإن الإسلام حريص على العودة إلى أجواء السلام فور زوال أسباب الحرب: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَنِحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (الأنفال: من الآية 61) ﴿فَإِنْ اعْتَرَفْتُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَالْقَوْلَ إِلَيْكُمْ السَّلَامُ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ (النساء: من الآية 90).

ولقد أجمع فقهاء المسلمين على امتداد عصور الإسلام على وجوب القتال؛ دفاعاً عن أوطان المسلمين، بل إن جميع الشرائع السماوية والمواثيق الدولية وهيئات حقوق الإنسان تحفظ لجميع الشعوب حقها في السيادة على أرضها ورد العدوان عنها.

ولهذا وقف الإخوان وراء كل القضايا الإسلامية وأنشئوا لذلك قسم الاتصال بالعالم الخارجي الذي قام بدور كبير في مناصرة قضايا الدول الإسلامية كفلسطين ولبنان وسوريا ودول المغرب، كما قام بالدور نفسه مع الأقليات المسلمة المضطهدة في أماكن كثيرة في العالم.

ولقد جعلت الحركة شعارها وعملها مصحفاً يحوطه سيفان كتبت تحته عبارة "وأعدوا" إشارة إلى الآية الكريمة ﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأنفال: من الآية 60)، كما جعلت أحد هتافاتنا الرئيسية "الجهاد سبيلنا، والموت في سبيل الله أسمى أمانينا".

لقد قام الإخوان بأعمال جهادية عظيمة ضد المحتل الإنجليزي في مصر، وضد الصهاينة في فلسطين، ولقد سجل أعضاء الجماعة بطولات لفتت الأنظار، واعترف بها العدو والصدوق، ولقد ذُف من شهدائهم عدد لا يحصى على أرض فلسطين المباركة.

وما زلنا نسمع عن بطولات الإخوان في فلسطين ضد العدو الصهيوني وانتفاضاتهم المتتالية التي بفضلها وبفضل تضحياتهم الجليلة سادت ثقافة الجهاد، حتى صار الشعب الفلسطيني كله متحفزاً للانتفاض على دولة الكيان الغاصب وتفكيكها.

وما زلنا نسمع عن دور الإخوان الجهادي في دول أخرى كالعراق وأفغانستان ضد من لا يرقبون في المؤمنين إلا ولا ذمة.

الإخوان أولى بالأقباط من أنفسهم:

يؤمن الإخوان المسلمون كأصحاب عقيدة إسلامية صحيحة بالمساواة بين البشر واحترام عقائدهم وحررياتهم وخصوصياتهم وهم يحاربون العنصرية بجميع أشكالها ويعترفون بحقوق الإنسان كاملة غير منقوصة، ويضعون أيديهم في أيدي من ينادي بتحرير البشر من الظلم والاضطهاد.

وموقف الإسلام من الآخر وهو الموقف القائم على احترامه وإنصافه والتعاون معه لخدمة الإنسانية هو موقف الإخوان نفسه، وهو ليس موقفاً انتقاليًا أو اختياريًا مستحسنًا، وإنما هو موقف في أصل الدين صادر عن الكتاب والسنة.

والإخوان المسلمون يؤكدون في كل مناسبة التزامهم بالنظر الإسلامي الرشيد ويذكرون أتباعهم والآخرين عنهم بأن يكونوا عناوين صدق لهذا المنهج، فلا يستكبرون على أحد ولا يمتنون على أحد ولا يضيّقون على أحد، بل أيديهم مبسطة إلى الجميع بالخير والحب والصفاء، وأن يبدعوا الدنيا كلها بالسلام.

وفي هذا المعنى يقول مؤسس الجماعة: "نحن نعلم أن الإسلام عني أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بني الإنسان في مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: من الآية 13) كما أنه جاء لخير الناس جميعاً ورحمة من الله للعالمين، ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور، وبهذا جاء القرآن مثبته لهذه الوحدة مشيداً بها في مثل قوله تعالى:

﴿لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ (البقرة: من الآية 285)، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَخْلُوا بِهِنَّ قُلُوبًا وَأَلَّا يُغَارَ عَلَيْكُمْ﴾ (المائدة: من الآية 8).

وموقف الإخوان المسلمين من أهل الكتاب عامة هو موقف الإسلام منهم، فلا يكره أحد على ترك دينه وأحقيتهم في المساواة مع المسلمين في الواجبات والحقوق وأمور المواطنة، لهم ما لنا وعليهم ما علينا، واحترام خصوصياتهم الدينية من زواج وطلاق وغيرها.

ويرى الإخوان أن حماية غير المسلمين في عقائدهم وعباداتهم جزء من وظائف الدولة، فللدولة وظائف دينية أساسية، فهي مسئولة عن حماية وحراسة الدين والدولة الإسلامية يكون عليها حماية غير المسلم في عقيدته وعبادته ودور عبادته وغيرها.

وموقف الإخوان من الأقباط يتلخص في:

- 1- أنهم جزء من نسيج المجتمع المصري
- 2- أنهم شركاء الوطن والمصير
- 3- لهم مثل ما لنا وعليهم مثل ما علينا
- 4- حرية الاعتقاد والعبادة محترمة للجميع والتعاون في كل ما يخدم الوطن ويحقق الخير لكل المواطنين أمر لازم.
- 5- تأكيد الوحدة الوطنية، وعدم السماح لأي نشاط يؤدي إلى إثارة مشاعر التفرقة الدينية أو التعصب الطائفي.
- 6- الحرص على روح الأخوة المصرية التي أظلت أبناء مصر على مر القرون مسلمين وأقباطاً وإشاعة الأصول الداعية إلى المحبة والمودة بينهم؛ لتمكين الأمة من العمل المتكامل لبناء مستقبلها، وحماية لها من ويلات التعصب الطائفي المقيت وعدم السماح لأية محاولات تؤدي لإثارة مشاعر التفرقة أو التعصب الطائفي بين المصريين.

المواطنة.. أصل إسلامي:

ويؤمن الإخوان بمبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بين جميع المواطنين ويعتبرونه ضرورياً لتحقيق العدالة وتعميق الانتماء، وذلك عن طريق عدم التمييز بين المواطنين في الحقوق والواجبات على أساس الدين أو الجنس أو اللون كحق التملك والتنقل والتعلم والعمل وممارسة العمل السياسي والتعبير عن الرأي في ظل الحفاظ على القيم الأساسية للمجتمع والترشح للمجالس المحلية والنيابية وتولي جميع الوظائف القضائية والتنفيذية في كل المجالات وعلى جميع المستويات.

ويؤمنون بمبدأ المواطنة ويعتبرونه ضمن المنهج الإسلامي لإصلاح الدولة، فمصر دولة لكل المواطنين الذين يتمتعون بجنسيتها، وجميع المواطنين يتمتعون بحقوق وواجبات متساوية يكفلها القانون وفق مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص، وتعتبر المواطنة هي القاعدة التي تنطلق عنها المطالبة بالديمقراطية ليس بغرض تداول السلطة فحسب، بل بغرض ممارسة الديمقراطية المتجاهل لمبدأ الأغلبية ويجب أن تعزز النصوص القانونية معاملة كل المواطنين على قدم المساواة دون تمييز وعلى الدولة والمجتمع العمل على ضمان قيام الأوضاع الاجتماعية اللازمة لتحقيق الإنصاف وأن يمكن الأفراد من المشاركة بفاعلية في اتخاذ القرارات التي تؤثر في حياتهم وخاصة في القرارات السياسية.

حماة الوحدة الوطنية:

اتسم موقف جماعة الإخوان منذ نشأتها وحتى اليوم تجاه الأقباط بالتسامح والاعتدال وهم يدركون أن الاستفادة من الفتنة الطائفية هم أعداء الأمة الذين يسعون إلى إفساد الوحدة الوطنية والتفريق بين أبناء الوطن الواحد.

كما يدرك الإخوان أن هناك نقاط تلاقح مع الأقباط على رأسها: الوقوف في وجه التيارات الإلحادية المعادية للأديان وكذلك تيارات الإباحية والانحلال الخلقي والوقوف في وجه الصهيونية البغيضة والانطلاق لصالح الإنسانية والوطن.

ويعتقد الإخوان أن انتشار الفتنة الطائفية ليس أثراً من آثار التدين وإنما هو على الحقيقة أثر من آثار غياب الفهم الصحيح لروح الأديان وأهدافها الكبرى ومظهر من المظاهر العامة للتخلف الفكري والسلوكي كما أنها ورقة يلعب بها الصهاينة على المستوى الدولي والعلمانيون والملحدون على المستوى المحلي.

والأقباط في نظر الإخوان:

إخواننا في الوطن كما أن المسلمين حيثما كانوا هو إخواننا في الدين فالأخرة ليست دينية فقط كالتالي بين أهل الإيمان بعضهم وبعض وهي التي جاء فيها قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات: من الآية10)، بل هناك أخوة قومية وأخوة وطنية وأخوة بشرية، وإذا أثبت القرآن هذه الأخوة القومية بين الرسل وأقوامهم فلا حرج أن نثبت أخوة وطنية بين المسلمين ومواطنيهم من الأقباط في مصر أو أمثالهم في البلاد الإسلامية ولا يكون ذلك سبباً للطعن في عقيدة الإخوان وأنهم لا يعرفون الولاء والبراء في عقيدتهم، بل يكون هذا من حسن فقه الإخوان وفهمهم عن الله ورسوله ما لا يفهم الآخرون.

ولقد تُرجمت أفكار الإخوان ومبادئهم إلى واقع عملي منذ خروج الجماعة إلى الوجود، فهم أحرص الناس على دماء الأقباط وأموالهم وأعراضهم ودور عبادتهم، متعبدين بذلك إلى الله.

وهم بذلك لا ينجرون إلى فتنة ولا يقعون فيما يقع فيه عوام الناس من تعصب وطائفية، بل يعون أن إنصاف الأقباط والإحسان إليهم من الدين، وأن الإساءة إليهم وظلمهم مجافاة للسنة واستدعاء غضب الله ورسوله على من يفعل ذلك.

وما من ظلم وقع على الأقباط إلا استكره الإخوان وطالبوا بعقاب من قام به، حتى قال البعض إن الإخوان أولى بالأقباط من أنفسهم؛ لدفاعهم عن حقوقهم ورحمتهم بهم وشفقتهم عليهم.

لقد أصدر الإخوان العديد من البيانات التي تدين الاعتداء على ممتلكات الأقباط وعلى أفرادهم، ويصرح العديد من قادة الجماعة بأقوال تصب في صالح الأقباط وتدعو إلى حل مشكلاتهم المختلفة وتلبية مطالبهم.

نظرة الإخوان المسلمين للمرأة:

تتعلق رؤية الإخوان المسلمين للمرأة من رؤية الإسلام لها، فهي الأم التي ورد في شأنها الأثر الكريم أن الجنة تحت أقدامها، والتي قدمها الله تعالى على كل من عداها في حق صحبة الأبناء لها، وهي الابنة التي تولد كما يولد أخوها الذكر من الصلب ذاته ومن الرحم نفسها، وهي الزوجة التي هي سكن للرجل والرجل سكن لها.

وتقوم تلك الرؤية على المساواة الكاملة في الكرامة الإنسانية بين الرجل والمرأة، وأهمية العمل على الحفاظ على التمايز بينهما في الأدوار الاجتماعية والإنسانية دون أن يؤثر ذلك على مكانة كل منهما، ودور المرأة في الأسرة قائم على أساس أنها المسئول الأول عن تربية الجيل الجديد، والأسرة في حضارتنا المصرية والعربية والإسلامية هي الوحدة الأساسية للمجتمع.

ويرى الإخوان أن العبرة بالإيمان وتقوى الله وحسن الخلق فيما يخص الفرق بين المرأة والرجل أما الفوارق الطبيعية فهي التي تنتج عن المهمة التي يقوم بها كل منهما في الأسرة والمجتمع، ويردون على مزاعم بعض الأديان والمذاهب الفاسدة التي افترت على الله الكذب وادعت أن حواء- عليها السلام- هي التي أغوت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة التي حرمها الله عليهما في الجنة، بأن نصوص القرآن والثابت من صحيح السنة المطهرة تسد كل منابع هذا الادعاء الزائف، وتلك الخرافات الباطلة.

ويهتم الإخوان المسلمون بالمرأة عموماً لإدراكهم خطورة مهمتها في إعداد النشء وإقامة البيت المسلم، وكذلك لأهمية دورها الإصلاحية في المجتمع وفي التواصل مع الأمة الإسلامية، وهم لذلك يرفضون تعرضها لأي عنف أو اضطهاد، ويساعدونها على تحقيق دورها المهم المنوط بها، ويعدون لها المهام المستقبل ولأداء دورها على أكمل وجه.

ويرى الإخوان أن المرأة متساوية مع الرجل تماماً في مجال الدعوة والإرشاد إن لم تفقه أحياناً ويقولون في ذلك: "إن الدين لم ينزل للرجال فقط، وإنما للرجال والنساء، وأن التكليف للرجال والنساء على السواء ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)﴾ (التوبة)، ودعوة النبي صلى الله عليه وسلم كانت موجّهة للنوعين، ولذا لم تغفل الجماعة هذا الأمر وانطلقت في إعداد المرأة؛ لتحمل تكاليف الدعوة ومسئولياتها، بإعداد البيت المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه.

المرأة إذاً في الإخوان، هي شريكة الرجل، لها رسالتها التي ربما فاقت رسالته، فهي التي ترضع أبناءها لبان الدعوة، وهي التي تحمل البيت عندما يغيب الرجل.. ولها دورها التربوي في إعفاف زوجها، كما لها دورها الدعوي الفاعل في محيط المجتمع.. هي إذا ليست جارية في البيت، وليست كمأ مهملاً وطاقه معطلة، كما يحاول أعداء الإسلام أن يصورها، إنها إنسان سوي له رسالة، وقد شرفت بحمل عقيدة يوم أن حملتها مع الرجل.

الإخوان والحقوق السياسية للمرأة:

يرى الإخوان أن المرأة مكلفة كالرجل تماماً بالمشاركة في اختيار أولى الحل والعقد، مستدلين بقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (71)﴾ (التوبة)، ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (104)﴾ (آل عمران)، بل يعتبرون هذه المشاركة واجبة وضرورية الآن أكثر مما مضى؛ لأن إجحام المرأة المسلمة عن المشاركة في الانتخابات يُضعف من فرصة فوز المرشحين الإسلاميين.

ولا يرون ما يمنع من توليها مهام عضوية المجالس النيابية وما يماثلها، إذ ليس في نصوص الشريعة حسب قولهم ما يمنع ذلك، وقد ردوا في الوثيقة التي أصدروها حول حقوق المرأة المسلمة عام 1994م على الآراء التي تعارض ترشيح المرأة للمجالس النيابية والوظائف العامة، وأكدوا فيها تولي المرأة جميع الوظائف العامة بما فيها القضاء، باستثناء الإمامة الكبرى، وهي من الولاية العامة المتفق على عدم جواز أن تليها المرأة، والتي يقاس عليها رئاسة الدولة.

ويستند خيار الإخوان المسلمين الراض لتولي المرأة رئاسة الدولة، إلى الواقع الاجتماعي الذي يمنع أن تكون المرأة رئيسة دولة.. لكن أمامها الوزارات والمؤسسات، فهناك واقع اجتماعي موجود في مصر يرفض ذلك، ونحن نتحدث عن مصر ولا نتحدث عن بريطانيا أو الولايات المتحدة، بل إن ما يحدث في الإسكندرية قد يكون غير مقبول في الصعيد.

إضافة إلى أن طاقة المرأة- غالباً- لا تحتمل الصراع الذي تقتضيه تلك المسؤولية الجسيمة، وإنما قلنا: "غالباً"؛ لأنه قد يوجد من النساء من يكن أقدر من بعض الرجال، مثل ملكة سبأ، التي قصَّ الله علينا قصتها في القرآن، ولكن الأحكام لا تُبنى على النادر، بل على الأعم الأغلب، ولهذا قال علماؤنا: النادر لا حكم له.

أخوات على أعتاب البرلمان:

رشح الإخوان أول سيدة منهم للانتخابات التشريعية عام 2000م الأخت جيهان الحلفاوي، وقد شهدت دائرتها بالإسكندرية استعدادات أمنية غير عادية، وتم قبيل إجراء الانتخابات القبض على زوجها د. إبراهيم الزعفراني، وعلى العشرات من إخوان الدائرة، وتم اعتقال مندوبيها في اللجان، ثم تم تزوير الانتخابات بشكل فجّ، ورغم ذلك ترجح فوزها، فأسرعوا بوقف الانتخابات، التي أجريت بعد عامين 2002م بعد تحويل الدائرة إلى ثكنة عسكرية، مُنح فيها الناخبون من الوصول إلى صناديق الاقتراع، بل مُنح التجول في هذا اليوم داخل أحياء الدائرة، وتم تزوير الانتخابات وإعلان فوز مرشح الحزب الحاكم.

وفي عام 2005م رشح الإخوان سيدة أخرى (الأخت الدكتورة مكارم الديري)، وقد وقع في دائرتها مدينة نصر ما وقع في دائرة الأخت جيهان، من تزوير فاضح وبلطجة وإرهاب، حتى أعلن الحزب الحاكم فوز نائبه بالدائرة على غير الواقع والحقيقة.

وقد كان للأخوات دور مهم في إيصال 88 من مرشحي الجماعة إلى قبة البرلمان في هذا العام 2005م؛ حيث اعتمد الإخوان في تلك الانتخابات على أصوات النساء التي تمثل حوالي 40% من إجمالي القيمة التصويتية للناخبين، وقد حشد الإخوان في هذه الانتخابات أخوات على درجة كبيرة من التدريب والمهارة، جعلتهن يسحنن البساط من تحت أرجل الحزب الوطني الذي اعتمدت نسأوه على البلطجة والرشوة، قبل وأثناء العملية الانتخابية.

الإخوان والقضية الفلسطينية:

لفلسطين في نفوس المسلمين عامة، وفي نفوس الإخوان بصفة خاصة منزلة كبيرة، لما حباها الله من كونها مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها بيت المقدس أولى القبليتين وثالث الحرمين.. وفلسطين تحتل من نفوس الإخوان موضعاً روحياً قديماً فوق المعنى الوطني المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصدّيقين، ومهد السيد المسيح عليه السلام، وفي كل ذلك ما ينعش النفوس ويغذي الأرواح.

ولقد وعت الجماعة منذ نشأتها ما يحاك فلسطين من مؤامرات لسلخها عن طابعها الإسلامي، وتقديمها وطناً قومياً للصهيونية العالمية يكون سرطانياً دائماً في جسد الأمة، يعمل على تفنيته وإذلاله، وليحقق حلم اليهودية لدولتهم.. من النيل إلى الفرات.

فها هو حسن البنا يبعث برسائل إلى السفير البريطاني في القاهرة يحذره من المساس بأرض الإسرائ، مؤكداً أن "الإخوان المسلمون سيبدلون أرواحهم وأموالهم في سبيل بقاء كل شبر من فلسطين إسلامياً عربياً حتى يرث الأرض ومن عليها"، ويبعث برسالة إلى الحكومة المصرية بعد أن أفرجت عنه السلطات بسبب نشره وتوزيعه كتاب "النار والدمار في فلسطين" يعيب عليهم قعودهم وتخاذلهم عن نصرته إخوانهم في فلسطين فيقول: (يا أيها الجالسون على كراسي الحكم، أما أن لكم أن تفهموا بعد، أن من استعز بغير الله ذل، وأن الناس من خوف الذل في الذل، ومن خوف الفقر في الفقر، وأن من حرص على الموت وهب الله له الحياة، وأن الله يقول: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (138) الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِئْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا (139) وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ إِذَا مِتُّمُوهُمْ﴾ (النساء).

ولم يدخر الإخوان المسلمون جهداً في التنبيه إلى أهمية وخطورة القضية الفلسطينية، فجاهدوا بالكلمة المسموعة والمقروءة في تجمعاتهم ومؤتمراتهم وفي وسائل إعلامهم، حتى تبنت الأمة الإسلامية القضية الفلسطينية بعد أن طغت الإقليمية والقومية إلى حد بعيد على فكر كثير من قادة وزعماء الشعوب الإسلامية الذين حادوا عن الفكر الإسلامي وتأثروا بالفكر الغربي والعلماني.

ولقد أحيا الإخوان فريضة الجهاد، من أجل نصره فلسطين، بعد أن ظنَّ أعداء الإسلام أنها قد خبت، فشاركوا في معارك عام 1948م وقد أبلوا فيها بلاءً حسناً إيماناً منهم بأن الجهاد في سبيل الله هو سبيلهم، وأن الموت في سبيل الله أسمى أمانيتهم.

ويعتقد الإخوان المسلمون اعتقاداً جازماً بأن فلسطين جزء من العقيدة الإسلامية، وأن أرضها وقف إسلامي على جميع أجيال المسلمين في ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم إلى يوم القيامة، لا يجوز لأحد كائناً من كان أن يفرط أو يتنازل ولو عن جزء صغير جداً منها، ولذلك فهي ليست ملكاً للفلسطينيين أو العرب فحسب، بل هي ملك للمسلمين جميعاً، وعليه تكون فلسطين بالنسبة للإخوان المسلمين السوق الذي نربح فيه الصفقة مع الله ونفوز بإحدى الحسينين النصر أو الشهادة، لذلك أفتى الشيخ سيد سابق أحد فقهاء المسلمين أثناء حرب فلسطين عام 1948م بتأجيل أداء فريضة الحج وتقديم المال للجهاد في فلسطين.

ويعتقد الإخوان أن مصر أقرب البلاد خطراً من الغزو الصهيوني، وهي على مرمى من سهام اليهود، وذلك لما لليهود من ذكريات فيها، ولأن سيناء غنية بالثروات الطبيعية والمواد الخام، ما يمثل حافزاً للصهاينة للاستيلاء عليها.

وكان الإخوان أول من تنبأ بخطر ذلك الكيان البغيض، على المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية؛ حيث سيؤدي إلى خلق مشكلات لا تنتهي، ناهيك عن المشكلات الداخلية في كل بلد عربي من قبَل الجاليات اليهودية التي تعيش فيها، والتي تشكل "طابوراً صهيونياً خامساً"، كما نظر الإخوان إلى أن إقامة هذه الدولة سينتج عنه أيضاً خطر اجتماعي يهدد البلاد العربية بالانحلال؛ لأن الصهيونية ستعمل على نشر الإلحاد والإباحية. وسينتج عنها خطر روحي يهدد العالم الإسلامي من ناحية العقيدة والإيمان؛ حيث إن هناك خطراً يستهدف الأماكن المقدسة في فلسطين التي هي موضع الإسراء والمعراج، ويتمثل هذا الخطر في تصور الإخوان المسلمين بشكل واضح بـ "حلم اليهود" بهدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان مكانه.

مسلسل الجماعة..

السقوط من أول حلقة (1)

بقلم: د. ممدوح المنير

في البداية أحب أن أعترف أنني كنتُ أعتقد أن مؤلف المسلسل ومخرجه سوف يكونا أكثر نكاهً مما شاهدتُ في هذه الحلقة الأولى، والتي مثلت سقطةً مدويةً بكل المقاييس لكل من شارك في هذا العمل.

كنتُ أعلم جيداً أن التليفزيون المصري الذي يعادي جماعة الإخوان المسلمين أكثر مما يعادي الكيان الصهيوني لن يعرض على شاشته إلا مسلسلاً بكل هذا السوء والإرهاب الفكري للآخر.

لكني بصدق لم أتخيل أن يكون الموضوع مفضوحاً ومكشوفاً إلى هذه الدرجة، كنتُ أتوقع أن يكون هناك درجة من (العسل) يتم دس (السم) فيه، لكني وجدته سماً خالصاً لا شائبةً فيه؛ ما يجعلني أتوجه بإخلاص بموفور الشكر لكاتب السيناريو ومخرجه، اللذين وفرا على الجماعة كثيراً من العناء؛ لأنني على ثقة أن من هم خارج الجماعة سوف يكون ردهم أبلغ على المسخرة الفكرية والسياسية التي ظهر بها المسلسل في أولى حلقاته. المسلسل امتلأ بالكثير من الأخطاء الفنية والسياسية والفكرية التي لا تُخطئها عين، منها على سبيل المثال لا الحصر:

الأخطاء الفنية

- 1- "المط الزائد عن الحد" في مشهد مكتب وكيل النيابة أثناء التحقيق في وقعة رشوة عادية، والذي يكاد يكون احتل ربع وقت المسلسل.
- 2- مشهد المقابلات السرية لقيادات الإخوان في السوبرمركت أو مطعم الكباب، كان فكاهياً أكثر من اللازم، فوسائل الاتصال الحديثة أعتقد أنها قضت على أمثال هذه الأجواء البوليسية التي تتناسب أكثر مع عصر ما قبل الهواتف النقالة وثورة الإنترنت، ولكن يبدو أن المخرج أراد توصيل فكرة الغموض والجو البوليسي على حركة الجماعة، ولكن بأسلوبٍ ساذجٍ للغاية.
- 3- القيادة الأمنية التي تحدثت عن رغبتها الشديدة في معرفة مكان اجتماع مكتب الإرشاد دليل آخر عن مدى سطحية كاتب السيناريو، فمكتب الإرشاد واجتماعاته كما هو معروف بالضرورة لأي متابع تجري على الهواء مباشرة، وجميع حركاته مرصودة لحظةً بلحظة، وبالتالي فكرة المفاجأة والغموض في مكان الاجتماع دليل سذاجة آخر في تناول الموضوع، خصوصاً أنه كان اجتماعاً كاملاً أعضاء المكتب كما ظهرت المشاهد!!
- 4- تسجيل الحوار الذي تم في المطعم، من المشاهد التي تُثير الضحك بشكل كبير، فالقياديان الإخوانيان كان يفصلهما نحو ثلاث موائد عن فريق المتابعة الذي يُسجل الحوار، في مطعمٍ عام؛ ما يتطلب أن يكون الحوار السري للغاية بينهما يتم بصوتٍ عالٍ جداً أقرب للصياح حتى يتسنى تسجيله!!، وهذه سقطة (بايخة) أخرى من مخرجٍ يُقال عنه أن محترفٍ إخراجياً.

فكرياً وسياسياً

1- براجماتية الإخوان:

كانت هدفاً رئيسياً في هذه الحلقة، فهم أصحاب استثمارات كبيرة وكيانات ضخمة تُوفّر لهم التمويل المالي، وهم نفعيون فبعد أن رفعت المنتجات الدنماركية كرداً على الإساءة للرسول من "سوبر ماركت" السواح القيادي الإخواني أعيدت مرةً أخرى حتى لا تنتهي صلاحيتها وتضيع أموالها، وبالتالي يُعيب المسلسل الشعب ضد الإخوان ويقوم بدور المحلل لجرائم النظام ضد الشركات والاستثمارات المملوكة لأفراد من الإخوان - خيرت الشاطر وحسن مالك نموذجاً - والتي لم يُدن أحدٌ من الإخوان حتى الآن نهائياً قضائياً بتهمة تمويل أو غسيل أموال لصالح الإخوان.

كما حرص المسلسل على إظهار الإخوان بشكلٍ انتهازي في موضوع الديمقراطية التي لا يؤمنون بها كما يقول المسلسل، ولكنهم يرفعون شعارها تضليلاً للشعب، ولم يقل لنا كاتب السيناريو كيف دلل على صحة هذا الطرح المدموم المصدقية، رغم فوزهم المتكرر في كافة الانتخابات الطلابية والنقابية ونوادي أعضاء هيئة التدريس ومجلس الشعب، هل كل هؤلاء الناخبين على اختلاف مستوياتهم الفكرية والثقافية من البلاهة والغباء حتى ينتخبوا فصيحاً يخدمهم ويضللهم في كل مرة، رغم التصييق والتزوير الهائل!!، ثم هل انقلب الإخوان يوماً ما على نتائج انتخابات ديمقراطية وخسروا فيها!!، أين الدليل الذي قدّمه المسلسل على ذلك!!.

2- عنف الإخوان:

من أسوء ما قدمته الحلقة الأولى كذلك، رد فعل الإخوان على شطب مرشحيهم من الاتحادات الطلابية وعدم تسكينهم في المدن الجامعية هو العنف الشديد ضد زملائهم الطلاب وبموافقة كل أعضاء مكتب الإرشاد يعني تبني نهج العنف بإجماع قيادات الإخوان.

ورغم أنه لم يُن أحدٌ من الإخوان بجريمةٍ عنفٍ واحدة منذ أيام عبد الناصر وحتى الآن، إلا أن كافة مشاهد الحلقة الأولى حرصت على تثبيت فكرة الدموية في جماعة الإخوان المسلمين فهم أول من بدعوا بقذف الحجارة على زملائهم، وهم من استخدموا السيوف والأسلحة البيضاء في ضرب زملائهم بلا رحمة في مشهدٍ دمويٍ مثير، بينما قوات الأمن لا حول لها ولا قوة تقف مكتوفة الأيدي خارج أسوار الجامعة؛ لأن القانون يمنعها من الدخول إلى حرم الجامعة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يلجأ الإخوان إلى العنف في انتخابات طلابية ولا يلجئون إليها في تزوير انتخابات مجلس الشعب أو اعتقال عشرات الألوف من أفراد الجماعة أو مصادرة كافة ممتلكات قيادات الجماعة؟!، ومتى حدثت هذه الوقعة الدموية التي عرضها المسلسل؟! ولماذا يلجئون أصلاً إلى العنف إذا كانت فكرة الاتحاد الموازي نجحت بالفعل كما جاء على لسان الطلاب!!

أنا على يقين أن كافة علامات الاستفهام هذه ستظل بلا إجابة؛ لأنها بلا إجابة بالفعل، فقط تحريض للطلاب وبث للربح في قلوبهم تجاه الإخوان وتحريض للأمن على التواجد داخل حرم الجامعة لحماية الطلاب المسالمين من بطش طلاب الإخوان الذين ينفذون الأوامر بلا تفكير!!.

هناك الكثير من الأخطاء منها فكرة (الحجاب) فالمرأة المحجبة التي ظهرت - منة شلبي - هي التي تتشح بالسواد والفقيرة التي تعول أخواتها وتدفع رشوة، وهي كذلك الخادمة في فيبلا سعاد هانم، بينما غير المحجبة هي المرأة الراقية الأرستقراطية المحترمة - سعاد هانم - التي تنتازل عن شقتها طواعيةً في مشهد حضاري متميز لجارها القديم، لاحظ هذه المشاهد، وستعرف أي شيطان يكمن في تفاصيل كل مشهد.

هذه بعض ما شهدته في أولى حلقات سلسلة الجماعة الذي يتناول قصة حياة مؤسسها حسن البنا ويعرض دون إذن مسبقٍ من ورنثه وقبل الانتخابات البرلمانية المفصلية القادمة.

حين تقرأ أحداث المسلسل خلال هذا السياق ستدرك سريعاً أي نوايا سوداوية تكمن في هذا المسلسل.

مع المسلسل حلقة بحلقة

الجماعة" .. دراما هندية أم أمنية؟!

بقلم: هشام حمادة

منذ بداية الحلقة الأولى من مسلسل الجماعة الذي ألقاه وحيد حامد يتضح أن المسلسل يعكس وجهة نظر النظام والأمن تجاه جماعة الإخوان المسلمين، فهو يتبنى نهج إظهار الأمن بصورة رجال لطفاء مسالمين يتحرون عدم الصدام ويعاملون أفراد الإخوان الجانحين نحو استخدام العنف أفضل مما تعامل الأم وحيدها وتشير مشاهدته المختارة إلى تحذير المجتمع من عنف الإخوان، وكذلك اتجارهم بمعاناة الناس، وأنهم يفسدون الدين بالسياسة والسياسة بالدين.

وسوف نبدأ بمشينة الله استعراض تلك الإساءات المستهدفة في المسلسل، والتي بدأ أنها ستتركز على جانبين أساسيين؛ وذلك من خلال مشاهدتنا لأول حلقتين؛

الأول هو التشويه الدرامي لشخصيات الإخوان، وبخاصة قياداتهم من حيث الشكل والسلوك والأنماط وهو ما يؤثر عاطفياً على ذهنية المتفرج، والثاني ستركز على التشويه التاريخي من خلال تشويه الحقائق وعدم ربط الأحداث بسياقها، وكذلك التركيز الجزئي على الأحداث بإظهار جانب دون آخر أو بالمبالغة والتوهيل والاصطناع في بعض الأحداث أو بإسقاط حدث لصالح تضخيم حدث آخر

الحلقة الأولى

في الحلقة الأولى تقدم لنا شخصيتين أساسيتين،

شخصية وكيل نيابة أمن الدولة التي اجتهد المؤلف في وسماها بدمائة الخلق والعاطفية والعقلانية والتواضع مع الناس والرحمة بالمتهمين، وستسير بعد ذلك الحلقة الثانية؛ حيث تصفه الأحداث بالعدالة غير المسبوقة عندما يقرر أن يعيد شقة مستأجرة بإيجار قديم إلى مالكها، ولكنه لأسباب عاطفية تربطه بذكرياته ووالديه (هكذا لزوم الشخصية البطولية المكتملة) يستصعب الأمر فيقرر أن يشتريها من مالكها ويعوض ابنه بثمان باهظ ليشتري به شقة في الغردقة؛ حيث يعمل (يا سلام.. عمر بن الخطاب في ثوب عصري.. ثوب وكيل نيابة أمن الدولة)، وهكذا تتصف شخصية وكيل النيابة بالعدالة المطلقة، وهو أمر يحسب لذكاء وحيد حامد الدرامي لخدمة هدفه النهائي؛ حيث سيقوم هذا الشخص الأسطوري في عدالته بالتحقيق مع طلاب الإخوان فيتعاطف المشاهد مع عدالته وحكمته، وفي النهاية مع قراراته التي سينطق بها المؤلف على لسان هذه الشخصية مهما كانت قسوتها ومجافاتها لحكم الناس.

الشخصية الأساسية الثانية التي تظهر في الحلقة الأولى هي شخصية أحد قيادات الإخوان والذي يمتلك "سوبر ماركت"، وحيث يقرر أن يعيد عرض المنتجات الدنماركية التي سبق أن قاطعها إلى متجره مرة أخرى لأن "الجو قد هدأ" على حسب تعبيره، وهنا تقدم قيادات الإخوان على أنها شخصيات انتهازية منافقة منذ بداية الحلقات، وحيث تقع المفارقة؛ حيث المجتمع يقرر مقاطعة من أساءوا للرسول عليه الصلاة والسلام، بينما الإخوان يعيدون منتجاتهم للأسواق، وهكذا يتضح كم الكذب المتوقع في هذا المسلسل.

ولا تقوت الحلقة الأولى بعض المشاهد المرسومة بدهاء شديد للقاءات قادة الجماعة تتم في المطاعم التي يمتلكونها، وعلى كميات هائلة من اللحوم والكباب..

طبعاً وحيد حامد يعلم أنه يخاطب عاطفة شعب جائع، وإن لم يذكر من أجاع هذا الشعب،

ثم تدعى الحلقة بعد ذلك بدء طلبة الإخوان باستخدام العنف في الجامعة والاعتداء على الطلبة الآخرين،

والحقيقة المؤكدة أن أجهزة إعلام النظام المصري لم يسبق لها رغم الآلة الإعلامية العملاقة التي تمتلكها أن أخرجت إلى شاشة تلفاز أو صفحة في جريدة ولو لمرة واحدة حتى عرض هذا المسلسل طالباً جامعياً واحداً اشتكى من أن طلبة الإخوان اعتدوا عليه بالسلاسل والعصي كما ادعت الحلقات الضالة المضلة، وما كان النظام ولا إعلامه المتحفظ أن يفوت مثل هذه الفرصة.

أما ما يحدث فعلاً فهو أن الأمن يدخل شبابه ومخبريه المدربين بلباس مدني ليعتدي على طلبة الإخوان داخل الحرم الجامعي، وقد عرضت كثير من هذه الأفلام والصور الحقيقية على اليوتيوب والفييس بوك، ولكن وحيد حامد لديه هدف وخطة يصر على بلوغها.

الحلقة الثانية

تستمر الحلقة الثانية في العزف على وتر عدالة ومثالية شخصية وكيل نيابة أمن الدولة؛ تمهيداً لكونه الناطق بالحقائق فهو يتعامل مع الناس بأدب جم وتواضع شديد وعدالة مطلقة ورحمة بيّنة.

يأتي بعد ذلك تصوير العرض الرياضي لطلبة الأزهر، والذي كانت جريدة (المصري اليوم) قد أعلنت عنه وضحمتها، ومن دون جميع المسجلات التي وقعت بين النظام والجماعة يتم إلقاء الأضواء على هذا الحادث العفوي لغرض في صدر حامد.. وهنا تقع مغالطات كثيرة،

أولها أن المسلسل يُسمى العرض بالعسكري رغم أنه كان عرضاً رياضياً لم تظهر فيه أي أسلحة. ثانياً أن الملابس التي استخدمت في العرض (الثام والزي الأسود الخاص بحماس) استخدمت مرات عديدة من قبل في عروض مشابهة لمناصرة المقاومة في غزة، ومع ذلك تقدّم الطلاب الذين تبّنوا تنفيذ هذا العرض إلى أجهزة الإعلام بالاعتذار عن الإخراج غير المناسب للعرض الذي كان جزءاً من مهرجان حاشد خُطط له بخبرة الطلاب المحدودة وغرارتهم، وبالطبع لم يتبن المسلسل إلا وجهة نظر الأمن.

مغالطة أخرى يُقدمها وحيد حامد عندما يُداهم الأمن مساكن الطلبة بالمدن الجامعية ويستخرج منها السيوف والخناجر والأسلحة، وهو تلفيقٌ محض إلا إذا كانت مرجعية وحيد حامد الوحيدة في كتابة المسلسل هي تصريحات الأمن للإعلام لتبرير ما يصنعون بشباب الإخوان، كما يتجاهل أيضاً المؤلف أن طلاب هذا العرض الرياضي كانوا من طلبة كلية التربية الرياضية، وأن هذه التدريبات هي جزءٌ من دراساتهم وتدريباتهم العملية.

مغالطة أخرى يعلم مؤلف المسلسل أول من يعلم بكذبها، وهي تلك المعاملة التي يصورها المسلسل من قبيل ضباط أمن الدولة لضيوفهم من شباب الإخوان، فالطالب يجلس على كرسي وجهاً لوجه أمام وكيل النيابة ودون غماعة على عينيه ودون مخبرين يقفون من ورائه كالمعتاد يوجهون له الضربات مع كل سؤال، ودون تعذيب أو تعليق أو كهرباء، بل الغريب أن الضابط يعرض على الطالب وأثناء التحقيق مشروب الشاي ويطلبه له، والأغرب أن صوت الضابط كان هو الأخفض والأهدأ وصوت الطالب كان هو الأعلى والأكثر استفزازاً؛ حتى إنني خشيتُ أن يقوم هذا الطالب من مقعده المريح ويوجه "زوج من الصفعات" نحو الضابط، طبعاً يحدث هذا في مقر أمن الدولة بدولة مصر، وهو ما يؤكد أن عناصر إلهام وحيد حامد في هذا المسلسل كانت أمنيةً بحتةً ولم ترق حتى أن تكون من الأفلام الهندية.

يتضح هذا أيضاً في مشهد التعليق على الأحداث لأجهزة الإعلام، فممثل الأمن يتكلم بهدوء وراحة وابتسامة ترسم على وجهه، أما مسئول الإخوان فيتكلم بعصبية شديدة وتجهم وتهديد ووعيد (لزوم كراهية نمط الشخصية).

طبعاً يسبق هذه الأحداث الجو التأمري الذي تصوره أحداث المسلسل سواءً في نقل التعليمات أو لقاء قيادي الجماعة مع أفرادهم من همسٍ وتخفٍّ وكلامٍ عبر الظهور المدبرة لبعضها مع أن قيادات الإخوان في كل مدينة معروفة بالاسم، ولا تحتاج أن تتخفى، بل إن القيادات والأفراد يلتقون على قمم الشوارع، وأمام أعين الناس يتصافحون ويتبادلون الحديث بلا ريب ولا تخفٍّ.. فهل يطمع وحيد حامد ومصادر إلهامه ألا يصدق الناس ما يرونه، وأن يصدقون ما لم يروا أو يعرفوا!!!.

ولا يفوت المؤلف طبعاً أن يتكلم مرشد الإخوان عن ضرورة استعراض القوة، وعندما يسأل لماذا فقط سيتم الاستعراض في جامعة الأزهر دون باقي الجامعات يرد بأن جامعة الأزهر فصلت خمسة طلاب من الإخوان.. هكذا!!!

ألم يفصل العشرات في الجامعات الأخرى!!

وهل يخاطر مكتب الإرشاد بمثل هذا الصدام ويديره لأجل هذا السبب ويتجاهل أحكام بالسجن طويلة على قياداته وعلى سقوط شهداء من صفوفه على يد الأمن نتيجة التعذيب وسوء المعاملة (أكرم زهيري ومسعد قطب)، وعلى شطب المنات من مرشحيه في الانتخابات بكافة أنواعها وعلى تزوير فاضح في الانتخابات يستدعي اعتقال الآلاف من أعضاء الجماعة.

لا يفوت المسلسل كذلك أن يقوم مخرجه باستعراض مائدة الطعام التي سيلتئمها أعضاء مكتب الإرشاد بعد الاجتماع، وهي مائدة مستوحاة بضخامتها كذلك من فيلم هندي أو ملحمة إغريقية..

طبعا لا يفوت المسئول الهندي - أقصد الأمني- في مقرر أمن الدولة أن ينبه على ضباطه أن يحققون مع طلاب الإخوان بلطف ويؤكد عليهم "مش عايزين حد يزعل منهم" .. يا سلام.. مصر بخير يا وحيد.

كوميديا غير مقصودة

في الحلقة الثالثة يتم التركيز على عواطف المشاهدين؛ حيث الأب مكلومٌ باعتقال ابنه وإحالته إلى النيابة، ويتم استهداف معنى الخطر الذي يُعرض له الأبناء أنفسهم بالانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين تجاهلاً وتناسياً لحقيقة أن الإسلام دين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاجتماع على الطاعات، ومنها النصيحة في الله.

أمام هذا المنطق للمسلسل لا يسع المشاهد لو اقتنع به إلا أن يُسفه سلوك الأنبياء والمرسلين المضاد لأقوامهم، وكذلك سلوك أتباعهم الصامدين من بعدهم..

وماذا يُقال حينئذٍ عن عصر الشهداء في المسيحية الذين فضلوا أن تأكلهم السباع على أن يرتدوا عن مذهبهم الذي اعتقدوا بصحته؟ لماذا لم يرحم هؤلاء الشهداء آباءهم وأمهاتهم؟

وماذا يُقال عن ملايين الشهداء في العراق والجزائر وفلسطين الذين فضلوا الموت في سبيل الله على أن يستسلموا لاحتلال أوطانهم؟ وماذا يفعل الشباب الغاضب على أحوال أمته المزرية، وبخاصة حيال أعدائها؟

وماذا يفعل الشباب إذا أراد أن يعيش على الفهم السليم للدين ووجد جماعةً تشدُّ من أزره على ذلك؟ وما معنى الجهاد من إصلاح الأوطان أو تحريرها؟

هل من المنطقي أن يدفع الوالد ولده للهلاك في طابور الخبز أو قتالاً حول أنبوية بوتاجاز بينما يمنعه أن يساهم في بناء وطنه من خلال دينه وتراثه، وليس من خلال مذهب غريب على أهله وبلده؟ أليست الحكومة تشتكي من سلبية الشعب تجاه أمور الانتخابات والاهتمام بالحكم والسياسة؟ أليست هذه السلبية هي ما تدعو له حوارات وكيل النيابة أو والد تيمور مع ابنه المعتقل؟

ألم يُعتقل أنور السادات في شبابه فنارت مثار افتخار في تاريخه؟

حتى جمال عبد الناصر كان يفتخر أنه اعتقل ذات مرة وهو طالب في التعليم الثانوي..

ألم يكن الضباط الأحرار أحراراً إلا لأنهم تمردوا على سلطة ملك ظنوه فاسداً؟

ألم تدفع شعوب أوروبا الشرقية آلاف الضحايا في سبيل تحريرها من حكم استبدادي لم يرضوه؟

ماذا قد يقول والدا راشيل كوري عنها وهي التي دفعت حياتها للدفاع عن شعبٍ غريبٍ عن أهلها ودينها فقط؛ لأنها اعتقدت أنهم مظلومون؟ كيف يُغيم آباء كل هؤلاء تضحيات أبنائهم الآن؟

لماذا يغيب هذا المنطق الساطع في ضمائر الأمم عن حوارات المسلسل؟

يعود الحوار مرةً أخرى ليسأل الأب ابنه ماذا قدمت الجماعة له من إسلام لم تجده في إسلامنا؟

سؤال يبدو ملتبساً..

فالجماعة تعلن ليل نهار أن إسلامها لا يختلف عن إسلام الملايين كعقيدة وشعائر وفكر وفقه وأحكام لكنها تقوم على صيانة ما تهدم من هذه الأشياء في حياة المسلمين سواء كانت أخلاقاً أو سلوكاً أو معاملات أو أحكاماً غابت واختفت أو قيماً تلاشت.

إن الإخوان المسلمين لا ينشدون إسلاماً جديداً، ولكنهم يريدون نفس الإسلام الذي عرفته عشرات الأجيال، ولكن عندما كان في أوج اكتماله وروعة بيانه وقوة حكمه وعزة شعوبه وترفع علماته..

ولكن مرةً أخرى يغيب منطق الإخوان الذي يتكلمون به من أجل منطقٍ آخر يُراد أن يلصق بهم ويكون المضحك عندما يسأل الأب ابنه: ماذا تريد هذه الجماعة فيفاجئ بأنه لا يعرف ...

مع أن أول ما يتلقاه من ينضم لدعوة الإخوان أن الدعوة تهدف لبناء الفرد المسلم الذي تتأسس به الأسرة المسلمة فينشأ من تكاثرها بالمجتمع مجتمعاً مسلماً يُصلح الحكومات ويحرر الأوطان من أجل المرحلة النهائية في إحداث الدولة العظمى المؤثرة على العالم والمنشئة للنهضة الكبرى أو ما يُسمى بأستاذية العالم أي صفحة أخرى مشرقة من دول الخلافة الإسلامية الكبرى، لكنها أكثر حداثةً وتطوراً بما وصل إليه الرقي البشري من تطور في التكنولوجيا والعلوم الإنسانية.

إن المُبتدئ في جماعة الإخوان يعلم هذه الحقائق، ولكن الرغبة تُفسد المنطق، والهوى يغلب الحكمة، وهوى المؤلف في تشويه الجماعة أقوى من قدرته على الالتزام بالموضوعية..

أمر آخر يتجاهله مؤلف المسلسل فلا يتعرّض له وهو إصرار النظام على ألا يعرض قضايا الإخوان على النيابة العامة أو القضاء الطبيعي بل يصرّ على نيابات أمن الدولة وعلى المحاكم العسكرية..

وطبعاً لا يشير المسلسل ولا مؤلفه المغمض إلى حقيقة أن جميع قضايا الإخوان التي عُرضت من قبل على القضاء الطبيعي برئ منها أفراد الجماعة.

تظهر في هذه الحلقة وسط كم الشخصيات الإخوانية التي تعرّضت للتشويه، شخصية أخرى أو ثانية بعد وكيل نيابة أمن الدولة يجهد المؤلف في وصفها بالمثالية، ويستمر في تلميعها على لسان جميع الشخصيات، وهي شخصية المستشار كساب الذي يعمل في تواضع وهمة عالية مع مزارعيه في الحقل رغم أنه على المعاش منذ سنوات، ويتكلم بجهدٍ شديدٍ، طبعاً ومثل شخصية وكيل النيابة يقصد بتلميع تلك الشخصية وصلفها أن يتعاطف المشاهد مع الأحكام التي سيجري بها المؤلف على ألسنتهم فيما بعد.

فكما يتضح من مجريات الأحداث أن الحلقات تهدف في النهاية إلى إصدار حكمٍ من خلال تلك الشخصيات المصقولة على جماعة الإخوان المسلمين،

فوكيل النيابة يرفض أن يصدر رأيه أو حكمه مبكراً على الجماعة فيذهب ليشترى الكتب التي تُورّخ لهم ليتعرف عليهم، وهنا إيهام للمشاهد أن الحكم سيأتي في النهاية منطقياً، وكأنّ وحيد حامد قد استقرّ يقينه واطمأنت نفسه لحقيقة أن المشاهد سينسى أنه هو صانع تلك الشخصيات الخيالية مع عدائه لجماعة الإخوان المسلمين، عداء يصل إلى حدّ أن أمين المكتبة يقول لوكيل النيابة أننا بحاجة إلى معجزة لنتخلص من الإخوان، ولا أجد أكثر مناسبة من قوله تعالى ﴿موتوا بغيظكم﴾.

واستمراراً للضبابية الإعلامية السوداء، ما يزال مؤلف المسلسل يصرّ على الرقي البالغ الذي يتعامل به قيادات وضباط أمن الدولة مع الإخوان والتوصيات المتتالية من قائد الجهاز لضباطه بحسن المعاملة وإكرام المعتقلين حتى إنهم يختلفون إذا كانت المعاملة في جهاز أمن الدولة خمسة نجوم أم أربعة فقط.

تتواصل مشاهد السطحية عندما يصفاح عبد الحميد يونس مرشد الإخوان فيرفع الأخير يده في صورة هزلية تجاه وجه عبد الحميد ليقبلها،

وأعود لأسأل مؤلف المسلسل: إلى أي حدّ تستخف بعقول المصريين الذين يعيشون مع الإخوان في كل حارة وزقاق؟!..!!

أغلب ظني أن نتائج هذا المسلسل ستكون عكس أهواء من خططوا له وتبنوا إخراجها، فالمسلسل مكر سيئ ولا يحق المكر السيئ إلا بأهله.

أتوقع أنهم سيعضون على أيديهم بقسوة بعد أشهر معدودة من انتهاء هذا المسلسل إن لم يدركهم بعض أذكائهم وينصحهم بوقف عرضه، فأنا لم أرَ قبل ذلك أعمال وحيد حامد بهذا التفكك واللامنطقية والمبالغات المفرطة في الهزلية حتى إنني أتساءل: إذا كانوا قد خططوا لصناعة مسلسل كوميدي من حيث اعتماده على المبالغات والتضاد الشديد بين الشخصيات..

من هذه المشاهد مشهد تحقيق مسئول جهاز أمن الدولة مع أحد المعتقلين بنفسه في قضية غسيل أموال، وقد ترك مقعد مكتبه ليجلس على كرسي قبائله يحتسون معاً قهحين من القهوة...

وقبل أن استأنف التعليق على الحلقة الثالثة سوف أسوق ما نشرته صحيفة (جولف نيوز) الإماراتية الصادرة باللغة الإنجليزية، وذلك بعد بدء المسلسل حلقاته، وأكدت فيه ما سبق أن أشرت إليه بأن الحكومة المصرية هي من كلّفت وحيد حامد بكتابة مسلسل ضد جماعة الإخوان؛ ليعرض قبل بداية الانتخابات التشريعية في أكتوبر 2010م.

تقول الصحيفة:

"إن النظام المصري طلب من المؤلف وحيد حامد - المعروف عنه انتقاده للإسلاميين في أعماله التلفزيونية والسينمائية- تأليف مسلسل عن جماعة الإخوان المسلمين؛ في محاولة لتشويه صورتها قبيل الانتخابات التشريعية التي ستجرى في أكتوبر المقبل.

كما أنشر هنا ما نشره موقع (إخوان أون لاين) بخصوص وثيقة كشفها الأستاذ سيف الإسلام البنا تكشف التزوير الذي شاب كتابة المسلسل، يقول الموقع في الخبر المنشور:

"كشف أحمد سيف الإسلام حسن البنا نجل الإمام الشهيد وعضو مجلس نقابة المحامين عن وثيقة بخط يد الإمام الشهيد تفضح التزوير في أحد المشاهد التي أوردها مؤلف مسلسل "الجماعة".

وكان الكاتب وحيد حامد كاتب سيناريو المسلسل قال في جريدة (الأهرام) بملحق الفن الصادر في تاريخ 31 يوليو 2010م ما نصه: "إنني ضد استغلال الإسلام سياسياً، وهناك جملة مهمة جداً ترد بمشهد بالمسلسل، يجمع بين علي ماهر باشا والملك فاروق، والذي كانت تربطه صداقة بالبنا؛ حيث اتصل به فاروق، وقال له سائلاً: يا شيخ حسن، إيه أحسن شيء الملك يقدم به نفسه للناس؟ فردّ البنا: ليس هناك أعظم من أن يرى الناس الملك وهو يبصلي، وكان الشيخ طنطاوي جوهرى - وهو أستاذ البنا - موجوداً، وردّ الشيخ طنطاوي جوهرى: وهل هذه هي وظيفة الصلاة يا شيخ حسن، فالملك عنده مهام أخرى، ومن مهامه إقامة العدل، وهل الصلاة لجنب الشعبية جملة واضحة". اهـ.

وقال سيف البنا لـ(إخوان أون لاين): إن هذا ليس هو أسلوب الإمام حسن البنا، والدليل القاطع على ذلك أن مندوب مجلة (المصور) أجرى معه حواراً في 3 يوليو 1947م، والتقط في هذا الحديث عدة صور للإمام الشهيد، وكان إحداها وهو يبصلي، فأرسل خطاباً يطالب بالانتشار هذه الصورة، قائلاً: "لا أشجّع أن يعلن عن صلاة أو تعبد، فتلك لله وحده".

وهذا ما سبق أن نبّهت إليه في تعليقي على أحداث مسلسل "الجماعة"، فوحيد حامد يتبع 4 وسائل لإيصال رسالته المغرضة إلى المشاهد ليؤثّر فيه عاطفياً تجاه جماعة الإخوان المسلمين:

الأولى: هي تلفيق أحداث لم تحدث؛ ولكن يجريها على يد شخصيات تاريخية موجودة وحقيقية معتمداً على أن أحداً من المشاهدين لن يبحث وراءه فيما كتب، ولن يتكلف لأواء البحث.

الثانية: أنه يحرف الأحداث بالتعديل أو الإضافة ليتم له بصفة أساسية تشويه شخصية الشيخ البنا ومن بعده الشخصيات الإخوانية التاريخية. الثالثة: أنه يتجاهل أو يحذف أي قصص أو أحداث تكون في صالح الجماعة أو مؤسسها، كما تجاهل ذكر أسباب المظاهرات الطلابية في الجامعة؛ بسبب الظلم الواقع عليهم أو تجاوزات الأمن ضد بعضهم أو تأييد القضية الفلسطينية.

وهكذا فإنه يلتفت حول الأسباب الحقيقية للأحداث مختلفاً أسباباً أخرى تحقّق له هدف تشويه الجماعة الذي من أجله استكتب المسلسل. الرابعة: أنه يعمل على التأثير على المشاهد وجدانياً ضد أفراد الجماعة عن طريق الحيل الدرامية، وهذه لن تحمله كما سبق تكلفه العبث بالتاريخ، ويتم ذلك عن طريق اللعب بشخصيات الإخوان من حيث طريقة الكلام وألفاظه، ومن حيث الشكل والمظهر والملبس، ومن حيث العادات والسلوكيات، ويستخدم هذا بكترة في الشخصيات التي يخترعها على أساس أنها شخصيات غير معروفة للناس، مستهدفاً في ذلك تغيير الناس عن أفراد الإخوان، وإشعار الناس أنهم مختلفون عنهم وغير مبرنين، وأنهم يتبعون أنواعاً دنيا من البشر.

الحلقة الرابعة

تكلف وحيد حامد في صياغة دراما جديدة يمكن أن نسميها الدراما الهجائية؛ حيث تحشد العيوب والمثالب بعيداً عن الصدق والموضوعية وباستثمار التلفيق حيث يقوم باختلاق قصص ذات دلالات خطيرة على الرغم من ادعاء تاريخية المسلسل، وذكر العديد من المراجع المطبوعة على تتراته، ومن هنا تأتي خطورة التلفيق والدس وتأكيد المؤامرة غير الفنية من وراء إخراج هذا المسلسل، ولكن كيف حدث هذا في الحلقة الرابعة؟

كالعادة تحمل هذه الحلقة هجوماً مباشراً وحاداً على جماعة الإخوان المسلمين وأحكاماً خطيرة وحاسمة ضدهم من قبل أن يبدأ السرد التاريخي الذي سيقوم به المستشار كساب لأشرف هلال وكيل نيابة أمن الدولة الذي يبحث عن حقيقة جماعة الإخوان،

فالمسلسل يضع أحكاماً نهائية على الجماعة منذ البداية ومن قبل أن يبدأ السرد الذي سيقوم به المستشار كساب كراو للحكاية المستشار المتقاعد، والذي نعلم الآن أنه كان من أعضاء الإخوان قديماً، وهذا سبب ادعى ليصدق المشاهد في أحكامه عليهم أو هكذا خطط المؤلف، يسأله أشرف هلال لماذا ينضم قضاة ومهندسون وأساتذة جامعة لجماعة يعلمون أنها محظورة وتتصادم مع الدولة؟

وتخيلوا ماذا كانت الإجابة؟

يقول له إن أغلب أعضاء الجماعة لا يعرفون أهدافها!!!...

سبب مقنع فعلاً لإقبال الناس على جماعة مجهولة الأهداف،

ويزيده المستشار كساب بقوله إنه حتى زعماء الجماعة لا يعرفون عنها!!!...

هكذا. إن.. والمفترض الآن أن يسارع المشاهد حسب ظن وحيد حامد إلى أن يوقف أن هذه الجماعة تديرها يد خفية من مكان خفي..

ونفس الحلقة عندما تخبر حفيذة المستشار جدها عن خبر طرد أشرف هلال للخادمة لأنها تنقبت وترفض رفع النقاب في وجود أشرف بك يضرب

الجد كفيه وهو يقول البلد تُسرق، وعندما تستفسر منه الحفيذة عن كيفية سرقة البلد يقول لها إن الإخوان يريدون أن تعود مصر إلى عهد البداوة ليسهلوا سرقة البلد..

ترى لمن يُسهّل الإخوان سرقة البلد؟!!

أو السؤال بمعنى أدق: من بالفعل سرق البلد؟ ولصالح من؟

المهم أن الشعب المصري يعرف الإجابة..

ويبقى كلام شخصيات المسلسل يلقي اتهامات خطيرة تذكرنا بالمثل القائل "رمتني بدائها وانسلت"؟

ومن أجل الوصول لهذه النتيجة فإن المؤلف يقوم بتركيب مشهدين متتاليين..

المشهد الأول هو مشهد الخادمة التي تأبى خلع النقاب فتطرد من المنزل ويقطع رزقها في مشهد تراجيدي موحٍ بسبب من فرضوا عليها ارتداء النقاب

(ملحوظة: الإخوان لا يرون فرضية النقاب ولا ينكرونه).

ثم يأتي بعد هذا المشهد المؤثر مباشرة مشهد التحقيق مع قيادي الإخوان بهجت السواح بتهمة غسل الأموال، وحيث يوجه له مسئول أمن الدولة

تهمة إدارة متاجر لبيع ملابس المحجبات لصالح تمويل الجماعة مع مشروعات أخرى.

هنا نتيقن من السبب في قطع رزق الخادمة إن جاز التعبير.

تلفيق آخر يتم بخبث شديد في نفس الحلقة إذ تلفق قصة مختلقة تماماً عن طفولة الشيخ حسن البنا وكيف أنه حول لعبة عسكر وحرامية إلى لعبة

كفار ومؤمنين، وأنه لما رفض جميع الأطفال أن يكونوا في فريق الكفار قرر أن يحدد من الكافر بنفسه، ثم تلا ذلك أن ضرب من وصفهم بالكفر إلى

حدّ أن أصابهم وجرحهم، ولما سأله والده عن ذلك قال إنه توهم أنهم كفار فعلاً مع حماسته في اللعب.

وهنا يأتي التلفيق الخبيث ليشير إلى رغبة البنا الدفينة في أن يتوهم كفاراً من حوله ليقاتلهم في إشارة إلى المستقبل المنتظر والفكر الذي

سيولد تكفيرياً كما أراد أن يوحى المؤلف.

ومن هنا تأتي نصيحة والد أحد الأطفال المضروبين لوالد الطفل حسن البنا أن يلاحظ سلوك ابنه لأنه متشدد.

المضحك في مسلسل وحيد (التاريخي) أنه لما سرد قصة التمثال الخشبي العاري الذي أغضب الطفل حسن البنا فلجأ لمأمور القسم ليزيله، جعل

كلاً من الشخصيتين؛ راويها المستشار وسماعها وكيل النيابة يتشككان فيها في حوار ليس بقصير على اعتبار أن راويها هو حسن البنا بنفسه في

مذكراته ولا يوجد شاهد عليها،

أما القصة التي لفقها وحيد حامد عن ميول البنا التكفيرية ورغباته الوحشية فجاءت كأنها حقيقة تاريخية موثقة لم يرتق لها الشك..

ولعله يكون من المناسب أن أهدي للسيد وحيد حامد الأصليين:

الثامن والعشرين من الأصول العشرين في فكر الشيخ حسن البنا لعله لم يكن قد طالعه عن كتابة هذا المسلسل.

الأصل العشرون: "لا نُكفّر مسلماً أقرّ بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض برأى أو بمعصية إلا إن أقرّ بكلمة الكفر أو أنكر معلوماً من

الدين بالضرورة أو كدّب صريح القرآن الكريم أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر".

الأصل الثامن: "والخلاف الفقهي في الفروع لا يكون سبباً للتفرق في الدين ولا يؤدي إلى خصومة ولا بغضاء، ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من

التحقيق العلمي التزيه في مسائل الخلاف في ظلّ الحب في الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم

والتعصب".

الحلقة الخامسة

في الحلقة الخامسة يواصل وكيل نيابة أمن الدولة أشرف هلال رحلته أو رحلة وحيد حامد للتعرف على جماعة الإخوان المسلمين. ولأن كتاب "مذكرات الدعوة والداعية" يأتي في مقدمة المراجع التاريخية التي يظهرها تتر المسلسل، ولأن المستشار المتقاعد كساب يذكر لأشرف أن المرجع الوحيد للتعرف على طفولة الشيخ حسن البنا هو كتاب مذكرات الدعوة والداعية، فنرى الكتاب في يد وكيل النيابة؛ ليتعرف على مؤسس الجماعة، ونراه مفتوحاً على فصل "في المدرسة الإعدادية"،

طبعاً إظهار الكتاب على هذا النحو يعطي مصداقية لكل ما سيأتي به المؤلف من آراء حول تكوين شخصية حسن البنا في طفولته وعن أهم الملامح التي سيشير إليها المسلسل على اعتبار أن هذه المشاهد القصصية تأتي من خلال كتاب كتبه مؤسس الجماعة بنفسه، وهنا تقع الخدعة الكبرى، فإذا كان وحيد حامد قد اختلق قصة لا أصل لها في الحلقة السابقة؛ ليظهر دموية الشيخ البنا وتوهمه بوجود الكفار وسط المسلمين فإنه هنا يقدم حيلة أخرى مأكرة؛ حيث يعمل الدس والتحريف في إخراج النص الأصلي وفي الإضافة أو الحذف منه على تقديم صورة مشوهة لشخصية الأستاذ البنا في صباه وبحيث تظهره تلك الإضافات والتحريفات كطفل مشاكس لا يحترم الكبير متجراً على مشايخ القرية بصورة فجأة ويميل إلى العمل السري الإرهابي ويمارس إرهاباً على أقرانه الصغار؛ ليحافظوا على أسراره كما يظهر ذلك في لغته التهديدية ونظراته النارية إلى الأطفال.

إن القارئ المنصف لمذكرات الدعوة والداعية يلمس أدباً جمّاً وترفعاً عن الصغائر وحماسة وغيره على دين الله ورغبة في العمل التضامني والتكافل نحو خدمة الدين، لكنه لن يجد أبداً أثراً لشخصية فاشية أو إرهابية تجمع الأطفال بالإرهاب وليس بالثقفة والمحبة والقدوة الحسنة. وهنا أحب أن نقرأ معاً الجزء الخاص بجماعة منع المحرمات التي أنشأها الشيخ البنا في صباه مع بعض أصدقائه من خلال كتاب مذكرات الدعوة والداعية، ثم نرى كيف قدّم المسلسل هذا الفصل رغم أنه لا يوجد أي مرجع آخر يقدم طفولة وصبا الأستاذ البنا سوى هذا الكتاب الذي كتبه الشيخ البنا بنفسه باعتراف وحيد حامد نفسه على لسان شخصية المستشار كساب.

ومن هنا يأتي السؤال:

فمن أين استقى وحيد حامد هذه الإضافات والتحريفات في النص الأصلي؟

لنقرأ قصة جمعية منع المحرمات كما كتبها الأستاذ البنا أولاً ثم نعود إلى قصتها التي كتبها وحيد حامد لننتعرف على دوافعه.

يكتب الأستاذ حسن البنا: "جمعية منع المحرمات"

"وكان هذا النشاط الداخلي لم يرض رغبة هؤلاء الناشئين في العمل للإصلاح فاجتمع نفر منهم، كان من بينهم الأستاذ محمد علي بدير المدرس بالمعارف الآن، والأستاذ عبد الرحمن الساعاتي الموظف بالسكة الحديدية الآن، والأستاذ سعيد بدير المهندس الآن، وقرروا تأليف جمعية إسلامية باسم "جمعية منع المحرمات"، وكان اشتراك العضو فيها يتراوح بين خمسة مليمات وعشرة أسبوعياً، وكانت أعمالها موزعة على أعضائها، فمنهم من كانت مهنته تحضير النصوص وصيغ الخطابات، وآخر مهنته كتابه هذه الخطابات بالحبر الزفر، وثالث مهنته طبعتها، والباقيون توزيعها على أصحابها، وأصحابها هم الذين تصل إلى الجمعية أخبارهم بأنهم يرتكبون بعض الآثام أو لا يحسنون أداء العبادات على وجهها، خصوصاً الصلاة، فمن أفطر في رمضان ورآه أحد الأعضاء بلغ عنه فوصله خطاب فيه النهي الشديد عن هذا المنكر، ومن قصر في صلاته ولم يخشع فيها ولم يطمئن وصله خطاب كذلك، ومن تحلى بالذهب وصله خطاب فيه حكم التحلي بالذهب شرعاً، وأياماً امرأة شاهدها أحد الأعضاء تلمم وجهها في مأثم أو تدعو بدعوى الجاهلية وصل زوجها أو وليها خطاب، وهكذا ما كان أحد من الناس صغيراً أو كبيراً يعرف عنه شيء من المآثم إلا وصله خطاب من الجمعية ينهائه أشد النهي عما يفعل، وكان من اليسير على الأعضاء لصغر سنهم وعدم اتجاه الأنظار إليهم أو وقوع الشبهة عليهم أن يعرفوا كل شيء ولا يتحرز الناس منهم، وكان الناس يظنون أن هذا من عمل أستاذنا الشيخ زهران - رحمه الله - ويقابلونه ويلومونه لوماً شديداً ويطلبون إليه أن يتحدث إليهم فيما يريد بدلاً من هذه الكتابة، والرجل يتصل من ذلك ويدفع عن نفسه، وهم لا يكادون يصدقون حتى وصله ذات يوم خطاب من الجمعية يلفت نظره إلى أنه صلى فريضة الظهر بين السوراي - وذلك مكروه - وهو عالم البلد، فيجب عليه أن يبتعد عن المكروهات لئلا يبتعد غيره من العوام عن المحرمات، وأذكر أن الشيخ - رحمه الله - دعاني حينذاك - وقد كانت صلتي مستمرة به في الدروس العامة وإن كنت قد تركت مدرسته أو مكتبته - لنراجع معاً هذا الحكم في كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ولا زلت أذكر الموضوع كأنه اليوم وكنت أقرأ له وأنا أبتسم وهو يتساءل عن هؤلاء الذين كتبوا له ووجد أن الحق معهم، وأنهيت ذلك إلى أعضاء الجمعية فكان سرورهم به عظيماً.

واستمرت الجمعية تؤدي عملها أكثر من ستة أشهر وهي مثار عجب الناس ودهشتهم، حتى اكتشف أمرها على يد صاحب قهوة استدعى راقصة فوصله خطاب من الجمعية، وكانت الخطابات لا ترسل بالبريد اقتصاداً في النفقات، وإنما يحملها أحد الأعضاء ويضعها في مكان يلفت نظر

صاحبها إليها فيستلمها ولا يرى من جاء بها، ولكن المعلم كان يقظاً فشعر بحركة حامل الخطاب فقبض عليه بخطابه وعاتبه عتاباً شديداً أمام من في القهوة، وعُرفت الجمعية عن هذا الطريق فرأى أعضاؤها أن يخففوا من نشاطهم ويعملوا بأسلوب آخر لمنع المحرمات"

هنا تنتهي القصة التي كتبها الشيخ البنا عن جمعية أنشأها مع شقيقه واثنين فقط من أصدقائه بتراض بينهم جميعاً لعدم رضاهم بنتائج ما سبق من نشاطهم في جمعية الأخلاق الحميدة، فأنشأوا بتشاور بينهم تلك الجمعية؛ لينصحوا برسائل يكتبونها بعض العصاة ممن لا تستتر معصيتهم كما رأينا في الأمثلة التي ذكرها الشيخ البنا (صلاة غير مكتملة في مسجد - تحلى بالذهب للرجال - لطم وجه من امرأة في مآتم - استدعاء راقصة في مقهى..) ثم تعقب الجمعية الصغيرة برسالة إلى صاحب المنكر لتبين له الحكم الشرعي فيما صنع.

هذا كل ما ذكره الشيخ البنا، ولكن كيف قص ذلك وحيد حامد؟

لقد جعل الاتفاق على الجماعة يقع بين مجموعة كبيرة من الأطفال داخل قارب في وسط البحيرة، وحيث كان الشيخ البنا يفرض على الأولاد الأمر ويحذرهم ويتوعدهم بلهجة حادة وحيث يبدو وهو يملئ عليهم إرادته وحيث بدأ الأطفال مترددين، ثم سارع بقراءة الفاتحة وحده ليعقبه طفل فأخر ثم يتوالى الجميع، ثم ينسحبون منه بعيداً عن سطوته وهم في وسط البحيرة، وحينما يهم فرد من المجموعة بالانسحاب والتراجع نتيجة سماع درس من الشيخ زهران في أصول النهي عن المنكر يسرع خلفه حسن البنا في الطريق المظلم ليدق بيده كتف الطفل الذي ينتفض ذعراً ثم يحذره من مغبة إفساء السر في لهجة ومشهد يذكرك بأفلام الرعب أو أفلام العصابات.

لكن لماذا يلجأ وحيد حامد لهذه الإضافات وهذا التحريف والتشويه في قصة أخذها من كتاب الأستاذ البنا نفسه؟

دون شك إنها الرغبة في إلقاء ظلال الريبة والخطورة والقيادة الفاشية على شخصية الأستاذ البنا. هنا يمكننا أن نتأكد كيف سار سرد التاريخ في مسلسل الجماعة وإلى أي حد كانت الموضوعية والشفافية في عرض هذا التاريخ. لم يعد لدى المشاهد شك بعد ذلك، أنه بصدد مسلسل دعائي صرف وليس تاريخياً بالمرّة وأنه ينتمي لما يسمى بالدعاية السوداء.

حادثة أخرى يتلاعب في قصها وحيد حامد لنفس أغراضه السابقة وهي قصة إمام مسجد الجامع الصغير الذي رأى الأولاد يصلون جماعة فخشى من استفادهم لصهرج الماء في وضوئهم فصرههم من المسجد بالقوة فما كان من الطفل حسن البنا إلا أن كتب له خطاباً يحمل الآية الكريمة: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (52)﴾ (الأعمام) ليس أكثر من ذلك، وعرف الشيخ كاتبها فعاتب والده في أمر الرسالة ثم عامل الأولاد بعدها معاملة حسنة ولطيفة، لكنه اشترط على الأولاد معاونته في ملء صهرج المياه وفي جمع التبرعات للمسجد.

لكن كيف حرّف وحيد حامد هذه القصة؟

لقد جعل الطفل حسن البنا يشترك في مشاحنة كلامية مع الشيخ في المسجد، ما دفع الأخير لأن يقول له معاتباً: إنه كان أولى بوالدك أن يعلمك كيف تحترم من هم أكبر منك مقاماً وسناً وعلماً، لكن الطفل في إنكار: والدي علمني أن أقول الحق مهما كان الأمر، وهنا يربط المؤلف قول الحق عند الإخوان بما هو عند معلمهم من عدم إكبار الناس أو إنزالهم منازلهم أو احترام الأكبر سناً أو علماً أو مقاماً.

وهنا نعرف غرض وحيد حامد من تحريف هذه القصة أيضاً وتشويهها، وهو الأمر الذي أعد له في بداية الحلقة بإبراز طالب أصول الدين من جماعة الإخوان أثناء التحقيق معه وهو يتجاهل وكيل النيابة اللطيف المهذب الصبور معه لأقصى درجة، بينما الطالب يواصل قراءة القرآن في تحدّ مستفز ومنكر لمقام وكيل النيابة.

وهكذا نتعرف على أغراض حامد في تشويه قصص مذكرات الدعوة والداعية من خلال المشاهد التي يسوقها معها في الحلقة؛ بحيث يضغط نحو معانٍ معينة ظن أنها تهيل التراب على وجه الجماعة.

في نفس القصة يطلب إمام المسجد الصغير من حسن البنا أن يعاونه في جمع التبرعات لأجل شراء حُصْر للمسجد فيعاونه مع زملائه، لكن حامد لأغراضه يجعل حسن البنا الطفل هو من يقترح جمع التبرعات للمسجد وينطلق نحو الناس يجمع الأموال الكثيرة، ما يدفع الشيخ زهران أن يعاتب الطفل في ذلك لأن أحدًا لا يمكن أن يحاسبه على ما يجمع أو ما يفعل به.

(الجزء الأخير اختلاق وافتراء تام من المؤلف)،

وهنا لمز واضح وصريح ليس في شخص الشيخ حسن البنا وحده، ولكن في الجماعة ككل من بعد على أساس أن لا أحد يحاسبها فيما تجمع من أموال الناس - على حسب ادعاء وحيد حامد في تحريفاته وتشويهه للتاريخ.
إتني أتساءل:

إلى أي حد يسهل تزوير التاريخ؟ وهل يسهل على الضمائر الافتراء على الحقيقة والقدرة على تشويهها بهذه الدرجة لغرض أو مرض؟ أظن أن وحيد حامد لا يهبل التراب على وجه الجماعة، ولكن هذا المسلسل هو ما سيهبل التراب طويلاً على الكثيرين.

الحلقة السادسة

في الحلقة السادسة- وتماشياً مع التكتيك الذي وصفناه في ختام التعليق على الحقبة الثالثة والذي يتبعه وحيد حامد - تظهر لنا شخصية الشيخ زهران معلم الطفل حسن البنا في الكتاب، وهي شخصية حقيقية في الأساس؛ لكن معظم ما جرى أو أُجري على لسانه من اختلاق السيد وحيد بغرض سب وانتقاص الشيخ البنا.

في المذكرات يعلمنا الشيخ البنا أنه كتب رسالة لشيخه ينصحه فيها بعدم الصلاة بين السواري؛ لأن هذا ليس من السنة، وبما أنه عالم القرية فعليه الأخذ بتمام السنة كي لا يكون فتنة للعوام أو يستخفون بالسنة، ويذكر الشيخ البنا أن الشيخ زهران استدعاه وطلب منه فتح المراجع، واقتنع برأي الرسالة، وأبدى إعجابه بمرسلها وهذا كل ما ذكر؛

لكن في المسلسل يوبّخ الشيخ مرسل الرسالة ويصفه بغلظة القلب والغرور.

وماذا نتوقع من وحيد؛ أن يذكر مدحاً قيل، وإعجاباً ذكر، أم يختلق أوساخاً يقذف بها وجه الشيخ؟!.

ومرة أخرى يختلق وحيد مشهداً آخر للشيخ زهران، وهو يوجّه اتهاماً صريحاً للأستاذ البنا فور انكشاف أمر جمعية منع المحرمات، إذ يقول له: انظر ماذا فعلت بنفسك وبزملائك؟ وماذا جنوا من ورائك..

(احذر يا شعب مصر)، ثم يقول له "يا حسن أنت عايز تهدي الناس، ولا عايز تتسيد عليهم، وتجعلهم يأترون بأمرك".

وهكذا يتحوّل كل مشهد إلى دليل إدانة لنوايا الطفل ونذارة سوء من المستقبل المقبل،

وهكذا لا يمل وحيد حامد من تكرار هذه المشاهد، وإن أصاب الناس بالضجر والملل من كثرة المبالغة وثقل التكرار؛ لأن لوحيد رسالة أخرى يود أن يراها المعني بالأمر، فيعلم أنه أدّى دوره المطلوب باقتدار.

بنفس الطريقة يتحوّل مشهد الحوار مع ناظر مدرسة المعلمين إلى تطاول وعدم احترام للأكبر مقاماً ونداً وتحدياً مبالغاً في شخصية البنا.

أذكر وحيد حامد بقول الله تعالى (وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ) (آل عمران: من الآية 159)،

والبنا يتخلّق بأخلاق القرآن ولأجل ذلك نجح.

لا تخلو مشاهد وحيد كما سبق وأن ذكرنا من فصول كوميدية وإن لم يقصدها..

من ذلك مشهد تحقيق وكيل النيابة مع طالب الطب الإخواني إذ يعرض على الطالب مشروب الشاي، ويقدمه له، ثم يمدح الشاب نوعية الشاي في نيابة أمن الدولة، وأنها أفضل من الشاي الذي قدّم إليه في مقر أمن الدولة، ثم يذكر أن أمن الدولة يعذبونهم بهذا الشاي..

فهمت يا شعب مصر؛ عندما يقول لك بعض الإخوان أن فلاناً عذب في أمن الدولة، فذلك معناه أنه شرب الشاي هناك معززاً مكرماً جالساً أمام مكتب الضابط وراضعاً قدماً على أخرى، مستمتعاً بالأمن والأمان، ويتمنى ألا يعود لأهله من حفاوة ما يرى، أو كما قال أحد ضباط أمن الدولة لأحد الطلبة المعتقلين في حلقة سابقة "ابتسم.. أنت في أمن الدولة".

مرة أخرى لا تملك نفسك أن تبتسم سخرية تجاه مشاهد تحقيق وكيل النيابة مع طلاب الإخوان؛ فأحدهم لا يعرف شيئاً عن نشأة الشيخ حسن

البنا، وعندما يتعجب أشرف بك من ذلك يخبره الطالب أن معظم طلبة الإخوان لا يعرفون حسن البنا أصلاً!!!

لا أعرف إذا كانت السذاجة قد تصل بمؤلف دراما إلى هذه الدرجة أم أن هناك صوراً معينة عن شباب الإخوان وقياداتهم فرضت عليه؟!!

ومرة أخرى يعود بنا المؤلف إلى قصة العمالة والتخوين والعمل لصالح قوى خارجية؛ ولكن وكيل النيابة الشاب الذي يظهره المؤلف - أحياناً وبوضوح - محترماً للشعائر ولآيات القرآن، إذ يتلوها أحد طلبة الإخوان ليستفزه، يلقي علينا تفسيراً عجيباً وإضافياً يوحى بجذور ماركسية كامنة في عقلة أو في عقل المؤلف.

إذ يقول لفتاته مفسراً لها أسباب النشاط الديني في مصر أن دولاً كبرى مصطلحتها تقع في تنشيط التيار الديني في مصر؛ لأنه يشغل الناس عن قضايا الوطن..

الله أكبر.. ظهر الحق.. أمريكا تنصر الإخوان ضد نظام مبارك.. ولماذا؟..

لأن الدين يشغل الناس عن قضايا الوطن.. مدد يا سيدي ماركس.. حسناً..

فلتقاطعوا أمريكا وتقطعوا رجليها عن مصر، وسيجف جسد جماعة الإخوان كعود الذرة عند الحصاد.

سؤال آخر للسيد وحيد حامد، هل بحثت عن قضية واحدة في تاريخ جماعة الإخوان ثبت فيها التمويل الخارجي للجماعة، لتبثها من خلال هذا المسلسل؟

بالتأكيد أن هذا لم يفتك وإن فاتك فما كان ليفوت على الأجهزة الأمنية العملاقة في مصر..

فلماذا قذف الأبرياء بالتهمة التي لم يقم عليها دليل؟

إن الإخوان المسلمين فصيل وطني عملاق حمل السلاح ضد قواعد القوات الإنجليزية في القاهرة وسائر المدن حتى انسحبوا تحت ضغط المقاومة إلى مدن القناة، ثم لم يزل يقدم عشرات الشهداء على ضفة القناة حتى جلوا عن مصر، ومن قبل قدم مئات الشهداء في قضية كل العرب على أرض فلسطين.

إن الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان كان يخرج مشاركاً في مظاهرات ثورة 1919م، مردداً مع الصارخين في مشهد لم يكتبه وحيد حامد:

حب الأوطان من الإيمان وروح الله تناديننا

إن لم يجمعنا الاستقلال ففي الفردوس تلاقينا

وهو نفسه من كتب شعراً في وفاة الزعيم الوطني محمد فريد، قائلاً في مطلعها:

أفريدُ نمُ بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ أَفريدُ لَا تَجْرَعُ عَلَى الْأَوْطَانِ

وكتب أيضاً في لجنة "مننر" التي قاطعها الشعب المصري:

ا "مننر" ارجع ثم سل وقدأ بباريس أقام وارجع لقومك قل لهم لا تخدعهم يا لنام

وحسن البنا الطالب بالمعلمين هو من نظم إضراباً في المدرسة يوم ذكرى الحماية البريطانية، بالرغم من وعيد ناظر المدرسة؛

لكنه مشهد آخر تجاهله وحيد حامد تماماً مثل المشهد التالي الذي سأنتقله بالنص الذي كتبه الشيخ حسن البنا،

"ولست أنسى يوم أضرب الطلاب في يوم من الأيام الثائرة، واجتمعت اللجنة في سكننا في منزل الحاجة خضرة شعيرة بدمنهو، ودهم البوليس المجتمعين واقتحم البيت يسأل عنهم،

فكان جوابها: أنهم خرجوا منذ الصباح الباكر، ولم يعودوا، وأنها مشغولة كما رآها "بتنقية البقلة"؛

ولكن هذا الجواب غير الصادق لم يرقني فخرجت إلى الضابطات السائل وصارحته بالأمر - وكان موقف الحاجة خضرة حرجاً للغاية - وناقشته بحماس، وقلت له: إن واجبه الوطني يفرض عليه أن يكون معنا، لا أن يعطل عملنا، ويقبض علينا،

ولا أدري كيف كانت النتيجة أنه استجاب لهذا القول فعلاً، فخرج وصرف عساكره وانصرف معهم بعد أن طمأننا، ورجعت إلى الزملاء المختبئين وأنا أقول لهم هذه بركة الصدق، ولا بد أن نكون صادقين ونتحمل تبعه عملنا، ولا لزوم للكذب أبداً مهما كانت الأحوال".

فهل يمكن لفصيل مصري هذا تاريخه وتاريخ مؤسسه أن يعمل لصالح أهداف أمريكية؟!؛

هل تصدق يا وحيد أن الناس يصدقونك؟!..

لكن وحيد يسير وراء هدف لذلك يعود في نفس الحلقة كعادته في هذا المسلسل ليؤكد ما ذهب إليه.. فمحب الدين الخطيب في حوار المؤثر مع الشاب حسن البنا يرشح الملك عبد العزيز بن سعود ليكون خليفة للمسلمين بعد سقوط الخلافة العثمانية مع استحسان من الشيخ البنا وهو يردد "ملك الأرض المباركة".

وبالطبع فإن هذا حديث مكذوب من بنات أفكار مؤلف المسلسل الذي اعتاد أن يخدم باختلافاته هدفه الرئيسي في كل حلقة؟

نكتشف بعد ذلك مع تواصل التحقيقات التي يقوم بها وكيل النيابة بطل المسلسل أن معظم الشباب ينضم إلى الجماعة إما بسبب الفقر أو بسبب الرغبة في التوظيف طرف إحدى مؤسسات الإخوان

(طيب.. ها هي قد أمتت وصودرت.. والتهديد يصير قائماً لأي مؤسسة يظهر انتماؤها للجماعة.. فهل تلاشى الشباب من حول الجماعة؟!).. وهكذا فإن للمسلسل رسالة للمتفرجين، مفادها أن الذين ينضمون إلى الجماعة لا يجدون فيها مثلاً دعوية أو نهجاً دينياً أو أفكاراً سياسية أو نهجاً إصلاحياً اجتماعياً أو مشروع نهضة وطني؛ بل فقط هما الحاجة والجوع اللذان يحركان الجموع نحو الجماعة (خلاص.. تاهت ولقيتموها يا حكومة.. أشبعوا الناس.. وأنعشوهم.. تفنى الجماعة عن بكرة أبيها.. على مسئولية وحيد حامد).. وهكذا تحول المسلسل إلى التسطيح الشديد لظاهرة الجماعة التي هي ليست ظاهرة محلية فقط بل ظاهرة عالمية تنشط حتى في الأقطار المزدهرة اقتصادياً، وحيث لا يوجد هناك وارد للإخوان من "إسطنبول عتتر"، كما تقول نظرية حامد، ثم تكون السخرية الجامحة هنا في كون الحكومة هي من تمتلك الإمكانيات المادية الهائلة وفرص التوظيف والترقي وتقسيم الغنائم، ثم مع ذلك لا يقبل الشباب على دخول الحزب الوطني ويفعلون الأفاعيل بصور رموز الحزب الوطني على الـ (فيس بوك).

وكيل النيابة يسمي شباب الإخوان بالانتهازية، وهو يفسر لوالد تيمور لماذا دخل ابنه تيمور جماعة الإخوان؟..

منذ متى يعرض الانتهازيون أنفسهم للمطاردة والاعتقال من جهاز عتي كأمن الدولة..

ألم يكن أولى بالانتهازي الصغير أن يجري وراء (عز) الحكومة و(جمال) النعم عند وليها، وحيث يحظى بالأمن ويكون في حصن حصين.

الحلقات من 15 إلى 17

الرؤية الأمنية في مسلسل الجماعة

في الحلقة (15) يرى عميد الكلية الطلاب يقيمون الصلاة في الساحة لعدم وجود مسجد، فيطلب إنشاء مسجد للطلبة،

وهنا يظهر وحيد حامد المنطق الأمني على لسان من حول العميد؛ تخطئة لقراره هذا،

فالمنطق الأمني لا يتردد في الوقوف أمام سلوك أو مظهر إسلامي إذا فسره على أنه فرصة لجماعة الإخوان المسلمين دون النظر إلى حقوق الإنسان فيه أو الواجب الشرعي الذي يحمله، فالمساجد تُغلق بعد الصلاة بأمر الأمن، وحفلات الزفاف في المساجد تمنع أو تقيد تقييداً شديداً، والاعتكاف يُمنع في عموم المساجد، وخطباء المساجد يبدلون باستمرار أو يُمنعون حسب تقييمهم الأمني، والخطبة تقيد أو ترفض، والصلاة في الخلاء ينظمها الأمن، والمراكز والجمعيات الإسلامية تؤمم لصالح رجال قريبيين من الأمن، والمدارس الإسلامية تُغلق أو تُهدم كما حدث أخيراً في الإسكندرية، ويرفع المسجد من تصميم المدارس الحديثة التي تقيمها هيئة الأبنية التعليمية، فما عدت ترى مسجداً في أي بناء مدرسي حديث.

وبناءً على ذلك يجري الحوار في الحلقة على أن تخصيص مسجد للطلاب سيكون سبباً للفتنة.. هكذا!!

ويُظهر المؤلف ضعف حجة العميد؛ لأنه يُحار جواباً فيقول: لنتنظر ثم نرى،

وهكذا تكون المساجد مصدراً للخطر إذا دخلها الإخوان المسلمون،

هكذا يعبت وحيد بعواطف الناس لينحاز بها ضد عقولهم.

مع أن دعوة الإخوان المسلمين قامت في أساسها لتجديد شباب الدين وفتوة الإسلام في نفوس أبنائه، وإحياء العبادة الصحيحة، ونشر العقيدة السليمة، وإعادة غراس العزة في نفوس المسلمين؛ تمهيداً لإحياء حضارتهم، والإخوان يرحبون بكل حكومة تقوم بذلك، ويدعمونها ولا يطلبون الأمر لأنفسهم.

يقول الأستاذ البنا:

"قد يكون مفهوماً أن يقتنع المصلحون الإسلاميون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجدوا من أهل التنفيذ إصغاء لأوامر الله، وتنفيذاً لأحكامه، وإيصلاً لآياته، ولأحاديث نبيه، وأما الحال كما نرى: التشريع الإسلامي في وادٍ والتشريع الفعلي في وادٍ آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدي الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف، هذا كلام واضح لم تأت به

من عند أنفسنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف، وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل العبء وأداء هذه الأمانة والحكم بمنهاج إسلامي قرآني؛ فهم جنوده وأنصاره وأعدائه، وإن لم يجدوا فالحكم من منهاجهم، وسيعملون لاستخلاصه من أيدي كل حكومة لا تنفذ أوامر الله".

وهكذا يرى الأستاذ البنا أن الحكم الصالح أصل من أصول الإسلام حمايةً لحقوق الناس، وحفظاً لحياتهم، وصيانةً لدينهم، وطاعةً لله، واستجابةً لما أنزل في الكتاب، وسيقفون مع كل حكومة تعمل على هذا الأساس، ولا يجعلون الحكم حكراً على أنفسهم، ولذلك فإن الذين يحمّلون على هذه الجماعة ويتهمونها بإثارة الفتن؛ هم الكارهون لزوال سطوة الثقافة الغربية لصالح ثقافة تسود الحياة الإنسانية تعتمد على مبادئ الإسلام، ولأن كل ما أنزل الله في كتابه حقٌّ له كالصلاة والصيام، هذا هو منطلق الشيخ حسن البنا الفكري، ولم يكن منطلقه الانفراد بالسياسة أو الحكم أو جاهاً شخصياً لنفسه، كما جاءت بهذه التهمة خاتمة هذه الحلقة.

النقطة الثانية التي تعرضت لها هذه الحلقة هي نقطة استخدام القوة عند الإخوان، وإظهار اندفاع الشيخ البنا نحوها، حتى دون مشورة من إخوانه (صناعة البنادق الخشب للتدريب، ومفاجأة الإخوان بها في مقرهم)،

والحقيقة أن الشيخ حسن البنا كان واضحاً في البداية من موضوع القوة، فهو يرى أنها صفة يجب أن تكون لازمة في مجتمع المسلمين دفاعاً عن دينهم وأوطانهم، وهي قوة عامة لا يقصد بها تحديداً القوة العسكرية، وقد انتفعت الأمة المصرية بقوة جماعة الإخوان المسلمين مرات عدة، أولها عندما انطلق فدائيوها ضد الجنود الإنجليز حتى ألجئهم إلى مدن القناة، وعندما حاصروهم في معسكرات القناة، وقاتلهم قتالاً شديداً حتى تم الجلاء، وعندما خرجت المسيرة الضخمة من نصف مليون رجل (وهي مظهر من مظاهر القوة التي قصدها الشيخ البنا رحمه الله)، وذلك من أجل نصرة قضية فلسطين ونجدتها، فأثرت تلك المسيرة في إيقاظ الوعي وتنبيه الحكومات، وأثمرت مشاركة الفدائيين المصريين في مقاومة العصابات الصهيونية ثم في اتخاذ قرار الحرب ضد الكيان الصهيوني.

وهو نفس أسلوب القوة التي استخدمها الإخوان المسلمون في مناصرة قضية الحرية والديمقراطية بتلك المسيرة الحاشدة التي انحازت لموقف محمد نجيب الراغب في عودة الحياة الديمقراطية، وعودة الجيش للثكنات؛ ما اضطر عبد الناصر إلى التراجع المؤقت عن صدامه مع نجيب، ثم تلك القوة في الشباب التي سمت بالمجتمع المصري من الهوان الذي أرقه كثيراً باحتكار فئة من أصحاب السوابق الجنائية و"البلطجية" لإدارة وتسيير الانتخابات لصالح من يستأجرهم، حتى اضطرت الحكومة عندئذ أن تلجأ لقوة الشرطة وأمن الدولة للتزوير، والتحكم في انتخابات فاضحة ميلها للفساد، وجنوحها للاستبداد،

هذه هي مظاهر القوة التي آمن بها الإخوان؛ لأجل صالح الأمة، وصحيح دينها، وسلامة مسارها، ولم تعني تلك القوة لهم يوماً أو لمؤسس الجماعة الثورة أو قلب نظام الحكم، يقول الأستاذ البنا بعنوان "الإخوان والقوة والثورة":

"أما القوة فشعار الإسلام في كل نظمته وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادي في وضوح وجلاء:

﴿وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ (الأأنفال: من الآية 60).

والنبي يقول: "المؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف"،

بل إن القوة شعار الإسلام حتى في الدعاء، وهو مظهر الخشوع والمسكنة، وسمع ما كان يدعو به النبي في خاصة نفسه ويعلمه أصحابه ويناجي به ربه: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبَخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ غَلْبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ"، ألا ترى في هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف:

ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدين والقهر؟.. فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قوياً في كل شيء، شعاره القوة في كل شيء؟.. فالإخوان المسلمون لا بد أن يكونوا أقوياء، ولا بد أن يعملوا في قوة.

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكراً وأبعد نظراً من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغفون في أعماقها، ولا يزنون نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ثم يلي ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدها قوة الساعد والسلاح، ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعاني جميعاً، وأنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهي مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان؛ فسيكون مصيرها الفناء والهلاك".

ثم يقول: وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح، وليست هذه المشاكل التي تتعدد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضي الأيام إلا نذيراً من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال".

وهكذا فالقوة المطلوبة في فكر الأستاذ البنا، خدمة لقضايا الإسلام والأمة؛ لكن دون تحولها لتغيير النظام بالقوة أو بإحداث ثورة، وهو ما يحسب للجماعة وليس عليها.

ومن هنا يأتي تَجَنِّي المؤلف على فكر وشخصية الأستاذ حسن البنا؛ حيث يجعل القوة هوساً مرتبطاً بتحقيق مجده الشخصي على حساب جميع القوى السياسية، كما يجري على لسان النحاس باشا في هذه الحلقة، ويجعل ذلك يظهر في زلة لسان لشخصية الشيخ البنا أمام الشيخ الطنطاوي عندما يقول: "جنود للجماعة" فيصحح له الشيخ الطنطاوي: "بل قل جنوداً لله".

مرة أخرى يتجنى المؤلف على شخص وفكر وفقه الشيخ البنا عندما يجعله يطالب وعاظ الإخوان بأن يخاطبوا الناس بما يحبون سماعه لا بما يحب أن يقوله الداعية،

وفي هذا بالقطع تليفك عظيم على فقه الشيخ، ومحاولة لوصمه بالمكر والخداع؛ للوصول إلى أهداف أخرى غير الوعظ والإرشاد؛ فهل هذا التليفك يقوله القائل في رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس:

"وإذا كان الإخوان المسلمون يعتقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام الأصول التي تبنى عليها نهضة الشرق الحديث في كل شأن من شئون الحياة، ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة، ستخرج منها الأمم بتضحيات كبيرة في غير فائدة، فخير للأمم التي تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطريق باتباعها أحكام الإسلام".

فالشيخ البنا هنا لا يجامل الناس بما يحبون أن يسمعه، بل يحدد في وضوح وشجاعة بيان صلاح أحوالهم، ويعارض كل ما يصطدم بأحكام القرآن كما قال،

ولكنه أسلوب التجني على فكر الرجل بالتليفك له بعد أن فشلوا في مواجهة أو تنفيذ الفكر الحقيقي له، فقرروا اختلاق فكر آخر يسهل مهاجمته كذلك؛ للإيحاء للناس بأن الإخوان يكلمونهم بما يحبون ويخفون فكراً آخر،

لكن الحمد لله، ففكر الإخوان في كتب منشورة يقرؤها كل الناس، ومنهم مفكرو الإسلام وعلماء الأزهري، ولم يثبت أبداً أن للإخوان كتباً أو منهجاً سرياً، ووضوح منهج الإخوان وعدم خفائه هو أكبر رد على مثل هذه التليفكات.

الحلقة 16

تليفك يفضحه التاريخ

في الحلقة (16) لا يهدأ وحيد حامد عن تحريك معوله الوهمي؛ ليستمر في محاولات تشويه شخصية الأستاذ حسن البنا بكل ما أوتي من قوة في التخييل والإيهام، لا يفتريه عن ذلك حياءً أو إحساساً بالمبالغة الجائرة تخللت كل أحداث المسلسل، وجميع المواقف التي أبرزت شخصية الشيخ حسن البنا دون أن يخطئ مرة ويعرج على فضيلة من فضائله، أو مأثرة من كريم خصاله ومحاسن أخلاقه التي عمرت بها كتب وشهادات من عاصروه، في المشهد الأول من هذه الحلقة يعطي مسئول المخابرات في مصر تقريراً شفهيّاً لرئيسه يهون فيه من أمر حسن البنا وجماعته؛ لأنه (كما يزعم) لا يطالب باستقلال، ولا يتكلم عن تحرير، وأنه في ذلك مختلف عن كل من سبقوه، فيحذره رئيسه أن رجل الدين أخطر من رجل السياسة؛ لأن أحداً لا يناقشه، فكلماته محل تقديس،

والمشهد هذا برمته تليفك واختلاق آخر من وحيد حامد، سواء شكله أو في مضمونه التاريخي؛ لأن الثابت تاريخياً أن دار الاعتماد البريطاني أرسلت للنحاس باشا في عام 1935م تحذره من مدرس الخط العربي في مدرسة عباس الابتدائية؛ لأنه يمثل خطراً على مصالح البريطانيين (ولم يكن أمر الجماعة قد اشتهر بعد)، وأرسل النحاس باشا من يتعقب أخبار هذا المدرس؛ لكن لتواضع شخصه وبساطة مظهره، لم يجدوا فيه ما حذروا منه من قبل البريطانيين.

إذن لماذا يضع وحيد هذا المشهد المخالف للحقيقة، وبوعي البريطانيين بحقيقة خطورة هذه الدعوة والجماعة على مصالحهم؟ الإجابة تكمن في رغبة وحيد في أن يجري على ألسنة شخصياته التاريخية (الملفقة) حواراً يزعم فيه بأن الجماعة لا تهتم بتحرير مصر أو بقضية استقلالها، ثم يلبس هذا الكلام المغلوط ثوب الشهادة التاريخية بوضعه هكذا في مثل هذا المشهد، خداعاً للمشاهدين بأن وراءه وثائق تاريخية.

أمر آخر يكذب حوارات وحيد في هذا الصدد التي تبغي أن تتال من وطنية الجماعة ومؤسسها التي لم يجاهد أحد في مصر ضد الإنجليز أو يضحى في ذلك مثلها؛ فالشيخ حسن البنا وفي رسالة من أوائل رسائله، ومن أ بكر الوثائق التي تُظهر فكره، وهي رسالة دعوتنا التي كتبها عام 1932م يقول مخاطباً أبناء جماعته تحت عنوان وطنية الحرية والعزة:

"وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير الوطن من الغاصبين، وتوفير استقلاله، وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضاً، وقد شدّد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: من الآية 8)، ويقول: ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ (النساء: من الآية 141).

وهكذا فإن هاجس التحرر والاستقلال وإحداث النهضة لبني الأمة كان ملازماً للدعوة منذ بواكيرها الأولى، ولعل هذا هو سبب أن تنبه لها المستعمر من قبل أبناء جلدتها لكون المستعمر هدفاً غير مستتر للحركات الوطنية الصحيحة،

ولكن وحيد يريد أن يخدم صورة أخرى ملفقة لم يكل في تكرارها ولم يمل من تعديد مشاهدتها، وهي كون جماعة الإخوان جماعة وهابية تدعمها الحكومة السعودية، ونشأت تحت تأثير جماعة سرية مخابراتية سعودية تشكلت (في وهم أو إيهام وحيد) من الشيخ رشيد رضا ومحب الدين الخطيب بهدف توجيه الشيخ حسن البنا ودعمه مالياً (كذب بواج)،

ولأجل ذلك يُنشئ المؤلف مشهداً آخر في هذه الحلقة؛ حيث يذهب الشيخ حسن البنا إلى حيث نرى دائماً الشيخ محب الدين الخطيب والشيخ رشيد رضا مجتمعين في انتظاره (وكأنهما على موعدٍ حيث لا نرى أحدهما منفرداً)، وهناك يخبرهما الشيخ حسن البنا برغبته في الحج مع 100 من الإخوان، وعندها يبارك الشيخ رشيد الأمر ويعدّه بأنه سيدعمه بل وكل من معه.

وطبعاً لا يمل المؤلف من تكرار صداقة الشيخ رشيد للملك عبد العزيز ملك السعودية، وقد سبق أن تعرضت لهذا الأمر في حلقة سابقة، وكشفت مدى وهمية قصة التمويل السعودي عن طريق الشيخ رشيد الذي توفي عام 1935م، وقبل اكتشاف البترول.

أما المفاجأة التي أدخرها لوحد حامد، والتي تكشف اعتماده المفرط على التلفيق والكذب على التاريخ والشخصيات التاريخية التي يقدمها على مدار حلقات المسلسل، فهو أنني كما ذكرت سابقاً أن الشيخ رشيد رضا توفي عام 1935م، وأن أول حجة خرج فيها الشيخ حسن البنا كانت عام 1936م..

فكيف التقى الإمام البنا بالشيخ رشيد بعد وفاته بعام، وكيف وعده بالتمويل والدعم لرحلة الحج له ولمن معه والرجل كان في قبره.. إنه محض التلفيق والرغبة في تشويه رجل وجماعة قدمت لوطنها وأمتها ما أثار حقد الحاقدين وفضح كذب المدعين. لم تنتج شخصية إخوانية في هذا المسلسل من الانتقاص والتشويه والتضعيف على يد هذا المؤلف الذي تمكن من قلم وجهاز إعلام يشط في خصومته مع جماعة الإخوان المسلمين.

فها هو يظهر داعية الإخوان من الطلاب يلقنه الإمام البنا ماذا يقول للطلاب عن الجماعة، فإذا ناقشوه فرّ، والآخر يدعوه للحوار (تعال نتحاور يا أخي)..

بالله عليك يا وحيد من ملاً الدنيا بصخب الدعوة للحوار، ومن يسد أذنيه عنها؟

من يقول لا نجلس مع الإخوان ولا نتحاور معهم؟

وكيف يعقل أن طالباً داعيةً لفكرته في كلية يهرب من حوار ويعجز عن إجابة؟

ليتني أدري ما ظن وحيد بعقلية جمهوره وما تقديره لهم؟

أما ثالثة الأثافي في ظن المؤلف بنفسه قدرة على تغيير قناعات الناس وتسويد بياض الحقائق الناصع، فكانت هذه السقطة الشنيعة في السخرية والإساءة لواحد من أشهر دعاة مصر والعالم العربي والإسلامي الآن..

الشيخ عاطف كما أظهره المسلسل داعيةً شاباً يرتدي البذلة وله وجه بشوش لكنه لا يتورع عن الحملة، وترديد النظر في الفتيات الجميلات المرتادات لمبنى القناة التي يُسجل فيها..

يعيش حالة من النجومية، ويتهبأ للحلقة في غرفته مع ماكبيره كنجم سينمائي، لا يبدو عليه سعة علم بل يقرأ ما يُكتب له على مونيتر خاص به ثم يقوم بتمثيله.

وهو لا يحترم عقده مع القناة؛ لأن الإعلانات زادت وهو يريد عشرة أضعاف العقد، ولا ينزعج كثيراً عندما يقول له رئيس القناة: "نحن الذين صنعناك وسنأتي بأحد طلاب معهد التمثيل ليقوم بما تقوم به"..

قد يقول المؤلف إنما قصدتُ رمزاً للدعاة الشباب الجدد ولم أقصد عمراً أو زيدا بالتحديد..
أقول له: حتى لو صدقتَ فهل الدعاة الشباب الجدد يحملون في النساء، ويطلقون عبارات الغزل؟!
وهل هم جهلاء وممثلون يؤدون فقط ما يقرءونه على المونيتور الخاص بهم كما وصفهم رئيس القناة؟!
وهل هم جشعون طماعون يعيشون حالة النجومية ويتكلمون عن أنفسهم بافتخار واعتزاز، وعن حجم الإعلانات في برامجهم..
ثم لماذا تقليد الدكتور عمرو خالد في الصوت والنبوة والجمال المعتادة، بل في الشارب والأنف وملامح الوجه وحركات اليدين؟!
لماذا التلبيس والتخليط في أذهان الناس؟!
هل بلغ الغرور بالقائمين على أمر هذا المسلسل درجة أنهم أصبحوا مقتنعين بأنهم قادرين على تحطيم أي رمز وتشويهه أم أنه الاستخفاف بعقلية المشاهد المصري لهذه الدرجة?!
باعتقالية المشاهد المصري لهذه الدرجة?!
باعتقالية المشاهد المصري لهذه الدرجة?!

تختتم الحلقة بمشهد بين وكيل النيابة ووالد تيمور - الطالب الذي اعترف لأبيه أنه دخل الإخوان من باب الانتهازية-

(يبدو أن الإخوان وضعوا أيديهم على مقدرات الثروة ومقاليده الحكم في مصر ونحن لا ندرى)؛

في هذا المشهد يشبه وكيل النيابة أثرياء الإخوان بأثرياء الحزب الوطني في أنهم دوائر مغلقة، فيها يصاهر المال المال وتصاهر الثروة الثروة (بالمناسبة)، أين مواقع أثرياء الإخوان على طريق مصر إسكندرية الصحراوي وعلى خليج السويس والمدن الجديدة والساحل الشمالي وأراضي أسوان وخليج نعمة وشرم وغيرها أم أن الحكومة تحترم يقينها بأنهم تنظيم سري فتحترم سرية ممتلكاتهم وتخفيها عن المحكمة العسكرية التي تحاكمهم بتهمة التمويل وغسيل الأموال؟).

المهم في الحوار هو النتيجة التي يصل إليها لختام الحلقة عندما يسأل وكيل النيابة والد تيمور، وما الحل؟

فيجيبه في تأثر: "كان هناك زمان حاجة اسمها طبقة متوسطة لكن هؤلاء وهؤلاء طحنوها" يقصد أثرياء الحكومة وأثرياء الإخوان..

يا سلام!! الإخوان هم سبب ضياع الطبقة المتوسطة في مصر!!!

آخر فكاهاات وحيد حامد، فهم من أفسدوا الحكومة واستغلوا الخصخصة واشتروا القطاع العام، وباعوا البنوك والشركات الراجعة للأجانب، وهم من اقترضوا المليارات وساعدوا على إقراضها ثم تهريب المقترضين إلى خارج البلاد، وهم من باعوا ثروات البلد من البترول والغاز بأسعار شبه مجانية لأعداء مصر، فبددوا تلك الثروات وهم من فرضوا الإتاوات أو الشراكة على كل مشروع يريد أن ينجح على أرض مصر، وهم من سمحوا بالتلاعب بأموال الصناديق الخاصة لصالح فئة مميزة من كبار الموظفين ليحرموا مواطني مصر الحقيقيين من أموال تُقدر بأكثر من أربعة أضعاف الميزانية، وهم من بددوا أموال مصر في مشروعات فاشلة كتوشكى، وهم من أمم شركات توظيف الأموال الناجحة بدلاً من مراقبتها فحرموا عشرات الآلاف من الأسر المصرية من مصدر إنعاش ورخاء لها، وهم من فتحو باب الرشوة والفساد لكبار الموظفين دون حساب أو رادع، وقريباً تزودنا قضية مرسيديس بأخبار جديدة إن لم تترفق السياسة الأمريكية بصحة مصر وعقلها?!

الظريف أن الحكومة وأجهزتها الإعلامية والأمنية ارتضت أن يلطخ وحيد الإخوان عن طريق مشابهتهم بتلك الحكومة وكأن تشويه الإخوان أصبح عندهم هدفاً يستحق مثل هذه التضحيات الكبيرة!!

وكأنني أرى "بلطجياً" في الحارة يسب نفسه، في مقابل أن يسب كل أهل الحارة.. ولكن حتى هذه الحيلة لن يصدقها الناس.

الحلقة السابعة عشرة

رؤية وحيد.. "الدين مفسد"

تأتي الحلقة السابعة عشرة لتتهم الشيخ حسن البنا بالتزلف إلى ملوك مصر دون بينة أو دليل سوى مقال يرثي وفاة الملك فؤاد، وقد جاء الجزء المنقول في شكل أسئلة من نوعية: من للمصريين؟ من للفقراء؟ دون أي تزييد في شخص الملك الراحل رغم أن الموقف كان من الممكن أن يتحمل المجاملة والتلطيف، وهو ما يحسب للجماعة ولا يفسر غضبة النحاس المزعومة في هذه الحلقة.

الوسيلة الأخرى لاتهام الجماعة بالمداينة كانت إظهار حفاوة الإخوان في استقبال الملك الجديد العائد من أوروبا، وإن كان المسلسل قد أشار إلى الهدف من ذلك وهو تقريب الملك الجديد من دينه وأمتة وإحاطته بدلاً من البطانات الفاسدة وتغلغل الإنجليز في القصر؛ لكن يبقى ما يعرضه المسلسل بعد ذلك؛ حيث لا يعطي سوى كلام إنشائي ملفق على لسان شخصية النحاس باشا وغيره دون أن يظهر أي أحداث أو مواقف يأخذها على جماعة الإخوان بهذا الصدد.

يأتي بعد ذلك في هذه الحلقة التهمة التقليدية والمحبية لدى خصوم الإخوان في مصر، وهي أن الجماعة الدينية لا يجب أن تتشغل بالسياسة؛ لأنها تُعرض الإسلام للنقد والانتقاص!!.

أولاً: سأعرض رد الأستاذ البنا على هذه الجزئية؛ لأنها تهمة قديمة منذ بواكير الجماعة، وقد رد عليها الشيخ رحمه الله في حينها، ففي رسالة "إلى أي شيء ندعو الناس"، يقول رحمه الله:

"ويقول قوم آخرون إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم سياسية ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى، ولا ندري إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنايز بالألقاب، وتترك يقيناً يؤيده الواقع في سبيل ظن توحيه الشكوك، يا قومنا: إننا ننادىكم والقرآن في يميننا والسنة في شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام، فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسياً فنحن أعرق الناس والحمد لله في السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم، فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات".

وقد نقل الأستاذ عبد البديع صقر عن الأستاذ حسن البنا قوله في إحدى الخطب:

"لقد نجح المستعمرون في تثبيت الفصل بين الدين والدنيا؛ وهو أمر إذا صحَّ في دينهم، فلا يصح في ديننا فلماذا يكون رجل الدين بعيداً عن السياسة، ورجل السياسة بعيداً عن الدين؟!

ثم ما هي السياسة؟ أليست هي التعليم، والتربية، وتوزيع الأرزاق، وتوفير الأمن، والعدل للأمة في الداخل والخارج؟

وإذا كانت الوزارات تمثل السياسة فقد نجد اختصاص ست وزارات داخل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ (النحل: من الآية 90).

ثم يجري وحيد حامد على لسان شخصية النحاس قوله بأن الذي يعارض رأياً لرجل دين سيكون معارضاً لله، مبرراً قناعته بإبعاد الدين عن السياسة،

وهذه قضية أصبحت مكررةً ومموجةً، فكأنهم يقولون إن الدين لا يصلح للحياة، ولا يجب خروجه من المسجد، وهذا قولٌ فيه بهتان كبير وإعراض عن كثير من أحكام الإسلام وتعاليمه التي نظمت شئون الحياة كالزواج والميراث وأحكام الجهاد وتحريم الربا والخمر وإرشاء الحكام والتقرب من الظالمين وموالاته أعداء الدين ومعاملة أهل الكتاب داخل الأمة وخارجها ومعاملة الدول المحاربة وغير المحاربة ومعاقبة المعتدين على حرمت الناس وأموالهم، فلا يقول بهذا الافتراء على دين الإسلام سوى من يجهل شريعته.

وكثير من أصحاب هذه الدعوى العلمانية متأثرون بما ذهب إليه الفكر الغربي من ضرورة فصل الدين عن الدولة؛ لأن قداسة رجل الدين في شخصه وأقواله تمنع معارضته سياسياً،

وهنا يقع الخلط والالتباس فلا يوجد في الإسلام رجال دين، ولا توجد في الإسلام قداسة أو عصمة لأحد، ففي المسيحية يكون ما يتكلم به بابا الكنيسة كلاماً لله لا يجوز رده، وشخص البطريرك الأكبر يكون معصوماً بالضرورة في دينهم، وهذا لا يقع في الإسلام؛ فالقداسة لا تقع إلا على النص المنزل "القرآن" وعلى ما ثبت صحته من الحديث الشريف وكل شخص يتكلم بعد ذلك يؤخذ من كلامه ويرد، ولا عصمة لأحد في الإسلام حاكماً أم محكوماً، ولقد عورض أبو بكر وعورض عمر، بل لقد عورض رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الخندق في قرارٍ اتخذته فامتنع عنه بعد أن فاوض قبيلة غطفان عليه، وعورض على طريقته في توزيع الغنائم عقب هوازن فرداً لطيفاً، ولم يُخطئ من اعترض عليه؛ فأبي وهم يريدوننا أن نفتنع به، عن خطورة المرجعية الإسلامية لنظام الحكم، وأن الإسلام يفسد السياسة، وحاشا لله أن يكون قد أنزل علينا مفسداً أو أن يكون من تفوه بذلك أحد علماء الدين كما أظهر المسلسل، بل إنني أذهب للقول اليقيني بأن تدخل تعاليم الإسلام في الحكم ستجعل محاسبة الناس لحكامهم أشد قسوةً ووعياً وشجاعة، ورحم الله علماء ألهبوا نفوس السلاطين بمواعظهم فماردوهم وما قالوا لهم لا شأن لكم بالسياسة.

سيقول بعضهم ولكن لن يكون سواءً في أعين الناس من يتكلم بآيات القرآن ومن لا يتكلم به، وهذا منطوق غريب فالإسلام لا يحكر الكلام عنه أو به على فئة بعينها، فكل إنسان يستطيع أن يقوي حجته بآيات القرآن أو بحديث نبوي، ولا يمنعه أحد، ولا يحكر الحديث بالدين على أحد، ولا يوجد رجال دين في الإسلام بل علماء يبينون الأحكام إذا استفتوا.

لكن هذه المقولة بعدم الاستواء في أعين الناس ليست المشكلة؛ ولكن المشكلة تقع فيمن يرفض أن تدخل تعاليم الإسلام مجال الحكم والسياسة وإدارة أحوال الناس لكرهيتهم أصلاً للدين أو لجهلهم به، وهذه ليست مشكلة الإخوان، أما الحاكم في الإسلام فلا يشترط فيه شروطاً دينية سوى ما يتوجب في أي إنسان مسلم عادي لا يخرج عن تعاليم القرآن وأركان الإسلام، وهنا تقع المشكلة؛ كراهية الإسلام أو الجهل به، ومن الجهل به اليقين في منهج الغرب وإثارة أتباعه وتفضيله على الشريعة الإسلامية التي تحظر الانغماس في الملذات الحرام وانتهاك الأعراض وتصد عن نشر الرذيلة وإغواء الناس.

ويستمر المسلسل في إطلاق الأحكام ضد النهج الشرعي للإخوان المسلمين، فيجري على لسان الشيخ الطنطاوي قوله إن السياسة تفسد الدين والدين يفسد السياسة،

وأنا أبرئ هذا الشيخ وأي شيخ آخر من أن ينزلق هذا المنزلق ويقول الدين يفسد... بضم الياء، فالدين يصلح السياسة.. والسياسة لا يمكنها أن تفسد الدين الصحيح وإن أفسدت بعض علمائه أو بعض المسلمين.. الدين يصلح ما أفسدته السياسة والإسلام لا يفسد السياسة بل يوجهها ويرشدها، وكل جزء في الحياة لا يمكنه أن ينعزل عن غاية إرضاء الله تعالى ومراقبته.

ولو كانت السياسة في مصر تعرف الدين لما سلب من الناس أبسط حقوقهم، وما تركوا دون مبالاة في معاناتهم وما سرقت أموال الدولة التي هي أموالهم؛ ولكن لكل منتفع بهذه اللا أخلاقية في السياسة أن يقول ما يشاء.

ولنا هنا ملاحظة وسؤال:

كيف قامت سياسة دولة بني صهيون على توظيف الدين في إقامة الدولة، ثم في حراستها وتثبيتها، واستغلال الجانب الديني عند المسيحيين لتأييدها ونصرتها؟

وكيف لجأ الرئيس الأمريكي بوش الابن إلى الدين في حملته الانتخابية، وتبنيه لليمين المسيحي المتطرف المتصهين في توجيه سياسة أمريكا بعد ذلك؟ وقد كان هذا الالتزام الديني الواضح من بوش من الأسباب الرئيسية لفوزه في انتخابات الرئاسة على خصمه (كيري) الذي كان يتبنى خطأ مخالفاً لتعاليم الدين المسيحي، وهذا ينقض المقولات التي تزعم أن كل السياسات علمانية، ولا مدخل للدين في أي منها.

الحلقات من 18 إلى 21

السطحية تغشى تاريخ الطلبة

في الحلقة "18" يتعرّض وحيد حامد للعلاقة بين الإخوان والوفد، مانلاً بطبيعة الحال نحو تجميل مواقف النحاس والوفد على حساب جماعة الإخوان ومرشدها، على أساس المثل القائل "عدو عدوي صديقي"، بالرغم من أن جماعة الإخوان لم تتخذ موقفاً عدائياً مبدئياً من أحد، ولكنها فقط النصيحة في الإسلام إذا خولفت مبادئه،

ومن أمثلة هذا التحيز الظالم إبراز جزء مبتور ومنقذ من خطاب وجهه الأستاذ البنا إلى رئيس الوزراء في حينها مصطفى النحاس بعد حوار أجرته معه صحيفة تركية، وأبدى به إعجاباً شديداً بأتاتورك وتحولاته في تركيا، وقال إنه معجب بلا تحفظ بشخصه، فرد عليه الأستاذ البنا برسالة جاء فيها "في دولتكم أكبر زعيم شرقي عرف الجميع فيه سلامة الدين وصدق اليقين، وموقف الحكومة التركية الحديثة من الإسلام، وأحكامه وتعاليمه وشرائعه معروفة في العالم كله لا لبس فيه؛ فالحكومة التركية قلبت نظام الخلافة إلى الجمهورية، وحذفت القانون الإسلامي، وحكمت بالقانون السويسري مع قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: من الآية 44).

وصرّحت في دستورها بأنها حكومة لا دينية، وأجازت بمقتضى هذه التعاليم أن تتزوج المسلمة غير المسلم، وأن ترث المرأة مثل الرجل، واصطدمت في ذلك بقوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: من الآية 11)، وهذا قليل من كثير من موقف الحكومة التركية من الإسلام، وأما موقفها من الشرق فقد صرّحت في وقت من الأوقات بلسان وزير خارجيتها بأنها ليست دولة شرقية، وقد قطعت صلتها بالشرق حتى في شكل حروفه وفي أزيائه وعاداته وكل ما يتعلق به..

وختمت الرسالة إلى النحاس "ولقد أخذ الكثير ممن طالعوا هذا التصريح يتساءلون: هل يفهم من هذا أن دولة النحاس باشا وهو الزعيم المسلم الرشيد يوافق على أن يكون لأمة - بعد الانتهاء من القضية السياسية - برنامج كالبرنامج الكمالي، يتولّى كل الأوضاع فيها ويفصلها عن الشرق والشرقيين، ويسقط من يدها لواء الزعامة، وإنا نعيذ دولة الرئيس من هذا القصد الذي نعتقد أنه أبعد الناس عنه".

لكن طبعاً وحيد حامد لم يظهر منطق الرسالة الرفيع، ولم يثل منها سوى السطر الذي يختتمه بالآية الكريمة ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ (المائدة: من الآية 44)، وليدع المشاهد في مظنة المنطق التكفيري للشيخ البنا، وقد بتر سياق الرسالة.

مشهد آخر يرسم فيه وحيد حامد الشيخ البنا وهو مبتسم راضٍ عن أخبار نتائج المشاجرات بين طلبة الوفد وطلبة الإخوان، وكأنه يشحذهم لذلك، بل يتجاوز الأمر عندما يقول راضياً: إن هذه النتائج بسبب تربيائنا لهم؛ ليدافعوا عن أنفسهم ويصدوا الآخرين..

فمن أي كتاب أسود استمدَّ وحيد هذا الحوار؟

بينما طلبة الإخوان خلال هذه الفترة لم يمتنعوا عن المشاركة في أي عمل وطني مشترك، كالجبهة الوطنية التي شكَّلت عام 1935م من طلبة الجامعة، وكانت أساس انتفاضة الطلبة عام 1935م، ثم الاشتراك بعد الحرب العالمية الثانية في "لجنة أعمال الشباب"، والتي ضمت الطلبة المنتهين إلى الحزب الوطني، والوفد والأحرار الدستوريين، والهيئة السعدية، والكتلة الوفدية، والإخوان المسلمين، ومصر الفتاة، وبعض المستقلين؛ لتحقيق وحدة الحركة الطلابية، وإن لم تستمر طويلاً كسابقتها، لكن أيادي طلاب الإخوان كانت ممتدة إلى الجميع في هذه الفترة.

ولا يزال وحيد حامد يحرص على تشويه نهج طلبة الإخوان في الجامعة، ووصفهم بالبلطجة والميل إلى العنف، وعدم القدرة على الحوار مع أن المنطق يحكم بغير ذلك؛ بسبب إقبال طلبة الأحزاب في هذه الفترة على الانضمام إلى جماعة الإخوان؛ وهو ما أقرَّ به وحيد حامد في مسلسله هذا،

والطالب المثقَّف، وخاصةً في هذا العهد لا ينضم إلى جماعة ويترك حزبه خشية البلطجة أو عن طريق لي ذراعه، وهنا يرجع المؤلف إلى عدم المنطقية في إدارة أحداث مسلسله، فبدلاً من أن يُظهر الأسباب الحقيقية لتدفُّق الطلاب المثقفين على جماعة الإخوان في هذه الفترة يلجأ إلى تشويش وتشويه عقلية وأخلاق هؤلاء الطلاب،

وهنا يفقد المسلسل مصداقيته، علماً بأن النشاط الطلابي في هذه الفترة كان نشاطاً ملحماً تشارك فيه جميع الطلاب على مختلف توجهاتهم في المظاهرات التي خرجت تندد بالاحتلال الإنجليزي، خاصةً بعد أن أُلغيت وزارة محمد توفيق نسيم دستور 1930م، وتعلَّقت آمال الطلاب على إعادة دستور 1923م، لكن لم يصدر مرسوماً بذلك، فكان من أسباب ثورة الطلاب وبدء انتفاضة 1935م، وقيام الطلاب بتشكيل الجبهة الوطنية التي ضمَّت جميع الأطياف، وشارك طلاب الإخوان مع طلبة الوفد ومصر الفتاة والأحرار الدستوريين وسائر طلاب مصر في تلك الانتفاضة، التي توسَّطتها مظاهرة كوبري عباس الشهيرة.

ولم تقتصر جهود طلبة الجامعة على المظاهرات الاحتجاجية، بل نظَّموا حركتهم من خلال تكوين لجنة أطلقوا عليها اسم "اللجنة العليا للطلبة" انبثقت منها لجان أخرى؛ لتوجيه الدعاية الإعلامية إلى حركة وتعبئة الرأي العام وراءها، والاتصال بالسياسيين والأحزاب، مع الحرص الشديد على استقلال حركتهم عن الأحزاب السياسية، وراحوا يطوفون على زعماء الأحزاب السياسية يدعونهم إلى تكوين جبهة وطنية متحدة؛ لإتقاد البلاد، ففي 21 نوفمبر أصدرت "اللجنة العليا للطلبة" بياناً ناشدت فيه جميع الهيئات السياسية إلى الوقوف جبهة واحدة في وجه العدو الغاصب؛ للمطالبة بالاستقلال التام لمصر والسودان، والتمسُّك بدستور 1923م، فاستجاب زعماء الأحزاب - وخاصةً أحزاب الأقلية - لهذه الدعوة، وجاءت الاستجابة الأولى من محمد محمود باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين، ثم اضطر الوفد وغيره من الأحزاب إلى قبول فكرة "الجبهة المتحدة" بعدما زادت ضغوط الحركة الطلابية، وتطورت الأحداث بعد ذلك بالشكل الذي أدَّى إلى إعادة العمل بدستور 1923م، ووصول الوفد إلى الحكم؛ وبذلك كان طلاب الجامعة قد نجحوا في تحريك الموقف السياسي بصورة إيجابية، فهل هؤلاء الطلبة الذين كانوا يُحرَّجون الأحزاب والسياسيين، ويحركون الأحداث، بالرغم من أنف زعمائهم هم من يتكلم عنهم وحيد حامد، ويجعلهم في مثل هذه السطحية والانشغال في التنافس الممجوج بين بعضهم البعض، بينما كانت القضية الوطنية قد شغلت ضمائرهم وعقولهم فوق ما انشغل بها زعمائهم السياسيون، والذين رضخوا جميعاً في النهاية لمطالب الطلاب بتشكيل جبهة وطنية متحدة لإتقاد مصر، فعن أي تاريخ وأي طلاب يتكلم وحيد حامد.

عندما تكذب الدراما دون تجمل

وفي الحلقة "19" ما زال المؤلف يلزم علاقة الإخوان بملوك مصر: فؤاد وفاروق، وكأنها علاقة شخصية نفعية، مع أن الرسالة التي بعثها الشيخ حسن البنا إلى الملك فؤاد تكشف حقيقة جهود الإخوان نحو استمالة فؤاد إلى محاربة جمعيات التبشير التي كانت منتشرة ومتوحشة في هذا الوقت، حتى إنها استطاعت تنصير الكثير من الفتيات الفقيرات، وتزويجهن بمسيحيين، أما في عهد فاروق، فقد حدث أن ذهب وفد من الإخوان برئاسة الأستاذ البنا إلى السرايا الملكية، وقدموا عريضةً إلى الملك طالبوا فيها بإلغاء البغاء الرسمي والسري، وتحريم الخمر، ومحاربة السفور والإباحية، كما طالبوا بتحريم المقامرة، وسنَّ قانون يمنع الربا، كما طالبوا بالاعتناء بالتعليم والمساجد، وكان الإخوان يضعون آمالاً على وطنية فاروق، وإظهاره التمسك بالدين، وهكذا كانت علاقة الإخوان بالحكام، مطالبين بالإصلاح، ومتقربين بالنصح، وفي

سبيل تحقيق مكاسب للأمة ودينها وتراثها الأخلاقي والمحافظة على هويتها، فهل يعاب على الإخوان نصحتهم إلى الحكام واستعانتهم بهم من أجل تحقيق هذه المصالح؟

مع أن هذا المسلك هو نفس المسلك الذي سلكوه مع حزب الوفد باعتباره حزب الأغلبية الحاكم، حيث ظلوا بالرسائل والمقابلات والمطالبات حتى استجاب حزب الوفد لهم عام 1943م، فألغى البغاء لكنه قصر القرار على القرى، وامتنع عن إعطاء تصاريح جديدة في المدن، لكن الإخوان لم يقصروا بعدها، فقد تواصلوا مع رجال الإدارات؛ ليتم إلغاء البغاء إقليمياً وإدارياً ما استطاعوا، فقام مدير مديرية البحيرة بإلغائه في دمنهور، كما قام مدير مديرية القليوبية بإلغائه في بنها، واستمر هكذا الحال حتى دخلوا المعتقلات في عام 1948م، ولكن بمجرد خروجهم عادوا إلى ممارسة جهدهم الحميد، ومن خلال علاقتهم برجال ثورة 1952م وقبل الصدام معهم تمَّ إلغاء البغاء تماماً في مصر بفضل جهود الإخوان ومطالبهم لرجال الحكم.

فلم يكن قرب الإخوان يوماً من حاكم إلا لأجل النصح، ومطالبين بتحقيق العدل والفضائل، ولو كانت تزلفاً ونفاقاً ما قُتل الشهيد حسن البنا على يد رجال الحكومة، وباتفاق مع القصر، وما عاد عبد الناصر حتى يصب جام غضبه على الإخوان، فما عرف الإخوان يوماً نفاقاً، ولا تزلفاً، ولكن محاولات لإصلاح الحكام ونظام الحكم.

يعود وحيد حامد في هذه الحلقة؛ ليظهر أن انتهازية شباب وطلبة الإخوان قديمة قدم الجماعة، فما هو طالب من مصر الفتاة يتهم طالباً إخوانياً بأنه "روميو" يدفع للجماعة قرشاً لتعود له عشرة قروش،

لكن المؤلف العليم بالغيب والأسرار لا يخبر القارئ كيف، ولم يفسر لنا كيف مكنتهم انتهازيتهم من الاندفاع نحو القناتة يقاتلون الجنود البريطانيين، ويسقط منهم الشهداء حتى يُقام نصب لشهداء الطلبة في الجامعة، وكان من شهداء طلبة الإخوان الطالب عمر شاهين والطالب محمد منيسي، ولقد احتشدت مصر كلها وجميع طلابها في جنازة عمر شاهين التي سارت بالقاهرة، حتى أنها امتدت بطول 3 كيلومترات، ولكن وحيد حامد لا تهزه وطنية الأحداث التي شارك فيها طلبة الإخوان بقوة، فتدفعه إلى احترام جهودهم الوطنية ونضالهم ودمائهم الذكية، فإذا لم يمكنه ما في قلبه من إعطائهم حقهم، والإشادة بجهادهم؛ فعلى الأقل لا يفترى عليهم بالكذب فيسكت، ولكن كما قالوا قديماً: "إن الغرض مرض".

"الجماعة" .. والحاج محمد هتلر

تظهر الحلقة "20" تعاطف العلاقة بين علي باشا ماهر وقد أصبح رئيساً للوزراء والشيخ حسن البنا، ويحاول المسلسل أن ينحي فكرة أن علي ماهر كان يستغل جماعة الإخوان المسلمين للإضرار بحزب الوفد، ولانقاص شعبيته، كما يحاول الإيعاز في تسطيح شديد أن فاروق وعلي ماهر كانا يشجعان التقدم الألماني ضد الإنجليز، وكان يشاركهم في هذا حسن البنا، ويحتجون بمقال كتبه عباس العقاد؛ ليفسر المسلسل أن الإخوان هم المقصودون بالجماعات الفاشية التي تهل لانصار هتلر.

والحقيقة أن هذا الكلام فيه تضليل وسطحية شديدة، فلم يكتب الإمام البنا مرة مشجعاً النهج الألماني في احتلال البلاد، ولم يناد أبداً بالتعاون مع ألمانيا، ولم يتصل بعلي ماهر أو بفاروق بهذا الخصوص، بل إن فاروق وعلي ماهر ما كانا يستطيعان الجهر برأيهما هذا، إن صح، أما مقال عباس العقاد فكان يقصد به شيوع مشاعر تأييد هتلر بين أفراد الشعب المصري، ويحذر الناس من كون ألمانيا وإيطاليا تتبنى نظماً فاشية ضد الديمقراطية الحديثة، والتي كانت تتمتع بها مصر في هذا الحين.

إن فما سر العلاقة غير المسبوقة بين الشيخ حسن البنا ورئيس وزراء مصر؟

لقد كانت هناك صلة وتشاور ونصح في فترة وزارة علي ماهر، وسبب ذلك ما عرف عن علي ماهر برغبته - وهو السياسي المحنك - بتوسيع نفوذ مصر إلى المحيط العربي والإسلامي، كما عُرف عنه خصومته للاحتلال البريطاني، كما رُفص بشدة دخول الحرب في صف الجيش البريطاني بالرغم من إباح بريطانيا على حكومة مصر، وكذلك عُرف عنه اهتمامه بقضية فلسطين، على عكس النحاس باشا.

من المواقف الوطنية لوزارة علي ماهر في هذه الفترة أن اللواء محمد صالح حرب وزير الحربية في وزارة علي ماهر 1939 - 1940م أخذ على عاتقه مهمة تطوير الجيش المصري وتحديثه، والتصدي لنفوذ البعثة العسكرية البريطانية، وتثبيت أقدام العناصر الوطنية فيه، إضافة إلى محاولته مع رئيس الوزراء علي ماهر تجنيد مصر ويلات الحرب العالمية الثانية، وهي السياسة التي أدت إلى صدام تلك الوزارة مع الإنجليز، وهو الموقف الذي لم يستطع الوفد بعد ذلك الثبات عليه،

ولقد عرف الإخوان المسلمون ذلك عن علي ماهر ورجاله ووزارته، وكان من مواقفهم المشهودة خروجهم لاستقبال علي ماهر عقب عودته من لندن بعد مشاركته في مؤتمر المائدة المستديرة بخصوص قضية فلسطين؛ تشجيعاً له على جهوده الحميمة في صالح الشعب الفلسطيني.

ومن هنا كان احتفاء الإخوان بعلي باشا ماهر لالتقائهم على هدف واحد، ولعل المقال الذي كتبه صالح عشمواوي "رئيس التحرير" في افتتاحية مجلة (التنوير) عندما جاء بوزارته الجديدة عام 1939م يفسر بوضوح حدود العلاقة وحدود التعاون على الأهداف الكبرى، وبعيداً عن التسطيح فيما يخص الاجتماع على خصومة الوفد أو تشجيع ألمانيا، فقد كانت الجماعة تتعاون مع الجميع بما فيهم الوفد، وهذه المقالة الافتتاحية للندوة تزيل الكثير من اللبس الذي نثرته الحلقة العشرون من المسلسل، وقد جاء في المقالة في العدد 27 بتاريخ 6 رجب سنة 1358هـ، بقلم الأستاذ صالح عشمواوي رئيس تحريرها بعنوان: "وزارة جديدة وموقف قديم" جاء فيها:

".. واليوم تقبض على أزمة الأمور وزارة جديدة على رأسها رفعة علي ماهر باشا، يعاونه فيها وزراء سعيديون وآخرون مستقلون، واعتذر الأحرار الدستوريون عن الاشتراك في الوزارة مع وعدهم بتأييدها والتعاون معها، وقد يتبادر إلى ذهن القارئ هذا السؤال: ما موقف الإخوان المسلمين من الوزارة الجديدة؟

وقبل أن نجيب على هذا السؤال نود أن نمهد بالحقيقة الثابتة، وهي أن الإخوان المسلمين ليسوا حزباً من الأحزاب، يؤيد أو يعارض تبعاً لمصلحة حزبية أو جرياً وراء منفعة شخصية،

ولكن الإخوان المسلمين دعوة إسلامية محمدية، اتخذت من الله غايتها، ومن الرسول صلوات الله عليه وسلامه قدوتها، ومن القرآن دستوراً، ولها برنامج واضح الحدود، ظاهر المعالم، يرمي إلى تجديد الإسلام في القرن الرابع عشر، وصبغ الحياة المصرية بالصبغة الإسلامية، وهيمنة تعاليم القرآن على جميع مظاهر الحياة من تشريع، واجتماع، وسياسة، واقتصاد، كما يرمي إلى تحرير كل شبر في الأرض فيه نفس يردد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" صلى الله عليه وسلم، وأخيراً نشر الإسلام، ورفع راية القرآن في كل مكان، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله؛ هذا برنامج ضخم لا يدانيه برنامج من برامج الأحزاب إن كان لها برامج ومناهج، وهو في نظر الكثيرين لون من ألوان الخيال، وضرب من ضروب الخيال، ولكننا نؤمن به، ونثق في أنفسنا، معتمدين على تأييد الله.

فموقفنا إذاً من وزارة علي باشا ماهر هو موقفنا من أية وزارة، موقف قديم لا يتغير بتغير الوزارات، ولا يتبدل بتبدل الوزراء، فمن أيد الفكرة الإسلامية وعمل لها واستقام في نفسه وفي بيته، وتمسك بتعاليم القرآن في حياته الخاصة والعامة؛ كنا له مؤيدين مشجعين، ومن عارض الدعوة الإسلامية، ولم يعمل لها بل وقف في سبيلها أو حاول التتكيل بها كنا له أعداءً وخصوماً، ونحن في كلتا الحالتين إنما نؤيد ونعارض ونحب ونكره في الله.

وتحيط بعلي ماهر باشا هالة كبيرة من الدعاية الطيبة، وتسبقه آمال حلوة وأمان عذبة في الإصلاح والإنقاذ، والمفروض في المسلم أن يحسن النية بأخيه، وليس ما يمنعنا أن نحسن النية بعلي باشا ماهر ووزرائه، ولكن علمتنا التجارب ألا نثق بوعود ولا نصدق في أقوال ولا نُسرف في آمال، ليكن علي باشا ماهر كما يقولون وفوق ما يقولون، ولنتنتج وزارته من الإصلاح ما يتوقعون وأكثر مما يتوقعون، فلن نجدد موقفنا ولن نصدر حكماً إلا على أعمال لا أقوال، وأغلب ظني أن رجلاً كعلي باشا ماهر عُرف بالسرعة في العمل والجرأة في الإصلاح سيجبرنا قريباً على الكلام له أو عليه.. "فلنؤمل خيراً ولننتظر فلن يطول بنا الانتظار".

وهكذا حددت المقالة التي كتبت في استقبال وزارة علي ماهر أن الإخوان حريصون على أهدافهم الكبرى في سبيل خدمة قضايا الإسلام وأمتهم، وأنه على قدر تعاون الآخرين معهم على خدمة هذه الأمة ودينها على قدر احتفائهم بهم، وذلك دون أن يستغل الجماعة أحد لأهداف دنيوية أو دون أن ينتقصوا هم من أحد لأهداف غير رباتية، يحكمهم في ذلك المبادئ الإسلامية الأساسية والتي وضعها الإمام البنا ومنها:

1- البعد عن مواطن الخلاف.

2- البعد عن هيمنة الأعيان والكبراء.

3- البعد عن الأحزاب والهيئات.

وهي أول ثلاث خصائص من سبع وصف بها الشيخ حسن البنا خصائص دعوة الإخوان في رسالة المؤتمر الخامس، فقد كان حريصاً على صفاء الدعوة ونقاها وترفعها عن الخلافات الحزبية، ولكنها دعوة إسلامية تدور مع مصلحة الدين حيثما دارت، لا تحابي أحداً إلا في وضع النافع له، ولا تصادم أحداً إلا إذا كان مصادماً للدين مخاصماً للأمة، أما حكاية ألمانيا وهتلر فهو تسطيح واستخفاف لم يعد غريباً على هذا المسلسل الدعائي المنغمس في عدائته للجماعة ومؤسسها.

" الجماعة " .. فاشل درامياً و فاسد فنياً

في الحلقة "21" تتواصل دون حذر من ملل أو شفقة على عقلية المشاهد نفس الاتهامات السابقة للجماعة ومؤسساتها بأنها صنّعة الاحتلال، وأنها كانت مطية لبعض السياسيين من قبل بعضهم، وأن مؤسساتها قادها باستبداد وديكتاتورية من أجل زعامة تاريخية لنفسه غير مسبوقة، وأنه في سبيل ذلك استعان بالدعم الخارجي، وعمل ضد الوطنيين داخل بلده، فمرة أخرى يحتفي المسلسل بظهور انشقاقات داخل الجماعة صوّرت بحجم ضخم اعتراضاً على اقتحام الشيخ مجال السياسة دون رغبة من الجماعة أو إحاطة لهم، وهنا يضع المؤلف على لسان الشيخ جملة: "إن العلماء دون دخول السياسة لا لزوم لهم" .. ثم يستدرك: "لا سلطة لهم"، وكأن الأمر كان مقترناً عنده دوماً بالسلطة والجاه.

ثم في مقابلة مختلقة تماماً بين البنا ومدير المخابرات البريطانية، يعرض الأخير على الأول الدعم المالي الضخم والأول يطلب مهلة للتفكير، ثم يعود لأصحابه شاحب الوجه، مخبراً أحدهم في خوف وتوجس بأن الإنجليز انتبهوا للجماعة ولن يتركوها، وكأن البنا كان يتخيل أن تحظى الجماعة بمودة الإنجليز أو أنه لم يتوقع عدوانهم وخصومتهم قبل هذه الساعة، ثم يبدو الانزعاج على الشيخ حسن البنا بصورة كبيرة أيضاً عندما يعلم أن وزارة حسين سري تشكلت، وكأنه كان يرى أن بقاءه واستمراره رهناً بالحكومات التي كانت تساعده، أي أن دعوته كانت دعوة أعانه عليها قوم آخرون، وأمدوه بالدعم والتمويل والتشجيع، وهو لا يدري أن بريطانيا كانت وراء كل ذلك، وهو ما ندركه من قول مدير المخابرات البريطاني للشيخ عن علمه بما يصله من السعودية، وتعهد إظهار صورة الشيخ البنا منزحاً أو خائفاً أو متوتراً عند التغييرات الوزارية أو عندما يعاتبه أحد الداعمين في رأي المؤلف، كمشهد عتاب علي باشا ماهر له عقب مظاهرات الوفد، يكون الغرض الأساسي منه الإيحاء بأن البنا يعتمد بصورة أساسية على سلطة الآخرين ودعمهم.

الحقيقة أن ما سبق مع غيره من العديد من الأخطاء المنطقية والواقعية والتاريخية في المسلسل يقود المسلسل نحو فشل درامي ذريع، تمثل مبدئياً في انصراف المشاهدين عنه لعدم مصداقيته ولدعائيته المفرطة، وبالإضافة إلى ذلك فإن المسلسل كعمل أدبي فني إيداعي قد سقط سقوطاً ذريعاً، فلا توجد حبكة ولا خيوط متشابكة، ولا نمو للشخصيات، ولا كشف لتويري، ولا معالجة درامية من خلال الأحداث، بل لغة خطابية دعائية تدوي فيها أيديولوجية المؤلف مع تسطيح شديد ومباشرة بارزة في معالجة القضايا.

والحقيقة أن وحيد حامد قد جافى كل أسس الكتابة الأدبية التي ارتقى لها الفكر الإنساني، وارتد إلى مسرح الأقتعة اليوناني؛ حيث الشيرير يرتدي قناع الشر، ويمد يديه كمخالب وحش ضار تجاه خصومه، بينما الخير يرتدي قناع الخير طوال الوقت، ويمشي بخطى هادئة بريئة، هنا كانت مثالية رجال أمن الدولة وملاكيتهم مقابل توتر وجه الشيخ البنا، وعصبية يديه وحركاتهما الممثلة للاستحواذ والهيمنة مقابل فظاظة ووحشية شخصية المرشد المعاصر، وغلظة صوته وفظاظة لغته.

ومع أن جميع نظريات الأدب الحديثة، إما تخفض حضور المؤلف في عمله إلى الحد الأدنى، أو تسمح له بالوجود الرمزي في إحدى الشخصيات، وإما في الأغلب تذهب مذهب "بارت" في النقد الأدبي الذي ينادي بموت المؤلف، وأن العمل الأدبي هو استيعاب المؤلف لما حوله من بيئة وثقافة وتاريخ وأشخاص ومشاعر عامة وخاصة ثم يذاذ نقله كما هو عبر شخصياته.

لكن وحيد حامد يضرب كل نظريات الأدب في مقتل في مسلسل الجماعة، فوحيد حامد بأيديولوجيته ومشاعره واتجاهاته وآرائه حاضر بقوة ووضوح منذ الجملة الأولى في العمل، وليس ذلك في شخصية واحدة أو اثنتين بل في كل شخصيات العمل، فكلها تهاجم بطل العمل وتنتقده، وتكشف عيوبه وتفضح أمراضه وأسراره وخفاياه في شكل لا يمكن أن نصفه بأنه فني أو أدبي، حتى بطل العمل يعمل ضد شخصيته بإشاراته وإيحاءاته والعديد من كلماته وتعليقاته، وبملاحم وجهة التي تفضح خفايا مريبة أو توتر نفسي أو خوف أو فزع، وبخاصة عندما يواجهه الآخرون باتهاماتهم أو شكوكهم.

لا توجد شخصية محايدة داخل العمل تتعاطف معه؛ ولكن لا بد أن تقذفه بحجر حتى أتباعه ممن حوله يظهرهم العمل، وكأن المعارضين منهم سواء تكلموا أو صمتوا أو الخارجين عليه؛ هم أكثر وأبرز من غيرهم.

فشيخه في الكتاب يصفه بالغرور والقسوة والغلظة تارة، ويصفه بالرغبة في الزعامة تارة أخرى، وشيخ المسجد الصغير يصفه بقلّة التهذيب وضعف الأدب، ووالد أحد أصدقائه يصفه بالتشدد والعنف، وعند الشيخ الدجوي يصفه الشيوخ هناك بالتهور والاندفاع، وأنه مريض بالهوس بل يُتهم أيضاً بالطفيلية، ووكيل النيابة شكك في مصداقيته، والمستشار المتقاعد يتهم جماعته بالانتهازية والمتاجرة في آلام الناس، وتهمة الانتهازية تصبح قاسماً مشتركاً مع أكثر من شخصية تصف شباب الجماعة، ثم ترميه أحداث المسلسل بالنفعية والتعامل مع الشيطان، فهو صنّعة بريطانيا، ولسان حال المذهب الوهابي السعودي، ورجله في مصر ثم هو مع ماهر والملك؛ ليضرب الوفد، فالتحساس يتهمه بالرغبة في تحطيم الجميع، طبعاً لصالح نفسه.

وهكذا فإن هذا العمل الدرامي بهذا الشكل يتحوّل إلى دعائية فجّة، وخطاب عدائي مباشر ينفي عنه صفة الفن أو الأدب أو الدراما، حسب كلّ القواعد المعمول بها، فالمؤلف يطل برأسه من وجه كل شخصية في العمل، وكل الشخصيات تتكلم بلسانه حتى شخصية الشيخ البنا نفسه. يقول الدكتور صلاح فضل "أستاذ الأدب": النص الأدبي لا يأخذ مصداقيته من محاكاته الدقيقة للواقع، كما لا يأخذها من نسق فكري سابق عليه؛ إنه يأخذها من انسجامه مع نفسه وتناميه وفق قوانينه التي تشكل بها"،

ووحيد حامد هنا لم ينقل واقعاً تاريخياً بضبط شديد، وهذا جيد لكنه فعل الأسوأ، لقد بنى عملاً أدبياً (سيناريو) وفنياً (مسلسل) على أساس نسق فكري أيديولوجي سابق خاص به، ولم يسمح لعمله أن يتنامى أو أن يتشكل في شكل متناسق ومنطقي بل حول المسلسل إلى خطاب عدائي تجاه شخص البنا وجماعته، مع علم ووحيد حامد بما يذهب إليه نقاد الأدب، ومنهم "لانسون" الذي قال: "ثلاثة أرباع المبدع مكون من غير ذاته".

ومع علمه بأن النظرية البنوية التكوينية الحديثة والمعمول بها في مجال الأدب كذروة الإنتاج العقلي البشري في مجال النقد الأدبي، تقول: "إن الفئات الاجتماعية هي المبدعة الحقيقية للإبداع الثقافي؛ بحيث يعني العمل الأدبي تعبيراً عن (رؤية العالم)، عن نمط من الرؤية والإحساس بعالم ملموس من الكائنات والأشياء، هذه الرؤية ليست واقعة فردية بل واقعة اجتماعية تنتمي إلى مجموعة أولى، فلا بد بالضرورة من إدراك أن الوعي بالوقائع المتضمنة في العمل الأدبي إنما هو وعي مجموعة أو طبقة، أي هو وعي طبقي، إن الأدب ينتج عن الوعي الجماعي الذي تعبر عنه رؤية العالم، ما دام هو الذي يشكل هذه الرؤية".

ومعنى هذا الكلام السابق ببساطة أن الكاتب يعبر عن ضمير مجتمعه (عالمه) ومشاعره وآرائه، ولا يعبر عن رأي شخصي فردي له، فهو يعبر عن وعي جمعي ورؤية جمعية، فعن أي جموع أو عن أي طبقة أو مجتمع عبر ووحيد حامد؟ بل إن ووحيد حامد راهن (في تصريح أدبي غير مسبوق) بأن رأي الكثيرين سيتغير في جماعة الإخوان بعد رؤية المسلسل!! أي أنه قفز على الرأي العام والوعي الجمعي، واستعلى عليه، وتجاسر في كبريائه عندما رأى في نفسه القدرة على تغييره.. يا عم ووحيد!! منذ متى يغير مسلسل أو فيلم أو رواية واحدة الرأي العام ما لم تأت في تيار من الأحداث والمشاعر والأفكار.

إن القصص الواقعية للمحاكمات العسكرية بما فيها من أدوار للإعلام والصحافة، وبما فيها من واقعية القضاء والادعاء والأحكام والصور والقصص؛ لم تغير الرأي العام نحو جماعة الإخوان المسلمين، فكيف تخيل ووحيد أنه سيغيره بمسلسل إيهامي دعائي مثل هذا، لم يكن ووحيد كاتباً محترفاً أو درامياً واعياً عندما ظن ذلك.

يقول الناقد جولدمان في تفسير رؤية الأديب للعالم من حوله كما يراها مجتمعه: "وهذه الرؤية لا تخلقها الجماعة، ولكن تخلقها العناصر المشكلة لهذه الجماعة "المجتمع" التي ترعرعت في ظلها، والجماعة وحدها هي القادرة على تطوير هذه العناصر جنباً إلى جنب مع الطاقة الضرورية اللازمة لجمع عناصر هذه الجماعة في إطار كلي واحد"،

هنا يقصد جولدمان أن العمل الأدبي هو الإطار الذي يضم وعي المجتمع ككل

ثم يضيف بعد ذلك: "إن الدلالة الموضوعية للعمل الأدبي لا تتطابق دائماً مع قصد المؤلف والمعنى الذاتي.. وليس للفنان أو الكاتب فيها إلا أنه سما بها، وذهب في تمثيلها أكثر مما يستطيعه الآخرون"، مرة أخرى، عن ضمير أي مجتمع، وعن أي رؤى له حول شخصية حسن البنا أو الجماعة التي أسسها كتب ووحيد حامد؟!.

إن المؤلف والذين دفعوه أو دعموه أو شجعوه قد ظنوا في أنفسهم قدرة على أن يغيروا الرأي العام والضمير الجمعي لمجتمع بأسره؛ فيبدلون مجتمعاً بمجتمع أو شعباً بشعب من خلال قصة مشوهة، ودراما غير محبوبة، وذلك بإرغام أنف علم الاجتماع وعلمائه، ويلي ذراع الأدب ونظرياته ونقاده، حقيقة أنا مشفق على مصر أن يكون فكر إدارتها هو من يقف وراء هذا المسلسل.

الجماعة" .. الدعائية أهم من الدراما

بقلم: هشام حمادة

تعرض الحلقة 22 لبداية عمل النظام الخاص الذي اختص بجانب الجهاد في الجماعة إزاء وجود الاحتلال البريطاني في مصر، وكذلك ما كان يحدث في فلسطين؛ فالفكرة كانت محل ترحيب وطني وقومي، ولم تكن سرية بالمعنى الشائع، فكان من المعلوم أن لكل حزب في مصر نظامه الخاص، ولم يكن أمراً مستغرباً، ولكن السري في الموضوع هم أعضاء النظام حرصاً عليهم، فقد أراد الشيخ حسن البنا أن يكون ذلك النظام هو الجيش المسلم الذي يتصدى لليهود في فلسطين، ولإيجليز داخل مصر، وحيث كانت قناعته أن الإيجليز بتواطئهم مع اليهود لن يتركوا مصر ولا

فلسطين تتعمان بأمن أو سلام، ومع شعوره بضعف الحكومات العربية وضعف الجيش المصري في هذا الوقت، فقد كان هذا حافزاً آخر إضافياً لتكوين "النظام الخاص"، وهذا التأسيس كان وليد فكر مشترك بين الحاج أمين الحسيني (مفتي فلسطين) وحسن البنا (مرشد الإخوان).

لم يكن النظام الخاص فكرة جديدة ابتدعها الإخوان في ذلك التوقيت، فكل القوى السياسية الموجودة بالساحة في الوقت كان لديها أجهزة عسكرية سرية مثل "الوفد" و"السراي" و"مصر الفتاة"، وعرف وقتها أصحاب القمصان الزرقاء والخضراء والحرس الحديدي حتى أن "الضباط الأحرار" كان تنظيمًا سرياً في هذا الوقت، وهي سمة كانت منتشرة في بلد تحت الاستعمار، وتسعى حكوماته وعرشه إلى التخلص من هذا الاحتلال.

وقد تم اكتشاف النظام عبر قضية السيارة الجيب عام 1948م؛ حيث عثر البوليس السياسي على سيارة جيب بها جميع أسرار النظام الخاص لجماعة الإخوان، ومن بينها أوراق التكوين والأهداف، وقدمتها حكومة النقراشي لمحكمة الجنايات، ولما اطلعت المحكمة على أهداف النظام قالت في حكمها عن المدانين منهم:

"إن المدانين كانوا من ذوي الأغراض السامية التي ترمي أول ما ترمي إلى تحقيق الأهداف الوطنية لهذا الشعب المغلوب على أمره".

وقد أصدرت المحكمة فيها حكماً تاريخياً، برأ أكثرية المتهمين، وحكم على أفراد قليلين منهم بأحكام مخففة، ما بين سنة و3 سنوات، ولكن الشيء المهم في الحكم أنه أنصف الإخوان بوصفهم جماعة إسلامية وطنية، وأبرز دورهم الوطني والجهادي في مصر وفلسطين، ودورهم الثقافي والاجتماعي في خدمة مصر، ثم كانت المفاجأة أن انضم رئيس المحكمة المستشار الكبير أحمد كامل بعد ذلك إلى الإخوان، ونشرت ذلك الصحف بالخط العريض: حاكمهم ثم انضم إليهم! ولنا عودة لمناقشة أعمال النظام الخاص لنعرض مفخرة من تاريخ مصر الحديث.

في هذه الحلقة يحاول وحيد حامد استغلال بعض ما تناثر من معلومات حول النظام الخاص ليتصيد منها بعضها، ويضعه في سياق يظن أنه يسيء به إلى الجماعة ومؤسستها،

ففي مشهد البيعة يقتبس وحيد بعض ما ذكر عن مبايعة أعضاء النظام لقيادته، ويقوم بتلفيق مشهد للشيخ حسن البنا وهو يطلب من محمود عبد الحليم إطفاء النور ثم يشعل بنفسه شمعة يمررها لمحمود ثم يضع مسدساً على مائدة ليبايعه عبد الرحمن السندي بعد ذلك على الجهاد والتضحية والسمع والطاعة، والمشهد كله مختلق فلم يذكر مرة عن الشيخ البنا أنه بايع أحدًا بهذه الطريقة، لكن الغرض من ذلك هو إلقاء ظلال من الريبة والغموض على شخصية الشيخ.

لكن الخطير في هذا المشهد هو الإفك والبهتان الذي يأتي في الحديث السابق للبيعة بين المرشد وعبد الرحمن السندي إذ يقول الشيخ للسندي وهو يشرح له الأركان العشر للبيعة وفي مفهوم الطاعة: "الطاعة هي تنفيذ الأمر ولو كان خطأً ثم يحذر من لا يطيعه بل ويأمره بالتخلص منه فوراً وأن لا يبقى أحدًا شك فيه، ولا يتركه شوكة في ظهره،

وهكذا يتجلى وحيد حامد في استحضار شخصية زعيم مافيا أو شيخ "منسر" ليلبسها على شخص أهم رمز إسلامي في العصر الحديث، هل يصدق أحد أن المرشد يطلب تنفيذ الأوامر حتى لو خالفت الشرع؟ وما مصداقية دعوته بعد ذلك بل وما جدواها؟ بل وما شرعية منصبه الدعوي القائم على التوجيه بالشرع ومنه اشتق مسمى المرشد؟ أين المصداقية في كتابة التاريخ.

.. دعنا من التاريخ!! أين المنطقية في رسم شخصية درامية؟

كيف يصيغ شخصية زعيم جماعة دينية تأمر بمكارم الخلاق وبحسن العبادة وبتمكين الشرع، في هذه الصورة المريعة لأخلاق وسلوك وألفاظ زعيم عصابة؟

هل حقاً يرضى وحيد حامد عن نفسه ككاتب دراما في هذا المسلسل؟

دعك يا وحيد من شخصية حسن البنا التاريخية، هل يصلح ما كتبت لرسم شخصية درامية متسقة ومقبولة؟

هل اتفقت مع الأجهزة الأمنية أو ربما الإعلامية المتحفزة أن تحقيق الأهداف السياسية أهم من الحقيقة، وأن الدعائية أهم من الدراما؟.

الحلقة الثالثة والعشرون..

عندما يكره المؤلف الشخصية التي يكتب عنها

لأن الحقيقة وحدها ليست كافية لإثارة مشاعر البغض والنفور من شخصية الشيخ حسن البنا، فإن وحيد حامد يلجأ لتلفيق مشاهد درامية تُدين الرجل، وتصفه بالضعف والاهتزاز أمام المسؤولين (وهو ما يكرهه العامة)، فما من مرة يظهر مشهد للشيخ البنا في زيارة أو حديث مع مسئول أو

وزير أو رئيس وزراء إلا كان هذا المسئول الحكومي أسداً هصوراً يصول ويجول ويعطي للبناء النصائح القاسية بينما الشيخ بما عرف عنه من سعة علم وحصافة يهتز ويرتبك ويصمت حيرة بل ويخفض رأسه أمام صاحب المقام الرفيع.

ولعل المؤلف يظن أن هذه الحيلة الساذجة ستطرح صورة البنا القوية المجاهدة والصبورة على دعوتها من أذهان العامة لتحل محلها صورة لرجل نفعي مهتز لا يقوى صبراً على خصومة ذوي السلطة والجاه، لكن حقائق التاريخ تسجل في أذهان الشعوب بأقوى مما تسجل في الكتب، فالإخوان أبناء لهذا الشعب عايشوهم وعرفوا عنهم قصصهم ضد الاحتلال وضد اليهود في فلسطين وقصص صبرهم وتضحياتهم في السجون والمعتقلات، وعلى ممارسة الدعوة تحت أقسى الظروف من العداة والتربص، كما عرف الناس ضعف أصحاب المقام الرفيع أمام رغبات وأوامر ممثلي الاحتلال، وبقيت المشاهد محفورة في ذاكرة الشعوب.

إن الناس تعرف كيف تكون شخصية مرشد وإمام علم الناس أن يثوروا على ظلمهم واستعبادهم من قبل المحتل، وكيف يعصون أوامره حتى وإن كانوا من العاملين في مؤسساتهم ومعسكراتهم، فقد صارت العزة والحرية أهم من لقمة العيش على يد هذا الرجل.

إنه الشيخ حسن البنا الذي رفض بشدة أن يكون من مستقبلي إسماعيل صدقي رئيس الوزراء عند مروره بالإسماعيلية ليلقي مجرد كلمة ترحيب وهو في ذلك الوقت لم يكن سوى مدرساً إجزامياً يعمل تحت ظل حكومته، ورغم تضافر ضغوط رجال الأمن والإدارة في الإسماعيلية عليه ليقوم بهذه المهمة رفضاً مطلقاً لا تردد فيه،

إنه نفس إباء خلفه المستشار حسن الهضيبي الذي أبى أن ينحني للملك فاروق دون جميع صحبته من القضاة عندما زاروه بقصره، وهي تلك الروح والأخلاق التي تحلى بها سيد قطب عندما رفض كتابة اعتذار لجمال عبد الناصر؛ ليعفو عن حكم إعدامه، لذلك فإن اللعب ضد حقائق التاريخ والتلاعب بشخصية الشيخ حسن البنا لن يضر إلا المؤلف وقصته.

وفي هذه الحلقة يتجاوز المؤلف كل حد في الاختلاق والادعاء وفي مشاعر العداوة والبغضاء التي يكنها ضد الشخصية التي يكتب عنها عندما يجعل شخصية حسن البنا المختلقة تدعو أصحابه وإخوانه إلى التحلي بالصبر واللين تجاه فعل أحمد ماهر رئيس الوزراء الذي زور الانتخابات، وأسقط جميع مرشحي الإخوان بمن فيهم الشيخ البنا نفسه، ولكنه وبعد انصرافه عنهم يطلب من عبد الرحمن السندي اغتيال أحمد ماهر، فهي إذن ليست شخصية رجل دين ولا مصلح اجتماعي ولا حتى مجاهد يعلن عن مواقفه في عنف وحدة.

لقد حقق رجال الأمن مع محمود العيسوي قاتل أحمد ماهر شهوراً طويلة، أوضحت هويته السياسية ودوافعه وطريقة حصوله على السلاح، ومن أين حصل عليه، ولم تفت على رجال الأمن الذين يحققون في مقتل رئيس الوزراء صغيرة ولا كبيرة إلا تابعوها فكيف تلقى التهمة بعد ذلك على غير ما أثبتته التحقيق لمجرد قول بعض الموتورين أو الحاقدين على الجماعة أو المرتمين في أحضان النظام يلبون رغباته تجاه تشويه صورة الجماعة؟.

لقد كان محمود العيسوي عضواً بالحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل وخلفه محمد فريد، وكان يرى حق المناضلين المصريين في استخدام السلاح ضد المحتل والمتآمرين معه، وقد سبق لأحد رجال هذا الحزب (إبراهيم الورداني) اغتيال بطرس غالي رئيس الوزراء لرغبته في تمديد امتياز شركة قناة السويس 40 عاماً أخرى بعد انتهائها عام 1968م،

أما دافع العيسوي هذه المرة فكان قرار أحمد ماهر بدخول الحرب في صف المحتل، وإرسال الجنود المصريين ليقتلوا في سبيل بريطانيا بعيداً عن وطنهم، وكان هذا القرار بإيعاز ورغبة من بريطانيا نفسها، وأثار غضب الجميع في مصر بمن فيهم الملك، ووحيد حامد هنا يتجاهل السياق التاريخي الذي كانت تدور فيه أحداث مصر في ذلك الحين، فمصر كانت ممثلة بالتنظيمات السرية المسلحة وكانت مقتنعة تماماً بها، حتى الوفد كان له التنظيم السري الخاص به، بل إن أحمد ماهر نفسه ومحمود النقراشي كانا عضوين في تنظيم سري يرأسه عبد الرحمن فهمي القريب من الزعيم سعد زغلول، وقاما بالاشتراك في اغتيال السردار الإنجليزي، وحُكِمَ عليهما بالإعدام لكن سعد زغلول كلف مصطفى النحاس المحامي وعضو الوفد ورئيس الوزراء بعد ذلك بالدفاع عنهما فحصلوا على البراءة بعد أشهر طويلة من المحاكمة،

هذا هو السياق التاريخي لهذه الفترة الزمنية والتي تجاهلها المؤلف وأظهر ماهر والنقراشي كرئيسي وزراء يعملان لإيقاد مصر من فوضى الأنظمة الخاصة، ولم يذكر حقيقة اجتماع فايد لسفراء الدول الاستعمارية وعلى رأسها بالقطع إنجلترا وفرنسا، وحضره النقراشي رئيس الوزراء، والذي فيه طلب من حكومته العمل على القضاء على جماعة الإخوان وتصفيته دون هوادة، وهو العمل الذي أظهره وحيد في المسلسل كعمل وطني افتتح به النقراشي للقضاء على الفوضى، ولم يظهره أو سابقه أحمد ماهر كمنفذين لإملاءات المحتل، خاصة عندما قام حزب الكتلة السعدية الذي يرأسه باتخاذ قرار الحرب في صف الحلفاء ثم هذا الموقف الأخير بالقضاء على جماعة الإخوان المسلمين.

لكن لا عجب فإنه نفس المؤلف الذي رمى الشيخ بالعمالة للسعودية وبريطانيا والقصر في آن واحد،

والحمد لله أن دولة إسرائيل لم تكن خرجت للوجود حينها كدولة وإن كان تلاميذه في حماس يتهمون اليوم بأن جماعتهم هي ربيبة إسرائيل وصنيتها وذلك من قبل رجال السلطة في رام الله الذين يسيرون على نفس النهج السلطوي العربي بكل قدرته على الكذب والتفسيق.

الحلقة الرابعة والعشرون ..

الدراما والعبث بالتاريخ

استكمالاً لأحداث الحلقة السابقة وفي مشاهد ملفقة بالكامل يقوم عبد الرحمن السندي بتكليف أحد الإخوان باغتيال أحمد ماهر لكنه يجبن وترتعش يده ويفشل في المهمة فيستحق بصفة على وجهه من رئيس الجهاز الذي يُخبر بعدها أن حياته أصبحت خطراً على الجماعة بعد أن ظهر جنبه، ثم يشير إلى مرافقه إشارة يفهمها المرافق وكذلك المشاهد في وضوح فيما يعني تصفيته، فيقوم المرافق بحبسه في تلك الغرفة وإغلاق الباب عليه بالمفتاح تمهيداً لتنفيذ الأمر،

وهكذا وللمرة التي لا أدري كم عددها ينسى المؤلف أنه يكتب تاريخاً ويسرح بخياله في عالم المافيا، هل تكفي كراهية وحيد حامد للجماعة ومؤسسها أن يصنع كل هذا التفسيق والتزوير؟ أم أن هناك أسباباً أخرى أقوى من ضغينة قلبه تدفعه لأن يضر بعمله الدرامي منطقياً وتاريخياً؟.

وإذا أردت أن تعرف مدى إحساس المؤلف بكذبه وادعائه فانظر إلى حجم التكرار الذي يلجأ إليه في مقولة بعينها، فمن قبل كثر كثيراً مقولة دعم رشيد رضا المالي عبر الحكومة السعودية للشيخ حسن البنا، كما كثر مقولة تسهيل أو مساعدة المخابرات البريطانية لجماعة الإخوان، وها هو يلجأ لتكرار مقولة المساعدة المالية من الملك للإخوان، فالملك الذي أعلن قطع تلك المعونة في الحلقة 22 بعد التلويح بها في حلقات سابقة، يعود ليذكر محدثه وكذلك ليذكر المشاهدين أنه كان يساعد البنا وجماعته مالياً ومعنوياً،

وحيد حامد لا يمل من التكرار فهو كمؤلف ومشرف عام على الإنتاج (منذ متى يكون المؤلف مشرفاً عاماً على الإنتاج؟) لا ينسى أنه يصنع درساً تلقينياً كقطعة محفوظات يجب أن يتشبع بها التلاميذ أو المشاهدون كما يظنهم.

تأتي بعد ذلك مشاهد اعتقال الإخوان المسلمين من قبل حكومة النقراشي مبررة من قبل الكاتب في أن النقراشي كان يريد استعادة النظام في مصر، ولم يشر قطعاً إلى العلاقة بين تلك الاعتقالات وموقف الإخوان في حرب فلسطين.

فالنقراشي وبأوامر بريطانية مارس الاعتقال والتعسف والمصادرة ضد جماعة الإخوان التي كانت تقاتل في ذلك الوقت في فلسطين؛ ليقطع خطوط الإمداد والدعم عن المجاهدين هناك.

طبعاً السيد وحيد حامد لم يشر إلى أحداث فلسطين، فحاشاه أن يذكر خيراً يمس شخصية الشيخ حسن البنا، وهو من يهدف إلى الإساءة لها وتشويهها،

كما أن ذكر هذه الوقائع التاريخية لن يعطي مبرراً لمواقف النقراشي ضد الجماعة، والمؤلف هو من نصبه بطلاً في مواجهة الإخوان المسلمين الذين يسعون في الأرض فوضى وفساداً، حتى لو كانت هذه الأرض هي فلسطين وكان جهادهم وانتصاراتهم ضد العصابات الصهيونية.

ولكن احتياطاً من المؤلف تجاه ثقافة بعض الناس وإحاطتهم بتاريخ الإخوان وكذلك تاريخ النقراشي الحقيقي، فإنه مع تجاهله لخلفية فلسطين فإنه يبرر عمليات الإخوان المسلمين ضد الإنجليز برغبة مرشدها في إرضاء الناس واستتارة عواطفهم مع إرادة قوية لإخراج حكومة النقراشي أمام الإنجليز،

وفي مشهد مزور يأمر البنا السندي أن تكون عملياته ضد الإنجليز لطيفة (لسع دبور وليست لدغة ثعبان)؛ لأنه لا يريد إثارة غضب الإنجليز، وهكذا يرى المؤلف الكبير أن نسف قطار إنجليزي محمل بالجنود والعتاد وإلقاء المتفجرات على معسكرات الجيش الإنجليزي واغتيال جنوده الذين يجرعون على الخروج من ثكناتهم، كل هذا تعامل "خفيف" ومجرد لسعة دبور لن تغضب الإنجليز، إلى هذه الدرجة يُفسد الهوى عقل المؤلف ومنطقته.

الجماعة" الدراما عندما تؤلف التاريخ وتوجهه

بقلم: هشام حمادة

مقتل الخازندار.. بين الحقيقة والخيال المغرض

تعرضت الحلقة 25 لمقتل المستشار أحمد الخازندار على يد محمود زينهم وحسن عبد الحافظ من شباب التنظيم الخاص، وبالرغم من أن الحادثة أثارت غضب الأستاذ البنا واستياءه الشديد، وإنكاره على السندي لسوء فهمه وتحاليله، إلا أن المؤلف لم يُظهر ذلك في المسلسل بل أظهر ابتساماً رضا على وجه الشيخ البنا بعد فترة من التفكير، ركزت فيها الكاميرا على وجهه؛ لتملاً الكادر بابتسامته العريضة،

أما حقيقة ما حدث فلنسمعه من القريبين من هذه الحادثة.

يقول الدكتور محمود عساف: "كنت مستشاراً لمجلس إدارة النظام الخاص منذ عام 1945م - 1364هـ باعتباراه أميناً للمعلومات تابعاً للإمام حسن البناء، وكنا نحضر الاجتماعات، وعرض مقتل المستشار الخازندار، وأنا مستشار لمجلس إدارة النظام، ولم يكن مجلس الإدارة يعلم شيئاً عن هذه الواقعة إلا بعد أن قرأناها في الصحف، وعرفنا أنه قد قبض على اثنين من الإخوان قتلوا الرجل في ضاحية حلوان، ومعهما درجتان لم تتح لهما فرصة الهرب؛ حيث قبض الناس عليهما.

في ذات اليوم طلب الأستاذ الإمام عقد اجتماع لمجلس الإدارة بمنزل عبد الرحمن السندي وحضر الأستاذ بعد صلاة العشاء وبصحبه شخص آخر لا أذكر إن كان حسن كمال الدين المسئول عن الجواله أو صلاح شادي رئيس نظام الوحدات الذي كان يضم ضباط وجنود البوليس (منزل عبد الرحمن السندي يقع في شارع جوهر بالدقي).

دخل الأستاذ وهو متجهم، وجلس غاضباً، ثم سأل عبد الرحمن السندي قاتلاً:

أليست عندك تعليمات بألا تفعل شيئاً إلا بإذن صريح مني؟!

قال: بلى!.

قال: كيف تسنى لك أن تفعل هذه الفعلة بغير إذن، وبغير عرض على مجلس إدارة النظام؟ هل أصرح لكم وأنا لا أدري؟!

قال عبد الرحمن: لقد كتبت إلى فضيلتكم أقول:

ما رأيكم دام فضلك في حاكم ظالم يحكم بغير ما أنزل الله، ويوقع الأذى بالمسلمين، ويمالي الكفار والمشركين والمجرمين؟!

فقلتكم فضيلتكم: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ (المائدة: من الآية 33).

فاعتبرت هذا إذناً!!.

قال الإمام: إن طلبك الإذن كان تلاعباً بالألفاظ، لم يكن إلا مسألة عامة تطلب فيها فتوى عامة، أما موضوع الخازندار فهو موضوع محدد لا بد من الإذن الصريح فيه، ثم إنك ارتكبت عدة أخطاء: لم تعرض الأمر على مجلس النظام، ولم تطلب إذناً صريحاً، وقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله، واعتبرته يحكم بغير ما أنزل الله وهو يحكم بالقانون المفروض عليه من الدولة، ولو افترضنا أنه كان قاسياً، فإن القسوة ليست مبرراً للقتل.

وقال: إن كان قتلك للخازندار تم بحسن نية فإن الدية علينا!!.

ويقول الدكتور عساف:

"إن الإخوان كجماعة إسلامية لا تقر الاغتيالات السياسية، وتنظيمهم الخاص كان مخصصاً لأعمال الجهاد في سبيل الله فهو كتنظيم بريء كل البراءة من هذا الحادث الذي يقع وزره على رئيس النظام وحده، لهذا كان استنكار الإمام لهذا الحادث علناً أمام إخوانه جميعاً".

وتحت عنوان "أحداث 1948م كتب صلاح شادي أحد قادة النظام الخاص في صفحة 92 من كتابه "صفحات من التاريخ حصاد العمر" يقول: "كانت هذه السنة حافلة بالأحداث التي أثرت تأثيراً كبيراً على كيان الجماعة، ففي مارس سنة 1948م اغتيل الخازندار بيد الأخوين محمود زينهم، وحسن عبد الحافظ، وحكم عليهما بالسجن المؤبد في 20 من محرم 1368هـ = 22 من نوفمبر سنة 1948م، وتم هذا الحادث بغير علم المرشد، وبغير إذنه ما أثر عليه تأثيراً بالغاً، وأراد الأستاذ المرشد في بادئ الأمر أن يتحقق من أن هذا الحادث قد قام به السندي؛ حيث جرى في ظنه احتمال حدوثه من بعض الطلبة غير المسؤولين، الذين يخضعون إلى قسم الطلاب، والذي كان مسئولاً عن العمل فيه في هذا الوقت الأستاذ محمد فريد عبد الخالق؛ ولذلك ما إن قرأ الأستاذ المرشد هذا النبأ في الصحف بعد فجر هذا اليوم، حتى أرسل من يستدعي الأستاذ فريد عبد الخالق على عجل، ليقابله في منزله في صباح هذا اليوم الباكر فذهب إليه على التو، إذ كان يسكن في منزل قريب من منزل الأستاذ المرشد.

وسأله المرشد عما إذا كان لقسم الطلاب دخل في هذا الحادث؟.

فأجابته بالنفي طبعاً، وأنه لا يمكن أن يصدر لأحد الطلاب أمر بهذا الخصوص،

وأخذ الغضب والأسف من المرشد كل مأخذ وهو يقول: إن هذا يعني تدمير الجماعة التي قضى عمره في بنائها!،

وقال للأستاذ فريد: "أنا أبنائي وهم يهدمون".

وقال: إن الرصاصات التي أطلقت على الخازندار إنما أطلقت على صدره هو!!.

ولم يخفف من هول الحادث ما تنذر به السندي عندما توجه برد الفعل هذا لدى المرشد، فادعى أن المرشد قال في مجلس عام: إن القاضي "يستاهل القتل"؛ وذلك عندما سمع بالأحكام القاسية التي صدرت ضد أشخاص من الإخوان، ضُبطوا في الإسكندرية أمام نادي الجيش الإنجليزي، ومعهم قنابل لم تُفجّر بعد) فأصدر عليهم القاضي الخازندار أحكاماً قاسية، في نفس الوقت الذي حكم فيه على حسن قناوي سفاح الإسكندرية الذي ارتكب جنایات قتل وهتك عرض أثارت الفزع والغضب في الرأي العام والخاص في الإسكندرية، ففضى عليه بالسجن 7 سنوات! فاعتبر السندي أن هذه العبارة من المرشد إننا ضمناً لقتل الخازندار!!.

وهذا تبرير غير معقول لحادث كهذا، ولكن الحقيقة كانت كامنة وراء شعور السندي في هذا الوقت باستقلاله هو، وبمن يتولى قيادتهم من إخوان النظام الخاص عن سلطان الجماعة وقائدها (حسن البنا)، الأمر الذي سهّل له هذا السلوك، لم يكن من حق أحد إخوان النظام أن يتصل بالمرشد في شأن من شؤون النظام الخاص إلا عن طريقه، وبهذا عزل إخوان النظام تماماً عن قيادة الدعوة، وأصبح فهم السندي لدور المرشد هو أن يبحث له عن مخرج أمام الناس؛ لترميم الصدوع التي تحدثها أمثال هذه التصرفات غير المسنولة، وتكييف الرأي العام داخل الجماعة وخارجها لتقبّل هذه الحوادث!.

أما أحمد عادل كمال أحد رجال النظام الخاص في ذلك الوقت، فيضيف أن الأستاذ البنا شدّد عليهم في اجتماع خاص بقيادة النظام الخاص أنه لا شيء بعد ذلك يتم إلا بعد أمر كتابي منه فردّ عليه الأستاذ مصطفى مشهور "إنهم خلاص قد فهموا الأمر، وأنهم لن يقوموا بأي شيء بعد ذلك إلا بعد موافقة صريحة منه، وأنه لا داعي للأمر الكتابي". ويقول د. محمود جامع "قام النظام الخاص بقتل القاضي الخازندار.. وحينما علم بذلك الشيخ حسن البنا غضب غضباً شديداً.

وقام باستدعاء عبد الرحمن السندي، وقال له: لم قتلت الخازندار؟ ومن أمرك بذلك؟

فقال السندي: ألم أقل لك من قبل إنه قد أعطى الإخوة أحكاماً مشددة.

فقلت لي: "ربنا يخلصنا منه.. ده يستاهل قطع رقبتة".

فقال له الشيخ البنا: وهل معنى ذلك أن تقوم بقتله!!.

ماذا أقول للقضاة؟

وماذا أقول للمستشار الهضيبي؟

وماذا أقول للناس؟

ثم بكى الشيخ حسن البنا بكاءً شديداً أمام د. عبد العزيز كامل، والمهندس: حلمي عبد المجيد، وأ. فريد عبد الخالق.. وهؤلاء الثلاثة كانوا من أصدق أصدقائي.. ويمكنك أن تسأل أ. فريد عبد الخالق إذا قابلته عن هذه الواقعة، وكذلك المهندس حلمي عبد المجيد فهو يعيش إلى الآن وعمره 92 عاماً.

هؤلاء هم رجال الإخوان الذين يعرضون الأمر في شجاعة نادرة، واعتراف بالخطأ والقصور، ويعرضون صورةً؛ لتصحيح الأوضاع في رجولة دون خجل أو مواربة، فمن أين جاء وحيد حامد بهذه الصور المشوهة لمرشد الجماعة الأول وابتسامته الراضية بالاغتيال؟ ولماذا يسعى أن يطغى خطأ أو استثناء من بعض رجاله على تاريخ جماعته؟

منذ متى يتم تقييم الجماعات والهيئات بل والحكومات باستثناءات الأخطاء، مع إلغاء كل حسناتها وإيجابياتها؟

وهل يفعل ذلك سوى صاحب هوى مريض القلب؟

لقد شاعت إرادة الله أن تجري هذه الحادثة لتظهر معدن رجال الإخوان أمام حدوث الأخطاء، فيصقلون برفضها وبيتلون بتصحيحها، ولتكن شاهد لهم على نقاء جوهر منهجهم القادر على نبذ الغريب ونفي الشاذ، وشاهداً على قدرتهم على مقاومة المخطئين داخلهم والحفاظ على سلامة عقيدتهم، بالرغم من الضغوط والابتلاءات، فقد وقعت هذه الأحداث وهم تحت ضغط واضطهاد شديد، فما عكّر صفو منهجهم وما استطابوا العنف والانتقام وما استحسنوا الثأر على يد فئة منهم، إنها حكمة الله تعالى لتظهر سلامة العقيدة، ونقاء الجوهر، ولكنها لصحيح الإبرار سليم القلب.

أما الهوى والبغضاء فيظهرا بقوة وسطوع وحرارة كنار حارقة في حلقتين متتاليتين، ففي الحلقة السابقة يكون دافع الإخوان من الهجوم على معسكرات الجيش الإنجليزي هو فقط إحراج وزارة النقراشي، أما في هذه الحلقة فتقرر أن الشيخ البنا دخل حرب فلسطين ليغطي على مقتل الخازندار، أي إسفاف وأي سطحية وأي استخفاف بعقول المشاهدين؟! إن وحيد حامد يفضح أهدافه غير المعلنة ودعايته المفرطة في السواد.

النظام الخاص..

جزء من تاريخ مصر وكفاحها

في الحلقة (26) يركز وحيد حامد على موضوعين،

الأول: انهيار شخصية الشيخ حسن البنا أمام الحصار الرسمي لجماعته!! وإظهاره بمظهر الضعف والاهتزاز الذي يصل به إلى أن يقول لمدير الأمن العام وهو يوسّطه من أجل مقابلة الملك "ماناش دعوة بسلك الملك، عايز يروح يسكر يروح يسكر، عايز يروح يسهر في علب الليل ويسهر كيف شاء هو حر، لا شأن لنا بسلكه" ..

الله أكبر عليك يا وحيد حامد.. بالله عليك..

هل تصدق أنت أن شاباً صغيراً في جماعة الإخوان يقول هذا الكلام التافه،

لمصلحة من تشهد زوراً، وتنتشره في الآفاق، لمصلحة من تحطم رمزاً من رموز مصر وفخراً من مفاخرها، ورجلاً نادراً من رجالها،

لا يوجد مصري حقيقي ينتفع من تشويه تاريخ مصر وزعمائها الحقيقيين،

أليس لحسن البنا فضل في مجاهدة المحتل البريطاني؟ ألا يُحفظ له هذا الفضل؟

أليس لحسن البنا شرف في الدفاع عن أمن مصر القومي وأمن الأمة العربية بأسرها في فلسطين؟

لماذا لا يُشهد له بهذا الفضل؟

أليس للشيخ فضل في تحمل جماعته هموم ومشاكل المجتمع المصري وأولها الفقر والمرض؟

لماذا يُنكر فضله؟

أليس لحسن البنا وجماعته فضل في إزكاء الروح الوطنية والوعي الديني السليم في ربوع مصر، بالإضافة للتصدّي لعوامل الضعف النفسي والانهيار الأخلاقي؟

لمصلحة من كتم شهادة الحق؟

أليس من الوطنية الحقّة الإشادة بكلّ عمل وطني جليل قد صبّ في صالح الوطن ضد مؤامرات وأخطار أعدائه.

الموضوع الآخر الذي استغرق الحلقة: كان مشاهد مطاردة الأمن، واستهداف قيادات الداخلية للنظام الخاص للجماعة حتى مشهد سقوطه، الذي احتفى به المسلسل، والمؤلف هنا يعتمد على تلبيس الأمر على المشاهد، وعلى خلط الأوراق، وبخاصة أن الذي يطارد الشباب المجاهدين هي أجهزة الداخلية المصرية والمؤسسات الرسمية؛ وذلك تجاهلاً لحقيقة أن النقراشي كان ينفذ توجيهات مؤتمر فايد في 10/11/1948م؛ حيث اجتمع سفراء إنجلترا وأمريكا وفرنسا هناك، وقرروا اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية؛ لحل جمعية الإخوان المسلمين، وأرسلت هذه الإفادة إلى رئيس المخابرات في 13/11/1948م،

وبعد ذلك بأقل من شهر صدر الأمر العسكري رقم(63) لسنة 1948م بتاريخ الأربعاء 7 صفر 1368هـ الموافق 1948/12/8م بحل جمعية الإخوان المسلمين، وجميع شعبيها،

هذه هي الحقيقة؛ حل جماعة الإخوان المسلمين كان حلقةً في صراع بين المحور المصري العربي المسلم ضد المحور البريطاني الصهيوني العلماني، وخسارة مصر والعرب من حل جماعة الإخوان المسلمين لا يقدره إلا الكيان الصهيوني وحلفاؤه الإنجليز والأمريكان.

ودعونا نتعرف أولاً على مشهد وطني من تاريخ الإخوان المسلمين؛ لنعرف لمصلحة من حُورب الإخوان وما يزالون يُحاربون حتى الآن؟

فنهاية الحرب العالمية الثانية كانت بداية صراع وطني ضد بريطانيا، وقد دعا الإخوان المسلمون حينها إلى مؤتمر شعبي يُعقد بالقاهرة، وفي 7 مراكز رئيسية في الأقاليم، وذلك في بداية أكتوبر؛ لمناقشة القضية الوطنية، وتحديد وصياغة المطالب.

وفيما بين بداية مناقشة المسألة الوطنية ورحيل صدقي إلى لندن، كانت الحركة الوطنية قد انتقلت من مرحلة الإصرار على شروط محدودة للتفاوض، إلى مرحلة الرفض الكامل لأية مفاوضات قبل إتمام الجلاء أولاً، وقد أرسل الشيخ حسن البنا خطاباً إلى الملك، وإلى صدقي، منادياً بدعوة الأمة إلى الجهاد، ومقاطعة إنجلترا اقتصادياً وثقافياً واجتماعياً.

وفي رسالة إلى شعب وادي النيل أعلن محدثاً:

"إن حكومة صدقي باشا في إصرارها على إجراء المفاوضات لا تمثل إرادة الأمة، وأي معاهدة أو اتفاق تتوصل إليه مع بريطانيا قبل أن يتم إجلاء قواتها هو إجراء باطل، ولن يلزم الأمة".

وفي اليوم السابق على رحيل صدقي إلى إنجلترا أكد الإخوان هذا التحذير بدعوتهم إلى مظاهرات ضخمة في جميع أنحاء البلاد، وقد حصلت جريدة (الإخوان) على بعض النصوص الهامة للمعاهدة التي أطلق عليها اسم (معاهدة صدقي بيفن) فقامت حملة شعواء ضد هذه المعاهدة. وقد عاد صدقي في 25 أكتوبر؛ ليقدّم استقالته إلى فاروق لنتهي وزارته، وتأتي وزارة محمود فهمي النقراشي، وعند ذلك قامت جماعة الإخوان بعدة فعاليات لنصرة القضية الوطنية أولها كان شارة الجلاء.

حيث قامت لجنة الدفاع عن وادي النيل بالمركز العام للإخوان، بطبع وعمل عدة ملايين من شارة لها طابع خاص، لونها أحمر، وعلى شكل قلب، مكتوب في وسطها كلمة (الجلاء)؛ ليقوم شباب الإخوان في جميع البلاد من أسوان إلى الإسكندرية، بتوزيع هذه الشارات على جميع أفراد الشعب على اختلاف طبقاته، وخرجت الأمة في يوم واحد، وهي تحمل هذه الشارة في إجماع رائع مثير، وقد أصدر الإخوان بياناً طالبوا فيه بعدم التعامل مع الإنجليز، فقامت المؤسسات بشطب اللافتات المكتوبة باللغة الإنجليزية.

ثانياً: حرق الكتب الإنجليزية

وقد قام الإخوان يوم 1946/11/25م في كل الأقاليم بجمع الكتب والصحف الإنجليزية وحرقها في الميادين الكبيرة.

ثالثاً: ممثل الإخوان في الأمم المتحدة

وقد أعلن النقراشي في 1947/1/25م عن اعتزامه عرض المشكلة المصرية على مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة.

وكان الإخوان قد دعوا إلى ذلك من قبل، وقد قرروا إرسال ممثلهم مصطفى مؤمن مع النقراشي، وتحوّل مصطفى مؤمن في الولايات المتحدة، وخطب من أجل القضية المصرية، وأسمع صوته الأمم المتحدة نفسها.

وفي 1947/8/22م ألقى خطبةً ملتهبةً من شرفة الزوار، وأشهر وثيقة موقعةً بدماء الطلاب تستنكر المفاوضات، وتطالب بالجلاء التام، وبالتوحيد الكامل لوادي النيل، وقد قام مصطفى مؤمن بمظاهرة خارج مبنى الأمم المتحدة، بمساعدة من نقابة عمال البحرية بنيويورك، التي كان من أعضائها بعض المصريين.

وعاد النقراشي ليستقبله الإخوان استقبالاً حافلاً،

هذه صور من جهد الإخوان المتواصل في نصرته القضية الوطنية، فهل كانت في الخفاء بحيث لم يدركها مؤلف هذا المسلسل.

أما النظام الخاص "بجماعة الإخوان المسلمين فهو نظام عسكري أسسته الجماعة في العام 1940م، وهدفه - بحسب محمد مهدي عاكف - إعداد نخبة منتقاة من الإخوان للقيام بمهام خاصة، والتدريب على العمليات العسكرية ضد العدو الخارجي، ومحو الأمية العسكرية للشعب المصري في ذلك الوقت؛ حيث كان كل فرد يمكنه دفع 20 جنيهاً يستطيع التخلص من الخدمة العسكرية".

وبحسب محمود عبد الحليم في كتابه "الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ" فقد قام النظام الخاص من أجل محاربة المحتل الإنجليزي داخل القطر المصري، والتصدي للمخطط الصهيوني اليهودي لاحتلال فلسطين" وكان من أشهر أعضائه جمال عبد الناصر، وخالد محيي الدين عضواً لمجلس قيادة الثورة وفق شهادة خالد محيي الدين نفسه، وقد انضموا إلى النظام الخاص عام 1943م وفق رواية أحمد رائف.

أراد حسن البنا أن يكون ذلك "الجيش المسلم" للتصدي لليهود والإنجليز؛ حيث كانت قناعته بأن الإنجليز بتواطئهم مع اليهود لن يتركوا مصر ولا فلسطين، ومع شعوره بضعف الحكومات العربية، وهزل الجيش المصري في هذا الوقت، فكان هذا حافزاً آخر لتكوين "النظام الخاص"، وقد كان التأسيس وليد فكر مشترك بين الحاج أمين الحسيني (مفتي فلسطين) وحسن البنا (مرشد الإخوان).

ولم يكن النظام الخاص فكرةً جديدةً ابتدعها الإخوان في ذلك الوقت، فكل القوى السياسية الموجودة بالساحة في الوقت كان لديها أجهزة عسكرية سرية مثل "الوفد" و"السراي" و"مصر الفتاة" وعرف وقتها أصحاب الباقات الزرقاء والحرس الحديدي حتى إن "الضباط الأحرار" كان تنظيمًا سرياً في هذا الوقت.

أما المفاجأة التي سيحاول وحيد حامد بكل يقين إخفاءها، فهو الحكم التاريخي للمحكمة التي حاكمت أعضاء النظام الخاص؛ حيث برأت أكثرية المتهمين، وحكمت على أفراد قليلين، منهم بأحكام مخففة، ما بين سنة و3 سنوات، ولكن الشيء المهم في الحكم أنه أنصف الإخوان بوصفهم جماعة إسلامية وطنية، وأبرز دورهم الوطني والجهادي في مصر وفلسطين، ودورهم الثقافي والاجتماعي في خدمة مصر، ثم كانت المفاجأة أن انضم رئيس المحكمة المستشار الكبير أحمد كامل بعد ذلك إلى الإخوان، ونشرت الصحف ذلك بالخط العريض، حاكمهم ثم انضم إليهم! فهل سنرى تلك الحقائق التاريخية عن الجهاز الخاص في مسلسل وحيد حامد.

الدراما السوداء.. بين الدعاية والجريمة

تبلغ بغضاء وحيد حامد وعدوانيته تجاه شخصية الشيخ حسن البنا ذروتها في الحلقة 27، فهو بعد أن وصفه في حلقات سابقة بمواصفات المستبد المهيمن مصر على الزعامة والتفرد إلى درجة الهوس، يعود في هذه الحلقة إلى تناقض غريب؛ ليلبس تلك الشخصية بمواصفات الجبن والخوار والخسة؛ وذلك عندما يذهب إلى عبد الرحمن عمار وكيل الداخلية في شكل رجاء وتوسل لعدم حل الجماعة، ثم ما يلبث أن يبكي بين يديه لدرجة ضياع صوته واختناقه، ثم تكون الدهشة الكبرى عندما يبدأ بضرب يديه خلفية رأسه بقوة عدة مرات، مبدياً الأسف والندم، هذا المشهد يتكرر تقريباً عندما يعود الشيخ إلى مكتبه ليجلس عليه وحوله أتباعه محتشدين، وعندئذ يسمعون قرار الحل في المذيع، فيبدأ الشيخ بضرب رأسه على المكتب بشكل هستيري ومستمر، قمة الازدراء والسخرية من أهم شخصية تاريخية في العالم الإسلامي في القرن العشرين.

لا يقتصر وحيد حامد في سخريته وازدراؤه على قدر تلك المشاهد، فهو يحب أن يؤكد بصورة مباشرة ولفظية ما يريد الذهاب إليه، أو التأثير به، كعادته في هذا المسلسل، وهو ما يجافي مفهوم الدراما، ولكن للدعاية السوداء أولوياتها، فيجري المؤلف حديثاً في مكتب وكيل الداخلية؛ ليصيغ من خلال حوار الحضور - الذين لم نتعرف بهم - ما يشاء من جمل السب والقذف المباشر، ومنها جملة تجري على لسان شيخ في الملبس الأزهرى تقول: "إن النقراشي بجل الجماعة أنفذ البلاد من عار يرتدي ثياب الفضيلة"،

وكان المؤلف يريد عندما يضع هذه الجملة على لسان شخصية ترتدي الرداء الأزهرى أن يتقبلها الشعب بخمول عقل دون تفكير، وكأن هذا هو رأي الدين (من يستغل الدين الآن؟)،

والحقيقة أن هذا المشهد يسيء به وحيد حامد لرجال الأزهر، عندما يظهرهم في مجالس الحكام يوافقونهم دون تردد، وهم منهيون شرعاً عن الدخول على السلاطين أي أصحاب السلطان، فضلاً عن مجالستهم، وبالتالي هذه الصورة تسيء إليهم، وبخاصة أن المؤلف لم يبين سبب وجود هذا الشيخ المجهول في مكتب وكيل الداخلية يسخر ويستهزئ من رجل دين مبدئي، حتى وإن كان مخطئاً، فهل تقع المشكلة في ثقافة وحيد عن الإسلام أم في ارتباطه بلغة وأسلوب شخصيات عادل إمام التي يكتبها له، وعدم قدرته على التخلص من "إفيهاات" و"لزمات" تلك الشخصية الخارجة غالباً عن حدود القيم والأخلاق الفاضلة.

لا ينسى وحيد حامد أن يطعن في جماعة الإخوان بصورة واضحة ومباشرة على لسان كريم ثابت، عندما يجعل شيخهم ومؤسسهم يندم على اشتغاله بالسياسة،

ويقول: بأنه كان خطأ كبيراً، مع أن الحقيقة أنه هو - رحمه الله - القائل: لو كان هذا الإسلام كما نفهمه هو السياسة فنحن أهل السياسة، وهو القائل: إن في آية واحدة من كتاب الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل)، تحتاج لعمل ست وزارات، ولقد استشهد الأستاذ البنا وهو يطارد قاتليه، فلم يكن جبناً ولا خواراً.

هل تفكرت يا سيد وحيد في تكلم الناس عن كذبك وافتراءك؟ ألم يهز كبرياءك احتمال حدوث ذلك؟ هل أيقنت أن الله يجمعك مع كل خصم لك في محاكمة يوم القيامة، وقد اختصمت الرجل بشهادتك هذه عليه؟ هل نفسك مطمئنة؟

أو دعنا من هذه، هل ضميرك الفني والأدبي سعيد بهذا الاختلاق والسب المباشر والتلفيق في التاريخ ورجاله، حتى مسخت شخصية رجل إلى شخصية مغايرة تماماً لإرضاء أناس لهم أهداف سياسية معلنة، احتفت أنت بها على لسان شخصيات كالنقراشي وإبراهيم عبد الهادي عندما قلت أنت على لسانهما: "لا نريد إخوان في مصر"، ولا أحد يعلم في أي وثيقة وجدت ذلك أم أنه هوى النفس، وأهداف من تبحث عن رضاهم.

النقطة الرئيسية الثانية في هذه الحلقة كان موضوع اغتيال النقراشي، ورغم إدانة الأستاذ البنا له، وإدانة الجماعة من بعده، وبالرغم من أن الجماعة في عداد فترة وجيزة قامت بخطتين لتعديل وضعية الجهاز الخاص،

في المرة الأولى جُزئ وجُعِلَ عَنِيًّا وتابعا لإدارة المحافظات،

والثانية عندما أُلغِيَ تمامًا بعد اكتشاف عدم عملية الحل الأول، وكان هذا في مدة لم تتجاوز 3 سنوات من حادث اغتيال النقراشي، ودون ضغط من أحد بل تعرضت الجماعة لمخاطر عظيمة من جراء إلغائه، ولم يكن تراجعاً عن فكرة الجهاد، بل رأت الجماعة أن يكون الجهاد مُعلنًا للعيان بالأشخاص كما بالمواقف، وأن تُستكمل عملية الجماعة في كل شيء.

الأمر الآخر الذي أريد الإشارة له هو السياق التاريخي الذي جرى فيه حادث اغتيال النقراشي، ولا يمكن منطقيًا فصل حادث ما عن سياقه التاريخي، كما لا يمكن كتابة عمل درامي بمعزل عن سياقه التاريخي، وهو الخطأ الذي وقع فيه المؤلف،

فمن ناحية كان يعلم شباب الإخوان أن قرار الحل كان استجابة لرغبة الاستعمار لإفشال جهود المجاهدين الإخوان في فلسطين، وقد أنزلوا بالصهاينة هزائم منكرة حتى استغاثوا بالقوى الاستعمارية الكبرى، وكانوا يعلمون أن قرار الحل طلب من قبل من النحاس لكنه رُفِضَ،

ومن ناحية أخرى كان قرار الحل بما ترتب عليه من مصادرة الممتلكات والأموال والأسلحة المجموعة لإرسالها إلى فلسطين بمثابة نكسة للمجاهدين هناك، وهذا زاد من اشتعال صدور الشباب،

من ناحية ثالثة كانت كل قيادات الجماعة معتقلة بما فيها قيادات النظام الخاص، وبقت مجموعة وحيدة بهيكلها وقائدها بدون صلة بالجماعة، وفي غيبة القيادة وظلمة المحنة قرّرت هذه المجموعة عمل شيء ضد هذه الغارة التي اعتبروها لصالح المحتل في مصر والصهاينة في فلسطين.

الجدير أيضًا بالذكر أن مصر في هذه الفترة وفي مدارج سياقها التاريخي كانت ممثلة بالجماعات السرية سواء التابعة لأحزاب وجماعات لم تصل إلى الحكم أو حتى تابعة لأحزاب في الحكم أو جهات حاكمة كالملك، وكان هذا وضعًا طبيعيًا في بلد محتل على غير رغبة من حكامه، فقد شهد

حزب الوفد تأسيس جماعة اليد السوداء، كما كان للسعديين ولمصر الفتاة والحزب الوطني جماعات سرية، بل إن الملك نفسه أنشأ تنظيمًا سرّيًا لُقّبَ بالحرس الحديدي، كما كان للضباط الأحرار تنظيم سرّي آخر، بالإضافة إلى خلايا عديدة غير تابعة للأحزاب مثل خلية حسين توفيق التي

اغتالت أمين عثمان، بل إن النقراشي نفسه وأحمد باشا ماهر واللذين يظهرهما المسلسل كأعداء للفوضى التي يثيرها الإخوان على حسب ادعاء وحيد حامد كانا عضوين بتنظيم خاص تابع لعبد العزيز فهمي من مؤسسي حزب الوفد مع سعد زغول، بل إنهما اشتركا في اغتيال "السير لي

ستاك" وهو الحادث الذي عرّض مصر لعواقب وخيمة، ولما سُئل سعد زغول عن ذلك، قال: "كيف لي أن أراقب كل أعضاء حزبي؟" ولم يتهم أحد سعد زغول باتشاء تنظيمات سرية إرهابية، فالوطن كان مُحتلًا، والجهاد كان واجبًا.

بل الأدهى من ذلك أنه عندما انشق محمد محمود باشا عن حزب الوفد المصري وكون حزب الأحرار الدستوريين قامت جماعة من الوفد باغتيال حسن عبد الرازق باشا وإسماعيل زهدي بك من حزب الأحرار، فلم يصف أحد حزب الوفد سواء حينها أو الآن بأنه حزب دموي، وكذلك

اشترك إبراهيم عبد الهادي (رئيس الوزراء فيما بعد)، وعبد الرحمن بك فهمي بجرائم اغتيال سياسية معروفة فلم يتهمهم أحد بالخيانة أو يتهم حزب الوفد بالإرهاب، وكانت الثقافة السائدة حينها أن اغتيال عميل تابع لبريطانيا هو عمل ديني وطني في المقام الأول؛ لذلك أنشدت المواويل

وحُكيت القصص ودبجت القصائد في مدح إبراهيم الورداني قاتل بطرس غالي، كما اعتبر الشعب المصري أن مشاركة محمد أنور السادات في اغتيال أمين عثمان كان عملاً بطوليًا، كما شارك السادات أيضًا في محاولة اغتيال النحاس باشا، كما شارك جمال عبد الناصر في محاولة اغتيال

حسين سرّي عامر.

هذا هو السياق التاريخي الذي تجاهله وحيد حامد في مسلسله قاصداً عامداً حتى يتمكن من أهدافه السياسية، ويكفي أن أختتم هنا بما سبق أن

ذكرته عن القاضي أحمد بك كامل الذي حاكم أفراد النظام الخاص، فبراً معظمهم، وحكم بالسجن على بعض منهم بعد أن أعلن في حيثيات حكمه، والتي أتت كوثيقة تاريخية، عن وطنية هؤلاء الأفراد، ونبيل مقاصدهم، وعظيم خدماتهم للوطن، ثم أتبع ذلك باتضمامه لجماعة الإخوان المسلمين؛

لكن هذه حقيقة من ضمن الحقائق الكثيرة التي توجب على وحيد حامد إخفاءها، وهنا نصل إلى السؤال الذي يفرض نفسه؛ هل وحيد حامد في مسلسل الجماعة كان كاتباً لدراما تاريخية أم متأمرًا حتى النخاع في دعاية سوداء لصالح جهة سياسية؟ ومن يحاسب كاتب الدراما حين يمارس

الإرهاب الفكري أو حين يرتكب جريمة الاغتيال المعنوي، وهو أحياناً أشد خطورة من الاغتيال المادي، وهل بلغت مصر درجة من النضج الثقافي والسياسي والاجتماعي كي تحاسب وحيد حامد على تلاعبه بالتاريخ ورجاله أم أن مصر هي الأخرى سبق اغتيالها معنوياً؟!.

